جيرار دولو دال

السيميائيات
أو نظرية العلامات



ترجمة: عبد الرحمن بوعلي

جيرار دو لودال
بالتعاون مع
جوويل ريطوري

السّيميائيّات
أو نظريّة العلامَات

ترجمة
د.عبد الرحمن بوعلي

دار الحوار

- السيميائيات أو نظرية العلامات
- المؤلف: جيـــرار دو لـــودال
- ترجمة: د.عبد الرحمن بوعلي

- الطبعة الأولى: 2004
- الناشـــر : ***دار الحـــوار للنشـــر والتوزيـــع***

اللاذقية ــ سورية ــ ص.ب: 1018

هاتف وفاكس: 422339 ــ 41 ــ 963

البريد الإلكتروني: soleman@scs-net.org

تـــم تنفـــيذ التنضـــيد والإخراج الضوئي في القسم الفني بدار الحوار

تصميم الغلاف: ناظم حمدان

مقدمة المترجم

تحـــتل الســـيميوطيقيا ــ أو السيميولوجيا ــ مكانة هامة ضمن المـــناهج الـــنقدية. ولئـــن كـــان البعض يعتبرها مجرد موضة من الموضـــات، فـــإن هـــذا الوصف لم ينقص من قيمتها كمنهج علمي وإجرائـــي فـــي الدراسات الأدبية وتحليل النصوص الأدبية بالدرجة الأولـــى، بل ولم يزد المشتغلين بها إلا مقاومة لكل نزعة تبسيطية. ولذلـــك فهي في الاعتبار الصحيح منهج لا يمكن التقليل من أهميته أو التقليص مما يمكن أن يفتحه من سبل و آفاق جديدة تنير مجاهل التعبير الأدبي والفني.

ومـــن المعروف أن المشتغلين بهذا العلم والمختصين فيه ــ وهم قلـــة ــ حين يستعرضون رواد هذا المنهج، لا يكادون يشيرون إلا تلميحاً ــ أو لا يشيرون البتة ــ إلى أحد أهم مؤسسي السيميوطيقا،

ونعنـــي بـــه السيميوطيقي الأمريكي شارل سندرس بيرس (1839/ 1914)، وربما كان ذلك بسبب إعطائهم الأهمية ــ كل الأهمية ــ للغوي السويسري فرديناند دو سوسير صاحب (دروس في علم اللغة العـــام) ولأتباعه من المدرسة الفرنسية، أو بسبب صعوبة و انغلاق مـــا قدمه شارل س. بيرس في أعماله الكاملة ورسائله إلى اللاّيدي ويلبي.

لذلـــك، ولأســباب أخـــرى أيضاً، ارتأينا أن نقدم هذه الترجمة للـــتعريف بمجال يعتبر من أهم المجالات، وهو مجال السيميائيات، وللتعريف أيضاً بالمنهج السيميوطيقي البيرسي.

وممـــا ينبغـــي الإشارة إليه أن هذا الكتاب الذي نقدمه بين يدي القارئ، والذي يشمل مقدمة وثلاث أبواب وخاتمة، هو الكتاب الذي وضـــعه الباحـــث الفرنســـي جيرار دو لودال بالتعاون مع الباحثة الفرنســـية جوويـــل ريطوري، وكلاهما من جامعة بيربينيون تحت عنوان "العلامة بين النظرية والإنجاز: مدخل إلى سيميوطيقا شارل س. بيرس ".

كمـــا تجدر الإشارة أيضاً إلى أننا كنا قد أصدرنا جزءاً مترجما منه عام 1994 تحت عنوان (التحليل السيميوطيقي للنص الشعري) بعد أن ربطنا الاتصـال بمؤلفيه. ولعلم القارئ، فدولودال وريطوري مـــن الباحثين القلائل الذين تجشموا عناء الاقتراب من السيميوطيقا الأمريكية ومن مؤسسها بيرس بالذات.

ولعلنا بهذه الترجمة نساهم في تسليط الضوء على ميدان من أهم الميادين: السيميوطيقيا، وعلى باحث كان له الفضل في وضع أسس هـذا المـيدان وهو شارل سندرس بيرس. وكل أملنا أن يحظى هذا الكتاب باهتمام القارئ، والله من وراء القصد.

المترجم

د.عبد الرحمن بوعلي

تنويه

يعتبر هذا المؤلف حصيلة سنوات طويلة من البحث في الاتجاه الذي رسمه بيرس، وحصيلة ثلاث سنوات شملتها حلقة الدرس اليومي في جامعة بيربينيون. خلالها ــ وبعد المرحلة القصيرة التي أخذ فيها بيرس الكلمة ــ حاولت أن أنوب عنه للإجابة عن أسئلة طرحتها نظريته، وفي ذات الوقت كان باحثون في مجالات أخرى يقرأون في ضوء نظريات كالنظرية الرياضية للمقولات، أو في ضوء علوم كالإعلاميات، لكي لا نتكلم عن علم اللغة الذي لم يكن يعرفه بيرس إلا في شكله الفيلولوجي. والأمر هنا لا يتعلق إلا بعرض تاريخي، هذا إن لم أكن قد شوهت ما قام به بيرس، أو لا يتعلق إلا بمنهجة نظريته وبلورة طريقة لتطبيق هذه النظرية الممنهجة في تحليل كل تجمع من العلامات.

ويكـــوّن القسمان الثاني والثالث في الأصل بالعنوانين نفسيهما فصـــلين فـــي مؤلف آخر كان عنوانه سيكون (بيرس والعلامات) وســبق أن صـــدر بدونها تحت عنوان (كتابات حول العلامة)[1]. وبـــدون تعاون الزملاء والطلبة الذين ساهموا في حلقة الدرس التي كنت أقوم بها بين عامي 1974-1977 لم يكن من الممكن أن تكوّن هـــذه الفصـــول المؤلـــف هذا، فهو مدين لهؤلاء بشكل لا يمكن أن أعرضـــه، وبصـــفة خاصـــة لروبير مارتي التي وضعت مقدرتها كرياضـــية وكمـــنظّرة فـــي المقـــولات رهن إشارة نظرية بيرس للعلامـــات، ولجوهـــيل ريطـــوري التـــي ساعدتني بعلمها اللغوي المســتيقظ دوماً في أن أبلور تقنية لتحليل النصوص، هذا ما تؤكده بذكـــاء طـــروحاتها الست من أجل التحليل اللغوي [2]، ولجان بيير كامنكـــير اللغوي أيضاً الذي يطبق الطريقة في قراءة الصحافة وفي مســـألة المعـــيار، ولوارنسير بزلاف الذي يهتم بتطوير نظرية في تحلـــيل الصـــورة السيميائية، ولكرستين فيسون. ببيري التي قامت بقراءة سيميوطقية لجيل سبيرفيان، هذا إذا اكتفيتُ بالإشارة فقط إلى الذيـــن الـــتزموا مـــنذ الـــبداية حضور الحلقة الدراسية في البحث السيميوطيقي البيرسي[3].

بربنيون: 7 يونيو 1977

الهوامش :

(1) arles S .Peirce:Ecrits sur le signe, le Seuil 1978

(2) انظر القسم الثالث، الفصل الرابع، المقطعان 2 و3 .

(3) يمكــن أن نقــرأ النــتائج الجزئية لبعض هذه الأبحاث ولأخرى في سـيميوزيس Semiosis المجلــة العالمــية البيرسية، وهي مجلة حلقة الســيميوطيقا التـي يصدرها معهد البحث في العلوم والتواصل والتربية بجامعة بيربينيون.

مقدمة

شارل س. بيرس: كتاباته السيميوطيقية، فلسفته ومصطلحيته

"إن الذين يهملون الفلسفة هم أصحاب نظريات ميتافيزيقية، مثلهم مثل الآخرين.." (7.579)

كتابات بيرس السيميوطيقية :

لم يكن شارل س. بيرس (1839 / 1914) مجهولاً خلال حياته في فرنسا. فقد شارك باعتباره عالم أرض géodesiste في الندوة العالمية الأولى لعلماء الأرض التي انعقدت بباريس عام1876. وقام في العام نفسه ببحوث في المرصد حول حساب الجاذبية. وباعتباره فيلســوفاً، تبادل الرسائل مع ريبوRibot ولالاند Lalande. فلريبو أرســل مقالاتــه للذرائعــية pragmatistes : "كيف نثّبت العقيدة" و"كــيف نصــيّر أفكارنــا واضحة". الأولى ترجمها هو نفسه إلى الفرنســية، والثانية كتبها مباشرة بلغتنا(*). والمقالتان ظهرتا معاً في المجلة الفلسفية في عام (1878و1879). ومع لالاند كان التواصل حــول الذرائعــية ومــن خلال نشاطهما المشترك: تحرير المعاجم

الفلســفية. وعــندما حــوّل جيمس james نظرية بيرس إلى تيار فلســفي، كان اسم بيرس مرتبطاً بالذرائعية، الذي كان يتطلب اسماً جديــداً، وإن لــم يكــن ذلــك ليأخذ طابع الضرورة، ذلك أننا رغم محاولة بيرس تمييز ما كان يسميه ذرائعية جيمس، ورغم محاولات لالانــد، نظــل نخلــط دائمــاً بيــن نظــرية بــيرس حول الدلالة Signification ونظرية جيمس حول الحقيقة "المؤداة" "payante" Vérité.

لم يكن أحد يعرف عن بحوث بيرس السيميوطيقية في فرنسا أو فــي غيرها من البلدان شيئاً، اللهم إلا بعض المحظوظين من أمثال ولــيم جيمس W.james في أمريكا واللادي ويلبي L.welby في إنجلترا. والسبب في ذلك كان بسيطاً للغاية، فبيرس الكاتب المطنب، كان مقلاً في النشر، وما كان ينشره حول العلامات، كان موجهاً إلى علمــاء الرياضــيات أكــثر مما كان موجهاً إلى الفلاسفة. وبيرس اســتطاع أن يدخــل بعض مفاهيم السيميوطيقيا إلى معجم بالدوين Baldwin الــذي كــان أحد محرريه. ولكن كان من الصعب على القــارئ أن ينتــبه إلى أصالة النظام الذي تعتبر هذه المفاهيم جزءاً منه، وخصوصاً بالنسبة للقارئ الفرنسي، حيث إن نظرية العلامات كانت في ذلك العصر تشكل فصلاً ضرورياً في كل كتاب أو مؤلف فلســفي، وحيث إن بيرس كان يعبر في بعض الأحيان بمصطلحات لا يــنكرها لامايــن دوبــيران Maine de Biran ولا جوفــري Jouffroy [1]

وكـــان لابـــد مـــن انتظار صدور الجزئين الأولين من الأعمال الكاملـــة Collected papers [2] عامي 1931 و 1932 كي تعلم أن بـــيرس كان قد أنجز في حياته نظرية حول العلامات، حيث إن تقديمهـــا في موضوعات في الإعمال الكاملة لا يُمكّن البتة من تتبع الـــتطور، بل ويعرض القارئ للاصطدام بسبب تراكم ما يمكن أن يـــراه كتناقضـــات وتشويشـــات. فـــي حين أنه ليس إلا تجاوزات لتصورات تم تجاوزها وتعويضها بأخرى في مرحلة تالية.

يمكننا أن نقسم كتابات بيرس حول العلامات إلى ثلاث مراحل: المرحلة الكانطية (1851ـ 1870) حيث ارتبطت نظرية العلامات بمـــراجعة للمقـــولات الكانطية في سياق المنطق الأرسطي الثنائي bivalente أو الزوجـــي dyadique بشـــكل أدق. ثـــم المرحلة المنطقـــية(1870ـ1887) وخلالهـــا اقـــترح بيرس، لكي يعوض المـــنطق الأرسطي، منطقاً جديداً هو منطق العلامات الذي سيكون الأساس والضامن للتطور الثلاثي عن المقولات والعلامات. وأخيراً المـــرحلة السيميوطيقية (1887ـــ1914) حيث طور بيرس نظريته الجديـــدة للعلامات بعلاقة مع نظريته الجديدة للمقولات. وبالاعتماد أساســـاً علـــى كتابات هذه المرحلة الأخيرة التي نجدها في الأعمال الكاملـــة، وبالاعتماد على رسائله الموجهة إلى اللادي ويلبي[3] من 1903 إلـــى 1911 ، سنقدم عرضنا المنهجي هذا عن السيميوطيقا عند بيرس.

لقـــد كتـــب بـــيرس خلال مرحلته الثانية، مقالاته الذرائعية التي وضعت موضع الجدل التصور العقلاني للفكرة الواضحة والمغايرة.

وبهـــذا الصدد فإن بيرس سيدافع عن الفكرة القائلة بأننا لا يمكن أن نحكـــم على وضوح فكرة ما إلا بواسطة الفعل المغاير الذي تنتجه: إن نفـــس الفكرة، مهما كانت تظهر واضحة، هي فكرة غامضة إذا نتج عنها فعلان مغايران. وليست الفكرتان اللتان تترجمان إلى فعل واحد سوى فكرة واحدة، وهي نفسها، لكن بمظاهر واضحة ومغايرة وهمـــيا. فـــلا يجـــب إذن الخلط بين الدلالة LA Signification والعلامة ذات الدلالة. فمؤول العلامة L' interprétant ليس هو دلالتها، بل هو كما سنرى علامة أخرى.

فلسفة سيميوطيقيا بيرس :

إن نظرية العلامات التي يسميها بيرس (سيميوطيقيا) (sémeiotique) (8.343)[*] أو ســـيميوطيقيا (sémiotique) (2.227) لا يمكن فصلها عن مجموع فلسفته. وإذا كان من الممكن تطبيقها، باعتبارها نظاما قـــائم الـــذات، دون الأخذ بعين الاعتبار الفلسفة التي تتضمنها، فإننا نخشـــى، إن نحـــن أولناها باستقلال عن هذه الفلسفة، أن نسيء فهم معنى ودلالة هذا النظام ومفاهيمه وإجراءاته (Lw,35-36)[**].

إن فلســـفة بيرس التي تنطلق من الفلسفة الكانطية هي فلسفة التجربة المتصورة ضمن فكر العلوم الطبيعية، فكر المختبر (5.411).

إنها استمرارية وواقعية وذرائعية.

استمرارية، لأنها تتعارض بنفس القدر مع الواحدية monisme ومـع للثـنوية dualisme . فمـع الواحديـة تأخذ عليها جمودها ويقينيـتها. وبخـلاف الثنونية تذهب إلى أن الفكر ليس ملكة عارفة خـارج الشـيء المـراد معرفته (شيء، طبيعية)، بل سيرورة في الأشياء، واستمرار مبدع معها. ومن هنا الطابع (الجدلي) والسياقوي Contexualiste (الجماعوي كما يقول جيمس) لهذه الفلسفة. ومن هنا فإن العلامة بالنسبة لبيرس ليست شيئا يتمّ تفكيكه من قبل مؤول مـا بغاية الدقة، بل عنصر مكون من سيرورة لا يمكن تمييز المؤول فيها: أي سيمياء une sémiosis (5.473).

وهـي فلسـفة واقعـية، لأن بـيرس يـتعارض مع الإسمانية nominalisme. وكمـا قال بيرس، فإن الواقعيين (ودانس سكوت كـان أولهم) يعتقدون بأن "الحقيقة تنتمي إلى ما هو حاضر لدينا في المعـرفة الحقيقية مهما كانت"، في حين أن الإسمانيين يعتقدون أن "الأسـباب الخارجية حتماً عن إدراكنا الحسي هي الحقائق الوحيدة"[4]. فالتجريبـيون إذن هم إسمانيون وبيرس ليس منهم كما هو مبين من خـلال الاستشـهاد التالـي: "البـندول الذي نجذبه في اتجاه طرفه 86400 مـرة كـل يـوم، وطوال عشرين سنة، يرجع إلى وضعه الأولي كل مرة. هل هي مجرد صدفة خالصة؟ في حالة النفي، فإن هـذا القانون يعمل حقيقة. وهو قانون عام، وليس عاماً في حد ذاته فقـط، بـل ينطبق على قسم عام من الأشياء، وإذا كان هذا القانون واقعـياً، فـإن هـذا القسـم العام واقعي أيضاً"[5]. ومن هنا الطابع

الاجتماعي لفلسفة بيرس، ليس بطريقة ثانوية أو عن طريق التحويل الاجتماعـــي، لأنـــه اجتماعي بالأساس، واجتماعيته تستتبع إبعاد أو تهمـــيش مؤول العلامة بوصفه فاعلا فردياً (لكن هذا لا يعني نفيه بوصفـــه فاعلاً أو شخصاً، وهذا مشكل آخر). "إن الواقعي هو(...) الـــذي سيصل إليه الخبر أو التحليل في النهاية عاجلاً أو آجلاً، وهو المستقبل عن خيالي وخيالكم إذن. وهكذا، فإن الأصل نفسه لتصور الواقـــع يبين أن هذا التصور يستتبع أساساً مفهوماً لرابطة بلا حدود مرسومة لها وقابلة لتطور معرفي محدد" (5.311).

وهـــي فلسفة ذرائعية، لأن فلسفة بيرس ليست شكلاً لمنفعة ذات مـــذاق أمريكي كما كان يعتقد دائما[6] قبل أن يتجرأ اللسانيون على إدخال البعد الذرائعي الذي أخذوه عن بيرس بواسطة شارل موريس فـــي اختصاصهم. وسوف نرجع إلى المعنى المعطى لـــ(الذرائعي) في السيميوطيقا. إن الذرائعية بالنسبة لبيرس هي الاسم الذي أعطى لطريقة فلسفته الاستمرارية والواقعية: "اعتبار الآثار التي لها امتداد عملي، و تصور هذه الآثار التي نتصورها عن الشيء في تصورنا، فـــي حيـــن أن تصورنا للآثار هذه هو كل ما هو موجود لتصورنا للشيء" (5.2). إن الطريقة تؤدي بالتأكيد إلى "ظواهر عملية" ولكن بشـــرط أن تـــؤدي في الأول " إلى أفكار عامة باعتبارها المؤولات الحقيقية لفكرنا" (5.3).

إن فلســـفة بـــيرس الاســـتمرارية والواقعـــية والذرائعـــية، هي (السينيشـــيزم) (Synéchisme). " فالعالم كله تقريباً يتفق على أن

الخير النهائي يوجد اليوم بشكل ما في السيرورة المتطورة. وإذا كان هذا يحدث بهذا الشكل، فإن هذا لا يوجد في ردود الفعل الفردية المنعزلة، بل في الشيء العام والمستمر. إن السينيشيزم (Synéchisme) يتأسس على الفكرة القائلة إن الجوهر المتّحد (La coalescence)، والمصير المستمر، والمصير الذي تحكمه قوانين، والمصير المحلّى بالأفكار العامة، ليست كلها سوى مراحل في سيرورة تطور المنطق، سيرورة هي واحدة، وهي نفسها (...) فالسينيشيزم لا يتعارض مع ذرائعية المظهر التي طبقها بيرس، لكنه يدخل هذا الإجراء كمرحلة" (5.4).

إن السيميوطيقا التي هي المنطق مأخوذاً في معناه العام هي "نظرية العلامات الضرورية تقريباً، أو الشكلية" (2.227). وبوصفها منطقاً، فإنها تشكل فرعاً من الفروع الثلاثية المكّونة للعلوم المعيارية مع علم الأخلاق وعلم الجمال، والمنطق يستعين بعلم الأخلاق "علم الخير والشر" الذي يستعين هو الآخر بعلم الجمال، علم الخير النهائي، علم (Summumbonum) (1.191)، المرتبط بفكرة الرابطة. إن المنطق (وبالتالي السيميوطيقا) مثله مثل العلمين المعياريين الآخرين، يتأسس على الظاهراتية التي تتأسس هي الأخرى على الرياضيات (1.191).

إن ظاهرية بيرس لها كأصل ظاهرية كانط وليس ظاهرية هوسيل. ولكي يعطيها بيرس تمييزاً عن ظاهرية كانط (وهيجل) فقد أعطاها اسم (الفانيروسكوب phanéroscopie)، وفهمها وعرّفها

فـــي حـــدود واقعيـــته، بدون استتباع سيكولوجي، وذلك في خطاب وجهه إلى ويليام جيمس، باعتبارها "وصفاً لما هو أمام الفكر أو في الوعـــي مثلما هو ظاهر في مختلف أنواع الوعي" (8.303)، التي هي ثلاثة لا أقل ولا أكثر.

لقـــد منحـــت الرياضيات الأرضية للثلاثية الفانيروسكوبية La triadicité phanéroscopique، وباعتـــبار الأمر يتعلق بالأنواع الـــثلاثة للوعـــي " فإنها (أي هذه الأنواع) مرتبطة بأفكار الواحد و الاثنيـــن والـــثلاثة بوصـــفها الصيغ الأولية الثلاث التي لها علاقة بالتحلـــيل المنطقـــي. فواحد بوصفه صيغة للفكرة البسيطة، واثنان بوصـــفها صـــيغة للفكـــرة العادية النسبية، وثلاثة بوصفها الصيغة البسـيطة والوحيدة للتركيب الذي تؤلف الوحدة المباشرة لأكثر من فكرتيـــن، والتـــي لا يكـــون في المستطاع اختزالها إلى زوج من زوجيـــن une paire de paires، بل المتضمنة للفكرة المعبّر عنها بـــ (واو العطف) التي تجمع دائماً ثالوثاً أو مجموعة أكبر" (8.304).

ولهـــذا، فإن المنطق له ثلاثة فروع: النحو النظري أو النحو الخالص الـــذي هو السيميوطيقا بالمعنى الدقيق، ثم المنطق بالمعنى الدقيق أو النقد، ثم البلاغة الخالصة أو الميتودوتيقا (1.191، 2.229) التي تتقابل علـــى التوالـــي مـــع الأبعـــاد الـــثلاثة للعلامـــة: أبعـــاد الممـــثّل representamen والموضوع L'objet، والمؤول L'interpretant، ونحن نحتفظ هنا بمصطلحية بيرس.

المصطلحية السيميوطيقية عند بيرس :

إن مشــكلة (المصطلحية) هي واحدة من أصعب المشاكل، ذلكم أنـــه مـــن شبه المستحيل أن نفرق بين العلامة ودلالتها رغم تباينها السنظري. ولأن بيرس أيضا لم يكن يقترح للاستعمال سوى الألفاظ الجديــدة كي يعبر عن أفكار جديدة. وذلك كما كان بالنسبة لنظرياته الخاصـــة. ومـــن ذلـــك العـــدد المدهـــش مـــن الألفـــاظ الجديدة néologimes الـــذي نعـــثر عليه. وسنقدم فيما يلي لائحة مختزلة بهـــذه المصـــطلحات التي كنا ننقلها في غالب الأحيان أكثر مما كنا نـــترجمها، مـــع المصطلح الإنجليزي الذي نضعه بين معقوفتين*. والـــتعريفات التي سنعطيها لهذه المصطلحات من أهدافها بالأخص تعويـــد القـــارئ على قاموس جديد، وتمكينه من تقريب سيميوطيقيا بـــيرس إلى سيميولوجيا سوسير، مهما كانت الفروقات التي تفصل بيـــنهما. وســـتظهر مصطلحات أخرى في كتابنا. وهي موجودة مع مصـــطلحات هـــذا المعجـــم فـــي الثبت الذي يمكن للقارئ الآن أن يـــراجعه إذا كـــان يريد معلومات أو توضيحات حول هذه المفاهيم الموصوفة هنا.

– **ارتخاء** (Abduction) [Abduction]: انظر استدلال.

– **بـــرهان** (Argument) [Argument]: لا ينبغـــي أن يؤخذ بالمعـــنى الســـيكولوجي. وهـــو ليس تحليلا بالرغم من أن التحليل برهان. والبرهان علامة فرعية ثالثية من بعد المؤول. انظر العلامة

الثلاثية التقابلية الأساسية للعلامة. وهو علامة قانون، لكن ولأنه ثالثي بسبب مبدأ تراتبية للمقولات، فإنه للتعبير المختصر للعلامة التامة: أي العلامة العرفية الرمزية البرهانية. وبهذا المعنى، فإن كل نظام يتضمن قواعد ينبغي اتباعها مخافة تشويه النظام وتحطيمه أيضاً. وما يسميه ويتجنستن Wittgenstein "لعبة الكلام" هو برهان: الألعاب، والشفرات Codes ، والعلوم، والمؤسسات وهلم جرا.

– **أصيل (ة)** (Authentique) [genuine]: كل علاقة أو حالة نوعية نوعية تتطابق حقيقة مع تعريف النمط. ويقال إن العلاقة الثلاثية triadique هي أصيلة حينما لا تكون عناصرها المكونة الثلاثة مرتبطة مع مركب من العلاقات الزوجية.

– **المقولات الفانيروسكوبية** (catégories phanéroscopiques) [catégories phanéroscopic]: أقسام أساسية وصيغ كينونة نهائية للفانيرون. انظر هذا المصطلح، وتوجد ثلاث مقولات فانيروسكوبية متعذرة التبسيط. الأولية، والثانوية، والثالثية.

– **المقولات (مبدأ تراتبية الـ...)** (principe de- (1.530) . la hiérarchie des.. إن الأول يكتفي بذاته، فهو لا يحتاج إلى ثان ولا إلى ثالث لكي يوجد. والثاني يفترض أولاً، ولكنه لا يحتاج إلى ثالث لكي يكون. والثالث يفترض أولاً وثانياً. والنتيجة أن العلاقة إذا كانت بالنسبة للممثل علامة فردية، فإنها لا يمكن أن تكون بالنسبة للموضوع رمزاً، بل لا يمكن أن تكون بالنسبة للمؤول دليلاً

rhéme أو علامة إخبارية dicisigne، ولكن لا تكون برهاناً، وإذا كانت أيقونة، يمكن أن تكون فدليلا.

– **أقسام العلامات** (classes de signes) [classes of sign]:

كـل علامـــة هـــي ثلاثية العلاقة ولها ممثّل، وموضوع، ومؤول. ونظــريا يوجــد 3^3 ، أي 27 قســماً مـــن العلامات الممكنة التي يختصرها مبدأ تراتبية المقولات في عشر، أي:

1. قســم العلامـــات الوصفية (classe des qualisignes): الشعور بـــ (الاحمرار).

2. قسم العلامات الفردية الأيقونية (C.des sinsignes iconique): رسم بياني معطى.

3. قســم لعلامـــات الفردية القرنية (C. des sinsignes indiciaires): صراخ تلقائي.

4. قسم للعلامات الفردية الإخبارية (C. des sinsingnes dicents): دوّارة الهواء.

5. قسم العلامات العرفية الأيقونية (C. des légisignes Iconiques): رسم بياني عام.

6. قسم العلامات العرفية القرنية الفدليلية (C. des légisignes indiciaires): اسم إشارة.

7. قسم العلامات العرفية القرنية الإخبارية

(C.des l'egisignes indiciaires dicents): صراخ في الزقاق.

8. قســم الرموز الفدليلية(C.des symbols rhématiques) : اسم عام مشترك.

9. قســم الــرموز الإخبارية (C.des symboles dicents): تحليل قياسي، علاقة تضمينية.

10. قســم البراهين (C. Des arguments): تحليل قياسي، علاقة تضمينية.

– **استنتاج** (déduction) [deduction]: انظر استدلال.

– **منحلّ** (dégénéré) [degenerate]: يتعارض مع أصيل، بالمعــنى الــذي يستعمل في الرياضيات عندما نقول إن زوجاً من الخطــوط المســتقيمة هو شكل مخروطيConique منحل. فحينما تكــون ثانويــةُ قرنيةٍ ما علاقةً وجودية فإن القرنية أصيلة، وحينما تكــون ثانويةُ القرنية مرجعاً فإن القرنية منحلة. والرمز له صيغتان منحلتان: الرمز الفردي والرمز المجرد.

– **إخباري** (dicent) [dicent]: صفة لـ (علامة إخبارية)

– **علامــة إخبارية** (Dicisigne) [Dicisigne]: علامة فرعية ثانوية لبعد المؤول. وقد أسماها بيرس أيضاً [dicent sign]. وهي العلامــة التي تكون بالنسبة لمؤولها علامة وجود واقعي: إنها تقدم إعلامــاً يتعلق بموضوعه. والجملة البيانية هي أحسن مثال يضرب للعلامة الإخبارية.

– **إيــبو ـ أيقونة** (Hypoicone) [Hypoicon]: اسم للممثل الأيقونــي: وكل لوحة في استقلال عن صيغتها التمثيلية، والتي ليس

لهـا تفسير ولا بطاقة، هي إيبو ـ أيقونة. والإيبو ـ أيقونات تنقسم إلـى صـور (نوعـية بسيطة)، ورسوم بيانية (تماثلات زوجية)، واسـتعارات تمثل الطابع التمثيلي للممثل بتمثيلها توازناً في أشكال أخرى" (2.277).

– **إيـبو ـ سـمة** (Hyposémes) [Hyposemes]: انظـر القرائن الفرعية.

– **أيقونـة** (Icone) [Icon]: علامـة فرعـية أولـى لـبعد الموضوع، وهي تشبه الموضوع الذي تمثله. الصورة أيقونة.

– **أيقونة** (iconique) [iconic]: صفة لأيقونة.

– **قرنـية** (indice) [index]: علامـة فرعـية ثانـية لـبعد الموضوع، تحيل على الموضوع الذي تمثله، وذلك لأنها تقيم علاقة مباشرة به، أو علاقة ملاصقة له كما يقول بيرس. إن مظهر مرض مـا هو قرينة على هذا المرض، لأن المرض هو السبب في بروز هذا المظهر.

– **قرنية** (indiciaire) [indexical]: صفة لقرنية.

– **استقراء** (induction) [induction]: انظر استدلال.

– **استدلال** (inférence) [inference]: (631 ـ 2.619): يوجـد حسـب بـيرس ثلاثـة أنمـاط للاستدلال تطابق المقولات الفانيروسكوبية الثلاث: الأولية ويطابقها الإبعاد (الذي يسميه بيرس أيضـاً، ولكـن فـي القلـيل من الأحيان لحسن الحظ بالفرضية)، والثانوية ويطابقها الاستقراء، والثالثية ويطابقها الاستنتاج.

والاستنتاج هو تطبيق قاعدة عامة على حالة خاصة، مثال:

- قاعدة: كل حبات الفاصولياء في هذا الكيس.
- حالة: حبات الفاصولياء هذه هي من هذا الكيس.
- نتيجة: حبات الفاصولياء هذه بيضاء.

والاستقراء يستدل به على القاعدة انطلاقاً من حالة ومن نتائج خاصة. فإذا كان شيء ما صحيحاً بالنسبة لعدد من الحالات، فإننا نستدل عن هذه الصحة بالنسبة للعدد نفسه من القسم كله.

- حالة: حبات الفاصولياء هذه هي من هذا الكيس.
- نتيجة: ثلثا حبات الفاصولياء هذه بيضاء.
- قاعدة: ثلثا حبات الفاصولياء في هذا الكيس بيضاء.

والإبعاد يستدل به على الحالة انطلاقاً من قاعدة ما ونتيجة ما. والإبعاد يوجد عندما نجد حالة طريفة لا نستطيع تفسيرها إلا إذا افترضنا أنها تطبيق لقاعدة عامة، واخترنا هذا الافتراض دون أن نتحقق منه، إما بسبب عدم الاهتمام أو بسبب الاقتناع بأن التحقق من ذلك يستحيل:

- قاعدة: كل حبات فاصولياء هذا الكيس بيضاء.
- نتيجة: حبات الفاصولياء هذه بيضاء.
- حالة: حبات الفاصولياء هذه هي من هذا الكيس.

- **المؤول (interpretant) [interprétant]**: إن المؤول ليس هو من يؤول العلامة، إنه علامة تحيل ممثلاً على موضوعه، تماماً كما يقول المترجم إن لفظنا في لغة أجنبية **(man)** في الإنجليزية

مــثلاً يحيل إلى نفس الموضوع الذي يحيل إليه لفظ (homme) في الفرنسية.

– **مــؤوول** (بعد الـــ...): من رتبة الثالثية، ويتضمن العلامات الفرعــية الـــثلاث التالية: الفدليل الأول، العلامة الإخبارية الثانية، والبرهان الثالث.

– **المؤولات** (قسم الـــ...) (division des ...) يميز بيرس بين ثلاثـــة أشكال من المؤولات: المباشر (immediate)، والدينامي (dynamique)، والنهائي (final) أو العادي (normal). فالمؤول المباشر هو المؤول الممثل في العلامة، والمؤول الدينامي هو الفعل الواقــع الذي تحدثه العلامة في الذهن، والمؤول النهائي أو العادي هو الحالة العادية، أي الحالة التي تعودنا أن نحيل بها نمط ممثل ما إلى نمط موضوع، والتي نكتسبها بالتجربة. وهذه المؤولات الثلث، مـــنظوراً إلـــيها مـــن جهة المؤول تسمى انفعالية (emotional)، وفاعلية (energetic)، ومنطوقة (logical).

– **علامـــة عرفـــية** (Légisigne) [legisign]: علامة فرعية ثالـــثة لـــبعد الممثل. والعلامة العرفية هي قانون أو قاعدة في شكل علامة. وكل علامة اتفاقية هي علامة عرفية.

– **موضوع** (object) [object]: هو كل شيء مهما كان واقعياً أو متخـــيلاً. يحـــيل المؤول الممثل عليه. ولفظة المرجع يمكن أن تناسبه.

– **موضـــوع (بعد الـــ...) (de dimension...)**: هو من الرتبة الـــثانوية، ويتضمن العلامات الفرعية الثلاث التالية: الأيقونة الأولى (l'icône premier)، والقريـــنة الثانـــية (l' indice second)، والرمز الثالث (le symbole troisième).

– **موضوع (قسم الـــ...) (division de...)** يميز بيرس بين نوعين مـــن المواضـــيع: المباشر (immediate)، والدينامي (dynmique)، والموضوع المباشر هو كما تمثله العلامة، والموضوع الدينامي هو الموضوع الواقعي (الذي بسبب طبيعة الأشياء) لا يمكن للعلامة أن تعـــبر عـــنه، وإنمـــا تشـــير إليه تاركة للمؤول اكتشافه عن طريق التجربة المجانية (collatérale) (8.314).

– **الفانـــيرون (phaneron) [phaneron]** هو كل ما يوجد في ذهن كل كائن، في كل زمان ومكان، سواء طابق شيئاً أو لم يطابقه.

– **الفانيروســـكوبية (phaneroscopie) [phaneroscopy]**: " العلـــم الذي باعتماده على الملاحظة المباشرة للفانيرونات، وبتعميم هـــذه الملاحظـــات، يميز بين كثير من الأقسام الكبرى للفانيرونات، ويصـــف خصـــائص كل قسم منها، ويُظْهِر، نظراً لكونها مختلطة بطـــريقة جـــد مـــبهمة، أنه لا يمكن عزل أي واحدة منها، وأنه من الواضـــح أن خصائصها ليست مختلفة تماماً، ثم يؤكد بشكل يتعذر دحضـــه أن كلية المقولات الكبرى للفانيرون هذه تختصر في لائحة شديدة القصر، ويبدأ أخيراً في العمل الدقيق والصعب الذي يتلخص

فـــي تعـــداد الأقســـام الصغرى الأساسية لهذه المقولات" (1.286). انظر تعدادها وجدول هذه الأقسام في ص 54ــ 64.

– **أول** (premier) [first]: حالـــة خاصـــة بالأولـــية أو صفة للأولية.

– **أولـــية** (priméité) [firstness]: مقولـــة فانيروســـكوبية للإمكانية الكيفية الإيجابية. إنها مقولة الإحساس.

– **علامة وصفية** (Qualisigne) [Qualisign]: علامة فرعية أولى لبعد الممثل. والعلامة الوصفية هي الصفة التي تكون علامة، ولا يمكن أن تشتغل إلا وهي متحققة في العلامة الفردية.

– **ريبلـــيك** (Réplique) [Replica]: للعلامة الفرعية بوصفها علامـــة عامـــة لا يمكن أن تشتغل إلا إذا كانت متحققة في تجربة فردية. وتجسيد العلامة العرفية هذا يسميه بيرس (ريبليك). وهكذا فإن أداة التعريف (الـــ) هي علامة عرفية لا يمكن أن تقوم بدورها كـــأداة تعـــريف إلا وهي متحققة في صوت أو شكل خطي. إن كل ريبلـــيك علامـــة فـــردية، لكن ليست كل علامة فردية ريبليك (أو الصدى).

– **الممـــثل** (Représntamen) [Representamen]: العلامة حينما تظهر بحيلها المؤول على الموضوع الذي تمثله.

– الممـــثل (بعد الـــ...) (dimension de...): هو من الرتبة الأولية، ويتضمن العلامات الفرعية الثلاث التالية: العلامة الوصفية الأولى، والعلامة الفردية الثانية، والعلامة العرفية الثالثة.

- **فدليلي** (Rhématique) [Rhematic]: صفة لفدليل (Rhéme).

- **فدليل** (Rhéme) [Rheme]: هو علامة فرعية أولى لبعد المؤول. وهو علامة تكون بالنسبة للمؤول علامة لإمكانية مميزة (possibilité qualitative) تطابق مصطلح المنطق الكلاسيكي والوظيفة الجملية (la fonction propositionnelle) في المنطق المعاصر.

-**ثان** (second) [second]: حالة خاصة بالثانوية أو صفة للثانوية.

- **ثانوية** (secondéité) [Secondness]: مقولة فانيروسكوبية للفعل الواقع هي مقولة الوجود والفردية.

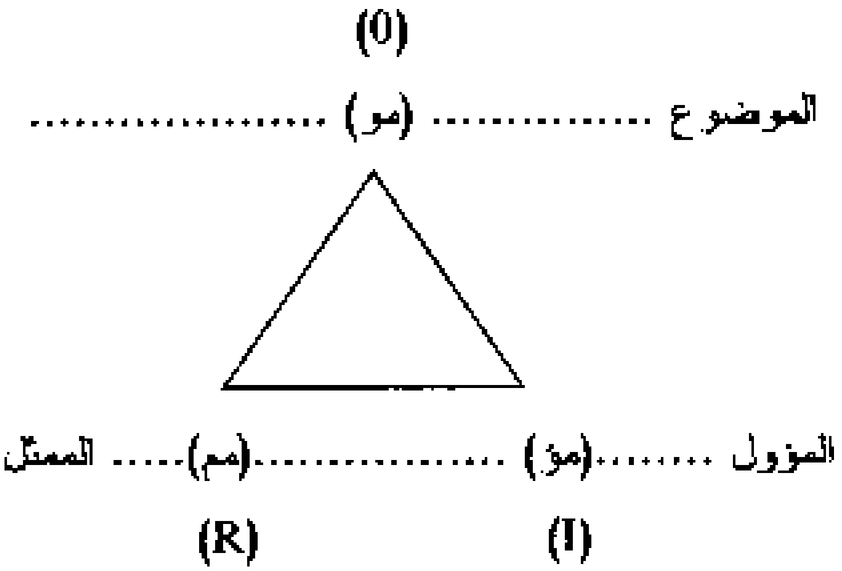
- **سمة** (Sème) [Seme]: انظر قرينة.

- **سيميوز** (Sémiose) [Semiosis]: هي حركة أو سيرورة تفترض تشارك ثلاثة عناصر هي العلامة الممثل، والعلامة الموضوع، والعلامة المؤول. وهذه الحركة المتداخلة بين هذه العناصر الثلاثة لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن تختصر في علاقات زوجية (5.484).

- **سيميوطيقا** (Sémiotique) [Sémiotic]: نظرية شبه ضرورية أو شكلية للعلامات. وهي ليست حسب بورس إلا اسماً آخر للمنطق (2.227).

- **علامة** (signe) [sign]: علاقة ثلاثية بين ثلاث علامات فرعية تنتمي على التوالي إلى الأبعاد الثلاثة للممثل والموضوع

والمؤول. والمؤول الثالث هو العنصر الفعال في العلاقة: إنه يحيل الممثل الأول على الموضوع الثاني. ويمكن بسط العلاقة الثلاثية في المثلث التالي:



شكل 1: العلامة كعلاقة ثلاثية

– **علامـــة** (الثلاثيات التقابلية الأساسية الثلاث لـــ...): وترسم لـــنا هذه الثلاثيات التقابلية الأنماط التسعة للعلامات الفرعية، وذلك كما سيظهر في الجدول المرسوم أدناه.

– **علامـــة فردية** (sinsigne) [sinsign]: وهي علامة فرعية ثانية لبعد الممثل. والعلامة الفردية هي فردية، و(تجسيد) و(تحقق) لعلامة وصفية. أنظر ريبليك (أو الصدى).

– **القرائـــن الفرعية** (sous-indices) [subindices]: بالرغم مـــن وجـــود رابط بين القرائن الفرعية وموضوعها فهي لا تكون

قرائــن، ذلــك لأنهــا ليســت أفراداً، فالاسم الخاص واسم الإشارة والحرف اللاصق بالرسم البياني، هي مجرد قرائن فرعية:

	الأولية	الثانوية	الثالثية
الثلاثية التقابلية للممثل	العلامة الوصفية	العلامة الفردية	العلامة العرفية
الثلاثية التقابلية للموضوع	الإيقونية	القرينة	الرمز
الثلاثية التقابلية للمؤول	التعليل	العلامة الإخبارية	البرهان

جدول 1: الثلاثيات التقابلية الأساسية والأنماط التسعة للعلامات الفرعية

– **الرمــز** (symbole) [symbol]: علامــة فرعية ثالثة لبعد الموضــوع تحيل على الموضوع الذي تشير إليه بفضل قانون، أو بفضل أفكار عامة مجتمعة كما يحدث في العادة. إن موضوع الرمز عــام كما هو الرمز. ولا بد أن توجد في الموضوع حالات خاصة (متحققة) للشيء يشير إليه الرمز مهما كانت متخيلة. فالرمز يستتبع إذن قرينة ما.

– **الرمــز المجرد** (symbole abstrait) [abstact symbol]: وهو شكل منحل عن الرمز الذي ليس لموضوعه إلا طابع عام.

– **الرمز المتميّز** (Symbole singulier) [Singular Symbol]: وهــو شــكل آخر منحلٌ عن الرمز الذي يكون موضوعه فرداً موجوداً، بحيث لا يعني هذا الموضوع إلا الطبائع التي يملكها هذا الفرد.

- الرمزي (Symbolique) [Symbolie]: صفة للرمز.

- ثالثانية (Tiercéité) [Thirdness]: وهي مقولة فانيروسكوبية للقانون الذي يحكم الأفعال في المستقبل، إنها مقولة الفكر، أو بدقة أكبر مقولة الفكر الوسيط (Pensée médiatrice) أو الإبداعي غير التأملي.

- ثالث (Troisieme) [Third]: حالة خاصة بالثالثية، أو صفة للمثالية.

الهوامش :

(*) يقصد المؤلف اللغة الفرنسية (المترجم).

(1) أنظر :

- Main de Biran, Mémoir sur la décomposition de la pensée P,U,F,1952. PP97-107

Th. Jouffroy, Nouveaux mélanges philosophiques Hachette, 3éme ed-1872, pp 273-309:.

(2) - Collected papers, Harvard University Press, 1931-35; et 1959.

(3) - Charles S.pierce's . Letters to lady welby, ed, par Irw, Lied 1953

(*) الرقمان يحيلان على الأعمال الكاملة لشارل س. بيرس المشار إليها في الهامش رقم (3) السابق (المترجم)

(**) الحـــرفان اختصـــار لـــ (اللادي ويلبي)، والإشارة هنا إلى الكتاب المشار إليه في الهامش (3) (المترجم)

(4) Charles S. Perice: contributions to the Nation Part one: 1869- 93, Texas Tech Press, 1975, p.45.

(5) The Nation, 1895, charles S.Peirce's and The Nation, Ibid,p,18.

(6) يكفي قراءة النصوص للاقتناع بالعكس، انظر كتابنا:

Le Pragmatisme, Bordas,1971.

(*) فـيما يخصــنا ســنذكر المصـــطلح العربي أولاً متبوعاً بالمصطلح الفرنسي بين قوسين ثم المصطلح الأنجليزي بين معقوفتين وللإشارة فقد حاولنا أن تكون ترجمتنا للمصطلح ترجمة واضحة بالنسبة للقارئ العربي (المترجم).

القسم الأول

بيرس سوسير

دراسة مقارنة

" لا يجب أن تنفق نتائجنا فوق ما تضمنه
لنا مقدماتنا المنطقية بوضوح " (8.244)

الفصل الأول

بيرس أو سوسير

تصــدر الأبحاث المعاصرة حول العلامة من منبعين اثنين هما: شــارل س. بــيرس (1839 ــ 1914) الذي هو الأصل في التيار السيميوطيقي، وفرناند دو سوسير 1857 ــ1913 الذي هو الأصل فــي التيار السيميولوجي. وسوف نذكر لماذا فضلنا اتباع بيرس بدل سوسـير. وهذا ما سيجبرنا على التكرار، فقول الشيء مرتين يبقى ضــرورياً، وعلــى التوسع في الأشياء التي لا تحتاج إلى التوسع، لأنها تكون أوضح في حالة التوسع.

لنــبدأ أولاً بــبعض الملاحظــات الأولية. إننا لا نعرف نظرية سوســير حــول العلامــات إلا بفضل مؤلفه " دروس في علم اللغة

العــام"[1]، الـــذي هـــو تجمـــيع للدروس التي كان يسجلها الطلبة، والصــــادر بعد وفاة سوسير. وكذلك، فإن نشر كتابات بيرس حول العلامـــة، كـــان في جزء منه بعد وفاته. ونحن الآن نجهل ما كان بـــيرس يريد أن يحافظ عليه، وما كان يريد أن يتخلص منه في هذه الكـــتابات، وما نعرفه فقط، هو أن كل هذه النصوص الموجودة في الأعمال الكاملة Collected papers[2] هي نصوص لبيرس.

وباعتـــباره منقـــباً فـــي مجالات عديدة، لم ينقطع بيرس، طوال حـــياته، عـــن تكويـــن نظريـــته حـــول العلامات، حتى وهو يهتم بموضـــوعات أخرى. لقد وضع أولى صياغاتها في عامي (1867) و(1868)، ثم طور المظهر " التراتبي" في علمي (1877) و(1878)، ثم أعطى لهذا المظهر قاعدة منطقية ما بين عامي (1880) و (1885)، ثـــم أعاد النظر بعد ذلك في تلك الصياغة بناء على هذه القاعدة من عـــام (1894) إلـــى آخـــر حـــياته. أما سوسير، فلم يشر إلى هذا الموضـــوع، موضوع العلامة إلا في الدرس الثاني من دروس علم اللغة العام عامي 1908 و1909 ورغم أن الفكرة كانت سابقة على ذلـــك الـــتاريخ، ويمكن القول قبل عام 1901، إذا نحن أخذنا برأي أدريان نافيل (Adrien Naville)[3]. ومن ثم، فإن سبق سيميوطيقا بيرس على سيميولوجيا سوسير شيء لا يناقش.

إن سوسير عالم لغة أساساً، وهو مؤهل أكثر لدراسة اللغات منه إلـــى تكويـــن نظريات حول اللغة. وعلم اللغة لديه أيضاً ينبني على تحليل اللغات، في حين أن السيميولوجيا لا تأتي إلا بعد ذلك كنظرية

عامة للعلامات اللغوية. وكذلك لم تستأثر به السيميولوجيا، حيث إنه في الوقت ما بين عامي 1909 و1911 كان يبحث عن المفتاح الشعري الساتيرني، وكلفه هذا العمل وقتاً أكبر من الوقت المخصص لتحضير دروسه حول علم اللغة العام.. وعند وفاته، لم يعثر على شيء في أوراقه، وتقريباً لا شيء يتعلق بعلم اللغة وبالسيميولوجيا، بل عثر على مائة وخمسين كناشة حول الشعر الساتيرني[4].

إن المشكلة الأولى التي تعترض قارئ بيرس أو سوسير، وهي ما سنركز الملاحظات التالية عليها، هي مشكلة السياق الذي ظهرت وتطورت فيه السيميوطيقا البيرسية والسيميولوجيا السوسيرية. لقد قال جورج مونان عن سوسير بأنه كان "رجل عصره"[5]، مما يعني أن نظرية سوسير كانت تدخل في سياق علم النفس الترابطي (psy-associationniste) الحي دوماً، وسياق علم الاجتماع الدوركهايمي الناشئ في منعطف القرن. والحال كما لاحظ مونان أن افتراضنا بأن "العلامة اللغوية لا تجمع بين الشيء والاسم، بل تجمع بين المفهوم والصورة الصوتية" [سوسير ــ الدروس، 98] يعني ربط مسائل اللغة بمسائل الفكر التي "تعتبرها مكتسبة" والتي لا يعرف عنها عالم اللغة، إلا القليل بالمقارنة مع ما يعرفه عن اللغة[6]. فالظاهرة اللغوية بالنسبة لسوسير ليست فقط "هوية نفسية" [99]. ومن ناحية أخرى، اقترض سوسير من علم الاجتماع الدوركهايمي القول بأن "اللغة ظاهرة اجتماعية" [21]، دون أن نرى، ربما، ما

يوجد من تناقض في القول أيضاً بأن اللغة مكونة من "روابط يؤكد عليها الاتفاق الاجتماعي" [32]، ذلك أن هذه الروابط التي تتشكل بالضرورة انطلاقاً من الفرد، هي كما يقال خارجية [31]، وقد سحب سوسير نفسه من هذا الإشكال طبعاً، بتمييزه بين اللغة والكلام، أي بين "ما هو اجتماعي وما هو فردي" [30] كما يقول هو نفسه، لكن، هل يعني هذا الحل محاولة لتجنب المشكلة خوفاً من تعقيد النظام دون الخروج من تناقض استحالة الجمع بين النفسي والاجتماعي؟

في هذا الصدد، هاجم بيرس الذي عاصر سوسير والذي كان سابقاً على عصره، النزعة النفسانوية، وهو الأمر الذي مكنه ـــ كما سنرى ـــ من تبني الموقف السوسيولوجي المتناسق. فمعارضة بيرس للنزعة النفسانوية بقيت ثابتة. وهو موقف نجده سواء في مقالاته التي كتبها عام (1868)، أو في رسائله التي وجهها إلى الليدي ويلبي في نهاية حياته[7]. لقد كتب بيرس في عام (1902) أن "تفسير الجملة هو تفسير ما هو مفهوم في النفس بناء على فعل نفسي هو أكثر الظواهر والأحداث ظلامية" [2.309]* . ثم إننا نجد لبيرس في إحدى مقالاته لعام (1868) هذا القول الذي تجيب عنه بالصدى إحدى أطروحات ميشال فوكو الأكثر جرأة: "تماماً كما نقول إن جسماً ما هو في حالة حركة وليس الحركة هي التي في الجسم، ينبغي أن نقول إننا في الأفكار وليس الأفكار هي التي فينا" [5.209]. وإلى الليدي ويلبي، كتب بيرس في عام (1904)

يقـــول: "إنّنـــي أمسك عن الاستعانة بعلم النفس الذي ليس له علاقة بالأديوســكوبي (L'idéoscopie)[8]. والأديوســكوبي التي يعطيها بــيرس اسـم الظاهراتـية أحياناً، هي السياق الخاص بسيميوطيقا بـيرس. وهــذا الأخــير ينبهــنا إلى أن (الفكرة) أو (الظاهرة) أو (الفنــيرون) ليســت هـــي التي نجدها عند الفلاسفة الإنجليز الذين يصــبغون علـــى هذه الكلمة "المفهوم النفسي الذي عمل دائماً على اســتبعاده" {1.285] بــل إنها " كل ما هو، بأي شكل وبأي معنى، موجود في الذهن ومقابل لشيء ما واقعي أو غير واقعي".[1.284] والفنيروســكوبية كمــا يقول أيضاً "تمتنع من الناحية الدينية عن كل نظــرية تهــم العلاقات التي يمكن أن تخلقها مقولاتها مع الأحداث النفســية والعقلــية أو غــيرها" [1.287]، وهــذا لا يعني أن هذه المقــولات لا يمكــن أن يكون لها سبب نفسي، لكن السبب فيها لا يؤثــر على طبيعتها المنطقية أكثر مما يؤثر السبب النفســي للأعداد فــيها (أي لكونهــا تدرك كأفكار بالذهن) على طبيعتها الرياضية. وهــناك مناطقة يبنون المنطق على نتائج علم النفس: إنهم يخلطون بين "الحقائق النفسية والحقائق المتعلقة بعلم النفس" [5.485].

ليس من المفيد إذن أن نعترض على بيرس لكونه يلتزم بالنظرية الســلوكية التــي دافع عنها بشكل ما، وهو الذي بنى عليها نظريته للعلامــات. وهــل كان بيرس سلوكياً في هذا الوقت؟ إن السلوكية التاريخــية تالية للنصوص السلوكية لبيرس، فبعض هذه النصوص ظهــرت باللغة الفرنسية في المجلة الفلسفية عامي 1878 و1897 . ولــم يكــن واطسن (Watson) قد ولد حينما كتبها بيرس. وبتحديد

هـذه النقطة، فمن الصحة القول بأن مبدأ الذرائعية لعب دوراً كبيراً فـي سـيميوطيقا بيرس، وذلك لأن اقتراح هذا المبدأ كان من أجل الإجابـة عـن مسألة لم يجد لها التحليل العقلاني جواباً، بجعله من وضوح واختلاف الفكرة رائزاً للدلالة. وقد تساءل بيرس عما تعنيه الفكـرة الواضـحة، وأجـاب بأنها "تحديد الآثار العلمية التي نعتقد إمكانية صدورها عن موضوع تصورها. فتصورنا لهذه الآثار كلها هـو التصـور الكـامل للموضوع" [5.402][9].. فإذا كان لفكرتين اثنتيـن الآثـار نفسها، أو إذا ترتب عنهما الحدث نفسه، أو النتائج نفسـها، فإنهمـا لا يكونان في حقيقة الأمر سوى فكرة واحدة، وإذا كـان للفكـرة نفسها آثار أو نتائج مختلفة فإنها لا تشكل في الواقع فكرتيـن أو أكـثر تبعاً للحالة. وقد استبدل بيرس الحدس العقلاني بالـتجربة العلمية بكـل ما تحمله كلمة "التجربة" من معنى، سواء المعـنى المخبري أو المعنى العقلي الذي يعطى للفيزياء الرياضية، والـذي يعني هو الآخر وضع الفرضية أو الفكرة في التجربة. ولقد كـان الاستغناء عن الطريقة الحدسية واستبدالها بالطريقة التجريبية يعنـي رفـض علـم النفس الاستنباطي لحالات الوعي، واستبداله بـالعمل، لـيس من أجل بناء علم نفس آخر، كالسلوكية بالطبع. لقد تسـاءل بـيرس عما هي العلامة، فبدءاً: العلامة هي ماتنتجه، وما تنتجه هو دلالتها، وبعبارة أخرى هو قانون الحدث **L'action**.

إن اعـتراض بـيرس على علم النفس هو السبب غير المباشر الـذي دفعـه إلى نوع من السوسيولوجيا يرتبط بالسيميوطيقا، كما ترتـبط الذرائعية بالنقد الديكارتي. ولأن نظرية بيرس ليست نظرية

نفســية، ولأنها ترفض فاعل الخطاب (Le sujet du discours)، فإنها نظرية اجتماعية.

لنشــرحْ هــذا. لقد دافع بيرس عن الطبيعة الاجتماعية للعلامة دائمــاً، لــيس كمــا كان يفعل سوسير بمعارضة اللغة بالكلام، بل بإقصـاء فاعل الخطاب ببساطة. إن الأنا (Le je) هي التي تتكلم، لكــن مــا تقوله ليس ولا ينبغي أن يكون "ذاتياً": إن الأنا هي مكان العلامــات، وهي بالأخص مكان المؤولين، وهي مكان معزول، بل بالعكس، هي مكان في حالة وكل حالة هي حالة اجتماعية..

وبمقــابل نظــرية سوسير فإن نظرية بيرس حول العلامات هي نظــرية جمعية وملتزمة (بدلالة سياسية أو بدونها تبعاً لكون مكان تطبــيقها سياســياً أم لا). وهــذا التصور الجمعي والملتزم للعلامة يرجع إلى الطبيعة نفسها للعلامة في سيميوطيقا بيرس.

العلامــة إذن علاقــة ثلاثــية، وثلاثية بيرس للعلامة لها أصل مزدوج وكانطي. رياضي لأنه "يستحيل تكوين ثلاثي أصيل دون أن يتم إدخال عنصر ما يختلف من حيث الطبيعة عن الوحدة والزوج". وهكذا فالفعل المتلخص في إعطاء (أ) لـــ (ب) هدية هي (س)، هو علاقــة ثلاثــية. وبوصفه كذلك، فإنه من غير الممكن تقليصه إلى توليف ثنائي العلاقة. وفكرة التوليف هذه نفسها تفترض أساساً فكرة التولــيف الثلاثي. ذلك لأن التوليف هو شيء كائن بوجود الأجزاء التــي بعضــها في علاقات. لكن يمكن لنا استبعاد هذا الافتراض، وبالتالي نفي مقدرتنا كذلك على التفكير في أن " (أ) يمنح (س) إلى

(ب) عــن طريق إدماج علاقات ثنائية بين (أ) و(ب)، وبين (ب) و (س)، فـ (أ) يمكــن أن يجعل من (ب) إنساناً غنياً، و(ب) يمكن أن يســتحوذ على (س)، في حين سيتخلى (أ) عن (س) دون أن يكون (أ) هــو الذي يمنح (س) إلى (ب). لهذا الأمر ينبغي أن لا تتواجد هــذه العلاقــات الثنائية الثلاث فحسب، بل عليها أن تنوب في فعل واحــد. إننا نرى إذن أنه يستحيل تحليل ثلاثية إلى ثنائيات [1.363] أمــا الأصــل الكانطي لنظرية بيرس، فيتجلى في النية التي أفصح عــنها هــو نفســه عــام (1867)، عندما اقترح لائحة جديدة من المقــولات، وهــي لائحة تتأسس على "اختزال مختلف الإحساسات المــتعلقة بالحواس إلى إحساس واحد". الشيء الذي لا يمكن أن يتم إلا بواســطة المقولات [1.545]. غير أن التركيب لا يمكن أن يتم عــند بيرس، كما كان يتم عند كانط بالحدس، بسبب أن بيرس أبعد الحدس وكل ما يتعلق بعلم النفس، كما يظهر ذلك من خلال مقالاته المناهضــة للعقلانية عام(1868). وبالنسبة لبيرس فإن "الوحدة التي يختزل إليها الذهن الإحساسات هي وحدة الجملة " [1.548]. والحال أن مــنطق العلاقات يمكن من التمييز في الجملة بين وظيفة جملية أولى، وبعبارة أخرى بين علاقة لا يشار فيها إلى الأشياء أو الألفاظ التي تدخل في العلاقة (... يحب...)، وبين جملة بسيطة ثانية تشير إلــى أن العلاقة توجد بالنسبة للأشياء أو الألفاظ التي يسميها بيرس القرائن (إيزيشيال يحب هولدا، أي ع) [40]، وبين جملة مركبة ثالثة تضــع فــي علاقــة (رابطة، أو منفصلة، أو استتباعية، أو علاقة

أخـــرى) مجموعـــة مـــن الجمل. ومن هنا نفهم المقولات المنطقية الفنيروســكوبية الـثلاث: الأولية، أو مقولة الكيفية التي تفيد تعميم الممكـــن، والـــثانوية أو مقولـــة الوجـــود أي الحـــدث الواقـــع في خصوصـــية، فـــي الهـــنا والآن، والثالثية أو مقولة الفكرة الوسيطة وعمومـــية الوســـيلة. إن العلامة هي أولى عندما تحيل على نفسها، وثانـــية عندما تحيل في الحال على موضوعها، وثالثة عندما تحيل علـــى مؤولهـــا. (وإذا ما اعتبرنا العلامة في ذاتها، فإن موضوعها ومؤولهـــا هما معاً علامتان، ولهما العلاقة الثلاثية نفسها مع ذاتهما، ومـــع موضوعهما، ومع مؤولهما. وهكذا فنحن إذا بحثنا عن كلمة (إنســـان) فـــي قاموس فرنسي ــ إنجليزي، فإننا سنجد مقابل كلمة (إنســـان) كلمـــة (man) التـــي تمثل (homme)، كما تمثل نفس المخلوق ذي القائمتين الذي تمثله (man) نفسها [1.556]. وبحسب بـــيرس، فـــإن هذا الأمر يفهم انطلاقاً من العلامة الثالثة، وهذا فقط لأنـــنا نتوصل باحساسات متنوعة. ونحن لو كنا نملك إحساساً واحداً فقـــط، لما كنا نحتاج إلى "مفهوم المرجعية إلى المؤول"، وذلك لأنه لن تكون هناك تعددية ينبغي اختزالها إلى وحدة واحدة [1.554].

إن نظـــرية سوسير نظرية ثنائية . هذا أمر مؤكد. فكل تحليلات سوســـير تحلـــيلات ثنائـــية الفـــروع: دال / مدلول، لسان / كلام، ســـاكروني / دياكرونـــي...إلخ. فهل ينبغي أن نرى في هذا الأمر طـــابع "المزاج الثنائي التفريع" لسوسير، كما يشير إلى ذلك مارسيل كوهـــن؟ فـــي هذه الحالة يجب أن نتحدث عن مزاج بيرس الثلاثي

التفريع. لأن التفريع الثنائي هذا كما يلاحظ مارسيل كوهن، لم يعد "ضرورياً البتة في دراسة اللسانيات"[11]. إن سيميولوجيا سوسير لكونها ترابطية، فهي ثنائية. كما هو الحال بالنسبة للفلسفة الغربية كلها منذ أفلاطون، وضمنها الفلسفة العقلانية التي مدت في عمرها النزعة الترابطية. وعلى العكس من ذلك فالسيميوطيقا بالنسبة لبيرس هي اسم آخر للمنطق. فهي "النظرية الضرورية تقريباً والمؤكدة للعلامات" [2.227] في حين إن السيميولوجيا بالنسبة لسوسير هي "جزء من علم النفس الاجتماعي، وبالتالي من علم النفس العام" [الدروس،33] ولتفادي أي سوء تفاهم، يمكن القول إن الشيء الذي يوضع موضع السؤال هنا هو الموقع الذي تحتله نظرية العلامات بالنسبة للعلوم الأخرى. ونحن عندما نقول بأن نظرية المقولات تفسر لنا نظرية بيرس للعلامات، فالأمر يتعلق بشيء آخر، أي يتعلق بالنظام أو السياق المرجعي المفسر. ومع أن سوسير قد جعل من علم النفس مجالاً للسيميولوجيا ونقطة مرجعها، فإنه لابد من التمييز بشكل دقيق بين السيميولوجيا كعلم نفسي وبين الفلسفة النفسية لأصحاب المذهب الترابطي التي ساعدها على التعبير عن نظريتها للعلامات. ومهما كانت هذه الفلسفة ضمنية، فإنها لا تغير شيئاً في الأمر، إلا إذا فهمنا أن سوسير، وهو ينتبه إلى ضرورة وجود وسيلة تضاف إلى السيميولوجيا للتعبير عن العلامات، وجد نفسه مضطراً لكي يجعل من اللسانيات هذه الوسيلة، اللسانيات التي هي جزء من السيميولوجيا، لأن "اللغة هي فعل

سيميولوجي" [112]، و"هي شفيعة السيميولوجيا" [101]. يجب القول إذن، لتبرئة ساحة سوسير، بأنه كان واعياً جداً، من جهة بأن التحليل البسيكو ـ اجتماعي للعلامة يؤدي "إلى إهمال الطبائع التي لا تنتمي إلا إلى الأنظمة السيميولوجية عموماً، وإلى اللغة خصوصاً" [34]، ومن جهة أخرى فإن "المشكل اللساني هو قبل كل شيء مشكل سيميولوجي". وكما يقول مونان "فقد كان من المحتمل لو أن سوسير لم يمت، أن تكون نظريته للعلامة نقطة انطلاق وتنظيم لنظريته كلها"[12]. ومن هنا، وكما نعتقد، كانت ستطرح عليه دون شك مشكلة تكوينها المنطقي. فهل كان سوسير سيتخلى عن المنطق الثنائي؟ هل كان سيدخل بعداً ثالثاً إلى نظريته عن العلامات، كما أصبح يفعل رولان بارت؟ ("فالمعنى كما يفهم منذ الرواقيين، يتشكل من ثلاثة أشياء: الدال والمدلول والمرجع")[13]. إننا لا نغامر بقول ذلك. فما هو مؤكد هو أن النظرية الثلاثية للعلامة نظرية تحمل سيميوطيقا متعددة وملتزمة برفضها بارت، وهي السيميوطيقا التي وضع بيرس عناصر نموذجها الذي يظهر أن جوليا كريستيفا كانت تتمناه[14].

إن العلامة نفسها تنتمي إلى مقولات، وإلى أنماط وأقسام من العلامات مختلفة بحسب النظر إليها، سواء بالنسبة لذاتها كعلامة أولى، أو بالنسبة لموضوعها كعلامة ثانية، أو بالنسبة لمؤولها كعلامة ثالثة. فبالنسبة لذاتها فإنها كما هي مستقلة عن موضوعها وعن مؤولها. ولكن كعلامة أولى ستكون إمكانية لعلامة، أي

ستكون علامة وصفية، وكعلامة ثانية، ستكون علامة حقيقية (رسماً، أو أثراً مميزاً): أي ستكون علامة فردية، وكعلامة ثالثة ستكون علامة مقننة أو علامة نموذج مثالي: أي ستكون علامة عرفية. وبالنسبة لموضوعها، يمكنها: إما أن تشبه، أو أن تشير إليه، أو أن تحدده. فهي إذن بالتسلسل: إما أيقونة أو قرينة و / أو رمز. وبالنسبة لمؤولها، لن تكون إلا متصورة أو ممثلة (فدليل Rhéme)، أي ستكون علامة ثنائية، أو مؤولة باستدلال، بكل ما في كلمة الاستدلال من معنى (برهان Argument). وهكذا، فالآثار في المثال المأخوذ عن بيرس نفسه "آثار الأقدام التي تركتها فندرودي (Vendredi) "، هي بالنسبة لذاتها علامة وصفية، أي علامة، لكيفية (بعيداً عن كونها تعبر عن شيء مطبوع على الرمال)، وهي علامة فردية باعتبارها تمثل هذه الآثار الفريدة من نوعها التي توجد هنا، وفي هذا المكان المحدد من جزيرة روبنسون (Robinson)، لكنها لن تكون علامة عرفية، ذلك لأن العلامة العرفية هي علامة لقانون، ولها عمومية لا تملكها بصمة أقدام فندرودي، ويمكن لها أن تكون علامة عرفية في سياق آخر، إن هي ساعدت كما هو شأن البصمات على التمييز بين فندرودي وبين سكان الجزيرة الآخرين في حالة وجودهم. وبالنسبة لموضوعها، فأقدام فندرودي هي أيقونة كاملة، مع أنها مقلوبة كما هو الحال مع صورة أي شخص ينظر إلى نفسه في المرآة. ولكنها في الوقت نفسه قرينة لحضور ما في الجزيرة، ليس لحضور أي شخص،

وإنمـــا لحضـــور كائن إنساني يكون شكل أقدامه بمثابة الرمز لدى المـــؤول الـــذي يستكمل بتمثيل هذا الشكل، وبما يشير إليه، على أن إنساناً ما يوجد في مكان ما من الجزيرة.

مـــن هـــنا نـــرى أن السيميوطيقا البيرسية هي في الوقت نفسه سيميوطيقا التمثيل، والتواصل، والدلالة. والعلامة كما هي لها وجود خاص، أي لها وجود للا علامة، كما يمكن أن نقول إن السفير، مع أنـــه يمثل بلاده، يمثل ما هو بالنسبة لنفسه، بتاريخه الشخصي الذي يميزه عن سابقه، وبالدور الذي يقوم به في الوقت الذي يقدم أوراق اعـــتماده. إن ألفاظ (دور) و(في الوقت الذي) تحدد بدقة المستويين الأخريـــن للعلامة نفسها. فـ "الدور" يرجعنا إلى المعنى الذي يشكل قـــاعدة التأويل في نظام علامات مؤولة. وتقديم أوراق الاعتماد هو لعبة لها قواعدها، ومعنى للحركات له طابع عمومي، لأن الحركات هـــي نفسها بالنسبة لكل سفير، وفي كل مناسبة يتم فيها تقديم أوراق الاعـــتماد. إن ألفـــاظ (في الوقت الذي) تشير إلى أن اللعبة تجري الآن، فالتواصـــل الذي يشكل تقديم أوراق الاعتماد يحدث الآن. إن هـــذا التواصل هو إذن فعل فردي مجسد، وحدث من التاريخ وفيه. والمعـــنى هـــو قاعدة الحدث: إنه يعطي تعريفاً لكل حدث من نفس الـــنمط فـــي نظام علامات معطى. (وكما هو معلوم يمكن أن ينظر إلـــى التمثيل، والتواصل، والدلالة، وبالتسلسل كعلامات أولى وثانية وثالثة). وهذا النظام لا يضم إلا الرموز، لكن هذه الأخيرة لا تحيل فقط على الرموز، وإنما تحيل أيضاً على علامات (ممثلة) يمكن أن

تكـون قرائـن (وجودية) لموضوعات، بكل ما في هذه اللفظة من معنى: ممكنة أو وجودية أو عامة. إن احتلال الباستيل (Bastille) هو رمز في نظام دلالات تاريخ فرنسا. إنه يحيل على فكرة ما عن الحـرية، وعن نفي الاعتباط أو رفضه. ولكن الوثائق التي وصلتنا (إذا مـا وجد القصر المدمر) والتي مثلتها مخيلتنا، هي قرائن لدولة فرنسـا التـي وصفها التاريخ وأولتها أنظمة الرموز. ولا يجب أن نسيء الظن بأنفسنا، فالبدء في الحدث لا يتحدد بحدث معطى ، لأنه لا يوجـد حـدث بدون قانون للحدث يعطي ويشكل في الوقت نفسه الدلالـة. فالالـتزام يوجـد في الملتقى الاجتماعي دائماً لاتجاهات العلامة الثلاثية.

هل يمكن إذن أن يختار المرء ما بين بيرس وسوسير؟ قد يكون السـؤال بصيغة أخرى فنقول: هل نبني نموذجاً انطلاقاً من التجربة أو نحلـل الـتجربة فـي ضوء نموذج لا ينبغي أن تكون مبادئه أو مسـلماته مستقاة من صدفة اللقاءات بل من تجانس القرار؟ بصيغة أخرى: كيف نختار ما دام كل نموذج يشكل نموذجاً مستقلاً ولا يقبل أي تدخـل خارجي؟ فمن الممكن أن نحاول تقديم سيميوطيقا بيرس وأن نحكم عليها بواسطة المصطلحات السوسيرية، وأن نختار تقديم سـيميولوجيا سوسـير وأن نحـاول أن نحكم عليها بالمصطلحات البيرسـية، واختبار صحتهما يكمن إذن ــ في التحليل الأخير ــ في تناسـق النموذج الذي سنخرجه منهما وفي خصوبة التحليلات التي سيتيحها لنا هذا النموذج. فلا يمكن أن نختار دون أن نلتزم.

الهوامش :

(1) Saussure, Cours de linguistique générale, Paris et Lausanne, Payot 1916

(2) Peirce,Collection papers, Cambridge,Mass.Harvard University 1931,1935,1958.

(3) Naville, Nouvelle classification des sciences.

(4) انظر في هذا الموضوع:
Robert Godel, les sourecs manuscrites du cours de linguistique générale de Ferdinand de Saussure, Genéve, Droz et Paris, Minaud,1957.

(5) Mounin, Saussure, Paris, Seghers,1968,p.21

(6) Ibid, p.25.

* الإشــــارة هنا ــ وفيما سيلي ــ إلى رقم الصفحة من كتاب دروس في علم اللغة لسوسير (المترجم).

(7) Charles S.Peirce's Letters to Lady Welby, Irwin Lieb, ed. New Haven, connecticutt, Whitlock's Inc, 1953.

* الإشــــارة هنا إلى رقم الصفحة ورقم المجلد من كتاب " Collected papers" [المترجم]

(8) Charles S.Peirce's letters to Lady Welby, op. cit p.7.

(9) Revues philosophique Janvier 1879, p.48.

(10) انظر

Justus Buchler, Charles S.pierce's Empiricism, London, kegan Paul, 1939, pp. 114-115.7

(11) Marcel Cohen, Linguistique et idêalisme, in recherches interna tionales à la lumière du marxisme, 1958, cité par Mounin

(12) op.cit.

(13) cit., p.50.

(14) Barthers par lui- m'eme, Paris Ed. Du Seuil, p.169

(15) Tel quell , Théorie d'ensemble, Paris, Ed.du Seuil, 1968, p.81.

الفصل الثاني

سوسير وبيرس

مـــن الممكن جداً، بل ومن السهل أيضاً، أن نجد في سيميولوجيا سوســير بعض المفاهيم الأساسية المرتبطة بسيميوطيقا بيرس، هذا بالــرغم من اختلاف سياقي السيميولوجيا السوسيرية والسيميوطيقا البيرسية. وهذا الأمر لا يعني تماثل هذه المفاهيم وتلك. ومشروعنا أيضاً لا يريد أن يخلط بين هذه المفاهيم السوسيرية بعد أن نكون قد عارضـــناها، وإنما سيتيح لنا الاستفادة من المفاهيم السوسيرية التي نفترض أننا فهمناها، من أجل فهم المفاهيم البيرسية. وإذا كنا سنأخذ بالـــنظام البيرســي كمـــرجع، فهــذا راجع إلى أن طابعه الثلاثي

(triadique)، يتـــيح لـــنا إدخـــال بعـــض التلويـــنات في التحليل العلاماتي، هذه التلوينات التي انتبه إليها سوسير في بعض الأحيان، ولكن الطابع الثنائي لنظامه لم يسعفه في التعبير عنها.

I ـ مبادئ نظرية العلامات :

يمكـــن أن تجد مبدأين من مبادئ سيميوطيقا بيرس لدى سوسير: المبدأ الأول هو أن لا وجود للفكرة دون وجود للعلامات: إذ "بدون مســـاعدة العلامـــات، فإنـــنا نكون عاجزين عن التمييز بين فكرتين بشكل واضح ودائم " [دروس في علم اللغة العام،155]. أما المبدأ الثانـــي، فهو مبدأ الذرائعية الذي يتضمنه تصور سوسير للاختلاف. إن العلامـــة لـــيس لها خصوصيات إلا لأنها لا تتطابق مع علامة أخرى [163]. فـــ "لا توجد في اللغة إلا الاختلافات" [166]، ولكن "ولأن الدال والمدلول المأخوذين كل واحد منهما على حدة تفاضليان ومـــالهان بلا قيد أو شرط، فالتوليف بينهما أمر إيجابي، لأنه يتسبب في خلق نظام من القيم، هذا النظام الذي "يشكل الرابط الحقيقي بين العناصـــر الصـــوتية والنفســـية داخل كل علامة" [166]، "ما يميز العلامـــة ومـــا يكونهـــا فـــي اللغة وفي أي نظام سيميولوجي، هو الاختلاف الذي يعطي الطابع، كما يعطي القيمة والوحدة" [168] هذا مـــا تؤكـــده بعـــض المظاهر التطورية. وهكذا فـــ "عندما يختلط مفهومـــان اثـــنان بسبب التغير الصوتي (مثال ذلك = decrepitus

pus – crisdécrépit decrepit)، فـإن الأفكـار تميل إلى الاختلاط أيضاً، وإن كانت قليلة التناسب. فهل يكون المفهوم مختلفاً (مثال Chaise و Chaire)؟ بالتأكيد إن الاختلاف الذي يظهر يميل إلـى أن يصبح اختلافا دالاً " [167]. إن بيرس لا يقول شيئاً آخر، وإن كـان يقوله بأسلوب آخر. "ليس هناك من فرق دقيق في الدلالة لكـي نستطيع أن نعطي اختلافاً في الإنجاز" [5.400]. لقد تساءل بيرس عن كيفية "تحاشي مخادعات الكلام" [8.33]، تلك المخادعات ا لتـي "يكفي أن يدخل اختلاف نحوي بسيط بين كلمتين لكي يؤدي ذلك إلى اختلاف في الأفكار التي تعبر عنها الكلمتان" [5.399]، فلا توجـد "قـاعدة أحسن" من التالية: "إذا كانت الأشياء تؤدي الوظيفة نفسـها تمامـاً، فلنعـبر عنها إذن بالكلمة نفسها. وإذا كان العكس فلنمـيز بيـنها [8.33]، وهـذا ما أسماه بيرس بمبدأ الذرائعية، أو بالمبدأ الأساسي في الذرائعية.

II ـ تحليل العلامة :

1 ـ التحليل البيرسي :

لـنتذكّر أولاً بـأن تحليل بيرس يتم إنجازه سيميوطيقياً في ثلاثة أزمـنة، وفـي ثلاثـة مسـتويات مختلفة العلاقة: 1ـ بالعلاقة مع الممـثل: تحلـل العلامـة ذاتها بعلاقة مع ذاتها، 2ـ بالعلاقة مع موضوعها، 3ـ بالعلاقة مع علامة المؤول، وبعبارة أخرى بالعلاقة مـع العلامة أو مع مجال العلامات الذي يضع القارئ والمستمع فيه

الممـــثل لكي يمكن لهذا الأخير أن يحيل على الموضوع. إن الزمن الثالـــث أو المســـتوى الثالـــث يفـــترض عـــن طـــريق الاستعادة السيميوطيقية وجود الزمنين الثاني والأول، وكذلك فإن الزمن الثاني أو المســـتوى الثانـــي يفـــترض وجود الزمن الأول. ومن هنا، فإن الجـــدول التالي يوضح لنا التحليل البيرسي، ويمكّن من التمييز بين تسعة أنماط مع العلامات الفرعية (Les sous- signes):

	1	2	3
مم1 (R)	علامة وصفية	علامة فردية	علامة عرفية
مو2 (O)	أيقونة	قرينة	رمز
مؤ3 (I)	فتليل (ريم)	علامة ثنائية	برهان

جدول (2) ـــ الأنماط التسعة للعلامات الفرعية

2 ـ العلامة :

أ ـــ خطية العلامة والسيميوز (Sémios):

بالنســـبة لسوســـير "توجد العلامة اللغوية بين المفهوم والصورة الســـمعية " [98]، أي توجد بين الدال والمدلول [99]، فهي "جوهر نفســـي ذو وجهيـــن "[99] أما بالنسبة لبيرس، فالعلامة سيميوز أي علاقـــة حقيقـــية بالمعنى الفعال للعلامة. و"السيميوز يعني الفعل أو

الأثــر الذي هو تشارك. أو الذي يفترض تشارك ثلاثة فواعل، هي علــى التوالــي: العلامة، وموضوعها، ومؤولها. وهذا الأثر ثلاثي العلاقة لا يمكن بأي شكل أن يختزل إلى مجرد علاقات بين أزواج " [5.484]. وفــي هــذه الحالــة، كمــا في تلك، تكمن استمرارية العلامة. لكن هنا أيضاً يتوقف التقارب، لأن الخطية زمنية، وهي لا تصــلح إلا بالنسبة "للدوال السمعية" فقط للعلامة اللغوية، ولا تصلح حــتى بالنسبة "للدوال المرئية" (الإشارات البحرية...وهلم جرا) [103]. أمــا السيميوز، فهي منطقية وتشمل كل السياق السيميوطيقي إلى ما لا نهاية (ad.infinitum) [2.303] وتجدر الإشارة إلى أن سوسير يقــر بأن "الجوهر اللغوي لا يوجد إلا بإدماج الدال والمدلول"، وأنه "يختفي حينما لا نقبض إلا على واحد من هذين العنصرين" [144]. وهذا ما يبدو واقعاً في هذه الحالة.

ب ــ اعتباطية العلامة والمؤول:

إن العلامــة الاعتباطية لا تحلل. وبهذا المعنى أيضاً ينبغي فهم المؤول. فالأخير لا يؤول بشكل حر: إنه مترجم يقول في لغة معينة الشــيء نفســه الــذي يقال تماماً في لغة أخرى. وقد كتب سوسير مشــيراً إلــى أن العلامة الاعتباطية لا ينبغي أن نفهم منها أن الدال يتــبع الاختيار الحر للمتكلم (وسنرى أنه ليس بمقدور الفرد أن يغير شيئاً في العلامة التي تكون المجموعة اللغوية قد أقامتها) " [101]. فــ"الجماعــة ضرورية لإقامة قيم يكون سبب وجودها الوحيد هو

استعمالها[1]، والاتفاق العام الحاصل حولها[2]. أما الفرد بمفرده، فعاجز عن ذلك" [157].

ج ــ نظام العلامات وفهرسته، ومجال العلامات وحقلها :

"إنه لوهم كبير أن نعتبر لفظاً ما كما لو أنه ببساطة اتحاد بين صوت ومفهوم. فتعريف اللفظ هكذا يعني عزله عن النظام الذي هو جزء منه، ويعني الاعتقاد أيضاً أنه من الممكن أن نبدأ بمعرفة الألفاظ، وبعد ذلك بناء نظامها عن طريق جمعها، في حين أنه ينبغي ــ على العكس من ذلك ــ الانطلاق من الكل الموحد، من أجل الوصول عن طريق التحليل إلى العناصر التي يشملها هذا الكل " [157]. أما بيرس، فإنه يميز بين ثلاثة أنماط في النظام العلامي، وذلك على اعتبار النظر إلى العلامات في حد ذاتها (الفهرسة)، أو النظر إليها بعلاقة مع موضوعها (المجال domaine)، أو بعلاقة مع مؤولها (الحقل Champ) ويجب التنبيه إلى أن فهرسة الممثلين، ومجال الموضوعات، وحقل المؤولين بالنسبة لبيرس لا تقبل الفصل.

د ــ القيمة والمؤول :

لقد ميز سوسير قيمة الدلالة. والتعريف الذي أعطاه للقيمة في علاقتها مع الدلالة يناظر مناظرة تامة تعريفه للمؤول. (انظر الجدول رقم 3).

إن الدلالة هي الوجه الآخر لهذه الصورة السمعية التي هي الدال [158]. ثـم إن قـيمة كلمة ما لا تتحدد بإمكانية استبدالها بفكرة أو بكلمـة أخـرى، وإنمـا هي متأتية من كونها تنتمي إلى نظام، أو بالأحـرى إلى حقل من المؤولين، "ومضمون الكلمة لا يتحدد تماماً إلا بمسـاعدة ما يوجد خارجاً عنها"، وقيمة أي لفظ تتحدد بما يحيط بـه " [160]، وهكـذا فإن كلمتي Sheep و mouton لهما الدلالة نفسها، لكن ليس لهما القيمة نفسها [160]. والسبب في ذلك أن للغة الإنجليزية في فهرستها للدلالة على mouton كلمتين، هما muton و sheep، فـي حين أن اللغة الفرنسية لا تملك سوى كلمة واحدة. فمـا يحدد الدلالة في اللغة الإنجليزية هو فهرسة العلامات، بينما ما يحـدد ذلك في ذلك في اللغة الفرنسية هو حقل المؤولين. وقد وضع سوسـير بين قوسين مجال الموضوعات كما سنرى ذلك في مكان لاحق.

فهرسة الممثلين	مجال الموضوعات	حقل المؤولين
الخروف Mouton Sheep	حي	كل الدلالات
الخروف Mouton Mutton	لحم	غذاء

جدول (3) القيمة والمؤول

كذلك نجد في اللغتين الألمانية والإنجليزية فهرسة لعلامتين (mieten و vermiet ; و to rent و to let) كمقابل للعلامة الفرنسية الوحيدة (Louer) في معنييها (استأجر بيتا لنفسه) و (استأجر بيته للغير)، بحيث إن التمييز بين الدلالتين يرجع إلى حقل المؤولين، أو إذا شئنا إلى السياق [161]. ويمكن أن نشير إلى ملاحظات مماثلة بالنسبة للجواهر اللغوية. فقيمة الجمع في اللغة الفرنسية لا تطابق قيمة الجمع للسنسكريتي الذي يشمل المثنى والجمع [161]. إن علاقة دال ـ مدلول "ترمز إلى الدلالة "، ولكنها "ليست سوى قيمة محددة بروابطها مع قيم أخرى مماثلة و.. بدونها لن تتحقق الدلالة [162]. إذن، فبدون مؤول ليست هناك دلالة.

3 . الثلاثيات التقابلية للعلامة :

أ ـ الثلاثية التقابلية للممثل :

1 ـ الدال. العلامة الوصفية والعلامة الفردية:

لقد رأينا بالنسبة لسوسير أن "العلامة اللغوية توحد بين المفهوم والصورة السمعية" [68]، أي بين الدال والمدلول [99]. والحال أن الصورة السمعية ليست هي "الصوت المادي كشيء فيزيائي محض، بل هي الأثر النفسي لهذا الصوت، والتمثيل الذي تمنحه لنا حواسنا عن هذا الصوت وتشهد به " [98] فالصورة السمعية ستكون إذن علامة وصفية (نفسية)، وصوتها المادي سوف يكون علامة فردية.

وستـرى لاحقـاً في الحالة الخاصة لهذه العلامة التي هي العلامة اللغويـة، أن الصورة السمعية المعطاة (التي هي علامة فردية على كل حال) هي إجابة على علامة عرفية.

2 ـ العلامة الاعتباطية والعلامة العرفية:

لقد عرف سوسير العلامة الاعتباطية عندما تساءل عما إذا كانت بعـض صـيغ التعبـير كالحـركات الإيمائـية، تخرج عن مجال السـيميولوجيا: " إن كـل وسائل التعبير التي يتقبلها المجتمع. يقول سوسـير ـ تنبنـي، مبدئـياً، علـى عادة جماعية، أو على اتفاق. فعلامـات الاحـترام المحملة في معظم الأحيان بنوع من التعبيرية الطبيعية مثلاً، لا تثبتها القاعدة بشكل أقل، بل هذه القاعدة هي التي تفـرض اسـتعمالها وليست قيمتها الباطنية" [100 .101] فالعلامة الشمولية (دال / مدلول) هي علامة عرفية إذن، أي قانون هو نفسه علامة " [2.246]

3 ـ الصدى الجوابي (Laréplique):

"إن العلامـات التـي تـتكون مـنها اللغة ليست تجريدات، بل موضـوعات حقيقـية" [144]. والعلامات اللغوية لكي تكون نفسية أساسـاً ليسـت تجريدات، والصور المتفق عليها عن طريق الاتفاق الجماعي والتي تشكل مجتمعة اللغة، هي حقائق مستقرها هو الذهن. بالإضـافة إلى ذلك، فعلامات اللغة هي كما يقال ملموسة" [32]. إن

العلامـــات ليست تجريدات. وما يريد سوسير أن يقوله هو أن الدال بـــدون مدلـــول لا يعتبر شيئاً ذا معنى، وكذلك العكس، أي المدلول بـــدون دال وهـــذا ما سبق أن أشرنا إليه. وبيرس يؤكد أيضاً، مثله مثل سوسير، على أن علامات الممثل والموضوع، والمؤول، تخرج عـــن كونها تشكل علامات، إذا أخذت مستقلة عن بعضها البعض. فالالـــتحام بين هذه العلامات الثلاث هو الذي يشكل العلامة. لكن ما هو مادي وملموس ليس هو العلامة اللغوية، بل صداها. وهذا يعني أن سوســـير شأنه شأن بيرس، قد وضع التمييز بين العلامة العرفية والصـــدى (المعجمـــي على الأقل). "إنه من غير الممكن أن يكون الصوت الذي هو عنصر مادي، منتمياً بنفسه إلى اللغة... وإن لكل القيم الاتفاقية هذا الطابع الذي بفضله لا تختلط مع العنصر الملموس الـــذي يصلح لها كأساس. وهكذا فليس معدن العملة هو الذي يحدد قيمـــتها" [164]. فـــالدال اللغوي دال "معنوي"، أي "علامة عرفية" بالمعنى البيرسي. ويعطي سوسير مثالاً على ذلك إذ يقول: "إن اللثغ بالـــراء فـــي الاســـتعمال العـــام للغة الفرنسية، لا يمنع كثيراً من الأشخاص من تفخيم الراء، وليس هناك أي إخلال باللغة، لأن اللغة تتطلـــب الاخـــتلاف، ولا تشـــترط أن يكون للصوت طابع ثابت" [164.165]. والشـــيء نفسه ينطبق على أنظمة الكتابة (الخطوط)، بشـــرط أن لا نخلط بين l و d من جهة و t من جهة أخرى. وهكذا يمكنـــنا أن نكتـــب t بطـــرق متعددة [165]. "إن الوسيلة التي تنتج العلامـــة ليســـت مهمـــة إطلاقـــاً، لأنها لا تهم النظام... فأن أكتب

الحـــروف بالأبـــيض والأســـود، أو أن أكتبها بشكل مقعر أو بشكل مجســـم، بواسطة الريشة أو المقص، كل هذا ليس له أهمية بالنسبة لدلالتها" [166].

ب ـ الثلاثية التقابلية للموضوع :

تقـــر الســـيميولوجيا السوسيرية باعتبارها سيميولوجيا ثنائية، أن العلامـــة اللغويـــة لا توحـــد بيـــن "الشيء والاسم" بل بين"المفهوم والصـــورة السمعية" [98]، حيث يقوم المفهوم بدور المؤول[3].غير أن سوسير يلتقي بالقرينة والرمز البيرسيين.

1 ـــ الاختلاف والقرينة:

"إن قـــيمة الحروف هي قيمة سالبة واختلافية، ويمكن هكذا للشخص نفسه أن يكتب (t) بالأشكال المختلفة التالية:

T t T

والشيء المهم والوحيد هو أن لا تخلط هذه العلامة مع علامة l وd وهلـــم جرا" [165]. وبيرس لا يخالف هذا علامات أخرى، في نظـــام الخطـــوط (graphologie الرأي، لكن الأساس (Le support) يمكـــن له أن يكـــون قرينة في نظام) مثلاً. والذي دفع بسوسير إلى عـــدم اعتبار مختلف طرق كتابة t بمثابة قرائن سببان: الأول، أي

المشـــار إليـه سابقاً، وهو أن العلامة لا تربط بين الكلمة والشيء، والثاني هو أن العلامة التي وصفها سوسير هي العلامة اللغوية.

2 ـ الرمز والطبيعة :

إن الرمـــز لـــو استطاع سوسير أن يستعمله كمفهوم، لن يكون سوى اسم طرق كتابة t بمثابة قرائن سببان: الأول، أي المشار إليه سابقاً، وهو أن العلامة لا تربط بين الكلمة والشيء، والثاني هو أن العلامة التي وصفها سوسير هي العلامة اللغوية.

2 ـ الرمز والطبيعة :

إن الرمـــز لـــو استطاع سوسير أن يستعمله كمفهوم، لن يكون سوى اسم آخر للعلامة العرفية. لكن سوسير، وهو يستعمل الكلمات بالمعـــنى الذي كان لها في اللغة العادية، لم يستطع أن يستعمل كلمة "رمـــز" لـــتحديد العلامـــة اللغوية، لأن "الرمز يبدو وكأنه لا يكون اعتباطـــياً دوماً، فهو ليس فارغاً، إذ هناك عنصر طبيعي فيه يربط بيـــن الدال والمدلول" [101]. فالميزان يمكن أن يكون رمزاً لعدالة، وليس الدبابة. ولهذا الســـبب فإن الكلمـــات المعبرة عن أصواتهـــا (onomatop'ees)، أصـــيلة كانت أم غير أصيلة. وكلمات التعجب ليست رموزاً بالمعنى الدقيق [101.102].

حـ ـ الثلاثية التقابلية للمؤول :

يـبدو أن سوسـير قد حدد المؤول بالمفهوم الوحيد للمدلول، أي بالفدلـيل Rhéme، والحـال أن التعارض بين العلاقات التركيبية والعلاقـات الإدماجية [170.175] كان بإمكانه أن يقوده إلى تمييز الجملـة (العلامـة الثانـية) عن المفهوم والبرهان. ولكن سوسير يرفض هذا التمييز. "إن النظرية المنتشرة بشكل لا بأس به تؤكد أن الجمـل هي الوحدات الملموسة الوحيدة: ونحن لا نتكلم إلا بالجمل، وبعـد ذلـك نستخرج الكلمات. ولكن إلى أي حد تنتسب الجملة إلى اللغـة إذا كانت تتعلق بالكلام؟ فلا يمكن أن تكون وحدة لغوية، لكن لنفـترض هذا الوقت أن هذه المشكلة تعتبر منتهية. في هذه الحالة، فإن الطابع الأكثر لفتاً للانتباه، إذا نحن تصورنا مجموع الجمل التي يمكـن الـتلفظ بها، هو أنها (أي الجمل) لا تتشابه أبداً فيما بينها... ومـا يسـود هذه الجمل هو التمايز، ونحن إذا ما حولنا البحث عما يربط بينها، فإننا لن نجد سوى الكلمة بخواصها النحوية، ونقع بذلك في المشاكل ذاتها" [149.148].

ولكي نختصر الكلام، نورد هذا الجدول الذي يضم مفاهيم بيرس السـيميوطيقية، وكذلـك مفاهيم سوسير التي يمكن اعتبارها مطابقة لمفاهـيم بـيرس. أمـا الخانـات الفارغـة فتشير إلى أن التحليل السوسـيري لـم يكـن بإمكانه ـ أو أن سوسير لم يكن يرى من ضرورة ـ وضع التمايزات الملائمة.

	1	2	3
مم R	أثر الصوت النفسي	الصوت المادي (الأساس)(*) (جماعية، اتفاق مثبت بقاعدة)	علامة شاملة (عادة، علامة)
مو O		(**)	(***)
مؤ I علامة غير معللة قيمة اتفاقية	مفهوم (الكلمة)		

جدول (4): التصنيف البيرسي للمفاهيم السوسيرية

الهوامش :

[1] الخط الذرائعي وليس العملي، باعتبار أن المجموعة هي التي تفرض قواعد.

[2] اتفاق مجموع المستعملين (الباحثين كما يقول بيرس)

[3] نجد هذا أيضاً في أطروحة غرينلي:

D.Genlee,Peirce's concept of sign, Mouton,1973.

التي ليست سوى قراءة سوسيرية لأعمال بيرس.

[*] تتوافر كل القيم الاتفاقية على هذا الطابع الذي يتلخص في كون الخلط لا يـتم بيـنها وبيـن العنصر الملموس الذي يصلح لها كأساس [164]. فبالنسبة لـ1 تعتبر 2 علامة فردية وبالنسبة لـ3 تعتبر صدى..

[**] يمكـن للأسـاس هنا أن يلعب دور القرينة، لكن سوسير لا يعتبره علامة لأن الأساس ليس لغوياً..

[***] "الرمز" بالنسبة لسوسير " رمز طبيعي".

القسم الثاني

من أجل نموذج سيميوطيقي

"ليست هناك فكرة بدون علامات" (5.251)

"إن فهـم العلامـة لا يمكن أن يتم بدون تجريب إضافي للموضوع" (8.183)، لكن "يمكن للعلامة أن تكون خالقة للموضوع" (8.173).

يرتكـز الـنموذج الـذي نقدمه هنا على كتابات بيرس، غير أن مساهمتنا في ذلك ستكون مزدوجة:

1ــ فمــن جهة ستعطي لنظرية بيرس، بفضل بيرس نفسه، شكلاً مـنظماً وتعبـيراً عددياً ورسماً مقترحاً، وهذا صحيح ضمنياً بفضل تميـيزاته حـول الثلاثيات التقابلية، وظاهرياً في الفقرتين 8.353 و 2.264.

2 ــ ومــن جهــة أخرى سنتخذ بعض مواقفنا بإعطائنا دلائل في كل الأفكار المتنازع حولها، ودون أن نناقش مع ذلك أي حل من تلك الحلــول التي اقترحت. واستعمالنا لمصطلحية شارل موريس في كل حالة مثلاً لا يتجاوز التعريف بالمصطلحات المستعملة[1].

---

[1] لمناقشة التأويلات الأخرى للمفاهيم الأساسية لسيميوطيقا بيرس يراجع كتاب:
Ecrits sur le signe, 'ediction du seuil.

الفصل الأول

بروتوكول وفرضية

I ـ البروتوكول الرياضي

لا ينبغـــي ولا يمكـــن لأي نســـق أن يكون إلا ثلاثياً. فلا وجود للواحـــد بـــلا حدود، فالثاني (أي ما بعد هذه الحدود) يؤخذ باعتباره مسبوقاً بالأول. ومن جهة أخرى "يستحيل تكوين ثالث أصيل بتغيير الزوج ودون إدخال أي عنصر تختلف طبيعته عن طبيعة الواحد أو الـــزوج". فهذا العنصر هو العنصر الثالث. وبهذا الشكل فإن "عملية إعطـــاء (أ) لـــ (ب) هدية هي (ج) تشكل علاقة ثلاثية، وباعتبارها كذلك، فإنه من المستحيل اختزالها في تركيبة ذات علاقة مزدوجة.

وبالطبع، فإن فكرة التركيبة نفسها، تستلزم فكرة الثالثية، لأن التركيبة هي شيء، ولا يوجد هذا الشيء إلا بوجود الأجزاء التي يضعها في علاقة. ولكن يمكن استبعاد هذا الافتراض، ونتيجة لذلك سوف لن نتمكن من إثبات كون (أ) يعطي (ج) لـ (ب) عن طريق جمع العلاقات المزدوجة بين (أ) و(ب)، (ب) و(ج)، و(ج) و(أ). إن (أ) يمكن أن تعتبر(ب) رجلاً غنياً و(ب) يمكن أن يتوصل بـ (ج)، و(أ). يمكن أن يتخلى عن (ج)، دون أن يكون على (أ) بالضرورة أن يعطي (ج) لـ (ب). ويجب في هذه الحالة على هذه العلاقات المزدوجة الثلاث ألا تتواجد فقط، بل وأن تذوب في شيء واحد. إذن فنحن نرى كيف أنه لا يمكن تحليل ثلاثية إلى أزواج" (1.363). غير أن "أربعة" وخمسة، وكل الأعداد الأخرى يمكنها أن تتكون عن طريق تركيب بسيط لثلاثة". فلنحلل أربعة إلى ثلاثة. "لنأخذ الحدث الرباعي التالي (أ) باع (ج) لـ (ب) بالثمن (د). إن هذا الحدث مكون من حدثين: الأول وهو أن (أ) يقوم مع (ج) باتفاق يمكن تسميته (ه)، والثاني هو أن هذا الاتفاق (ه) هو بيع (ج) بالثمن (د). وكل حدث من الحدثين معاً هو حدث ثلاثي، وتركيبهما تشكل حدثاً رباعياً أصالته هي في مثل أصالة أي حدث رباعي يمكن إيجاده. إن الطريق التي تملك ملتقى واحداً بثلاثة اتجاهات يمكن أن تتوفر على عدد معين من المنافذ، لكن مهما كان عدد الطرق المستقيمة فلا يمكننا أن نجد إلا منفذين. وهكذا بإمكاننا أن نبني أي عدد كيفما كان كبيراً بواسطة ثلاثيات، وبالنتيجة فإنّ أي عدد لا يمكنه أن يستتبع أية فكرة مختلفة جذرياً عن فكرة الثلاثة" (1.363).

II ـ الفرضية المقولاتية: المقولات الفانيروسكوبية كأساس لنظرية بيرس حول العلامات.

1ـ تقديم عام :

"إن كل ما هو كائن في الذهن، كيفما كانت نظريتنا إليه، وكيفما كان معناه" (1.284) ـ هو ما يسميه بيرس بالفانيرون Phaneron ـ يدخل على الأقل في إطار مقولة من المقولات الثلاث الأولية والثانوية والثالثية.

فالأولية كمقولة هي مقولة تحقق كل ما من شأنه أن يوجد في راهنية وجوده، دون إحالته على موجود ثان. أما الثانوية كمقولة فهي مقولة تحقق كل ما هو موجود، مهما كانت ماهيته، ودون إحالته على موجود ثالث. وأما الثالثية فهي الفكرة التي توجد عن كل ما هو موجود.

وإذا أردنا أن نعبر عن هذه المقولات بمفاهيم سيكولوجية، دون أن يعني ذلك اختزالها إلى حالات سيكولوجية، فبالإمكان وصفها بالشكل التالي: إن الأولية هي مقولة الإحساس، أو بكلمة أدق هي مقولة ما قبل الإحساس، والمعيوش غير المفكر فيه، وغير المحسوس كمعيش. أما الثانوية فهي مقولة الفعل Action في حالته الخام غير المفكر فيها، ولكن المعيشة كما هي (جهد، مقاومة). أما الثالثية فهي مقولة الوعي المفكر فيه.

إن هـــذه المقولات ــ وهي تتحدد بواسطة مفاهيم "تقنية" (2.88) وخشـــنة بما فيه الكفاية، قصد إفشال كل استعارة مجانية، وكل ذلك حســـب الاصطلاحية الأخلاقية التي اقترحها بيرس (226 ــ 2.219) ــ ، تظهـــر ــ أي هذه المقولات ــ بمظهر عام و"كوني" (1.526) مــثل Obsis-Transvasion, tance Orience, (89 ــ 2.85). وهكذا تكون الأولية Orience و أصالة Originalité: "فالأصالة هـــي أن تكون كما يكون هذا الموجود دون علاقة بأي شيء آخر". وتكـــون الثانوية Obsistence ونحن نفكر في "Résistance, - Obvier Insistance, Obstacle, Obstiné, Objet الـــخ". فـ... L'obsistance هـــي ما يجعل الثانوية مختلفة عن الأولية، أو هي هذا العنصر الذي وهو يرتبط بالأصالة يجعل من شيء ما مثله مثل أي شـــيء آخر، قوة موجودة". أما الثالثية فهي...,Transuasion ونفكـــر في transaction, Transcendantale, Transfusion, translation, الــخ". فـ... Transuasion هي وساطة أو تغيير للأولـــية والثانويةعن طريق الثالثية إذا أخذت باستقلال عن الأولية والثانوية، أو هي بعبارة أخرى موجود خالـــق للـــ Obsistence" (2.39).

إن مقولات الأولية والثانوية والثالثية الثلاث تحدد العوالم الثلاثة التـــي تمـــثل "القـــوى والوقائع والأفكار. وهذه العوالم الثلاثة ليست مـــتفرقة، وهـــي واقعية بالمعنى البيرسي: أي واقعية باشتراكها مع بعضها (Logic Notebook; ms Aout 1908 28 339)

2 - أقسام المقولات :

ويتيح لنا التفريع الثلاثي Trichotomique لهذه المقولات الكونية الأساسية الثلاث وضع جدول – سيأتي بعد قليل – يتكون من تسعة أنماط من المقولات. وبيرس الذي نستعير منه فكرة العلامات العددية للمقولات قد أعطى النقطة (.) نفس المعنى الذي نعطيه نحن لها، أي "الذي هو"، وبعبارة أخرى فإن علامة 1.1، ينبغي قراءتها هكذا: الأولية التي هي أولية أو التي هي أولى (8.353).

3	2	1	
1.3	1.2	1.1	1
2.3	2.2	2.1	2
3.3	3.2	3.1	3

جدول – 5 – الأقسام العددية للمقولات

وتتوزع هذه الأنماط التسعة إلى ثلاثة أقسام صغرى:

أ – **الأنماط الأصلية:** 1.1، 2.2، 3.3.

ب – **الأنماط المتحولة:** 1.2، 1.3، 2.3.

ج – **الأنماط المضخمة:** 2.1، 3.1، 3.2.

وهذا التقسيم الذي ارتضيناه ينبني على التفرقة التي أقامها بيرس بين الحالات الأصلية والحالات المتحولة حسب ما نسميه بتراتبية المقولات. وبالفعل، "فعندما يكون لدينا نظام ثلاثي العناصر Triplet تكون لدينا ثلاثة أزواج، وعندما يكون لدينا زوج تكون لنا

وحدتـــان، وهكـــذا فإن المقولة الثانوية ما هي إلا جزء أساسي من المقولـــة الثالثـــية، ولـــيس من المقولة الأولية، في حين أن المقولة الأولـــية مـــا هي إلا عنصر أساسي من المقولتين الثانوية والثالثية. ولـــن نتمكـــن من إيجاد مقولة ثانوية للمقولة الأولية الخالصة، ولا مقولة ثالثية للمقولة الأولية الخالصة، أو للمقولة الثانوية الخالصـــة" (1.530). إن الأنمـــاط الأصلية هي تلك التي تكون مقولتها الأولية مقولـــة أولـــى (1.1) ومقولتها الثانوية مقولة ثانية (2.2)، ومقولتها الثالثية مقولة ثالثة (3.3). ونسمي الأنماط المتحولة تلك التي تكون مقولـــتها الثانوية مقولة أولى (1.2) ومقولتها الثالثية مقولة أولى (1.3) أو ثالثـــية (2.3). إن المقولـــة الأولية ليس لها أي نمط متحول، في حيـــن أن المقولـــة لهـــا نمط متحول واحد، وللمقولة الثالثية نمطان اثنان.

ويلزمنا في هذه الحالة، وعلى الرغم من فكرة تراتبية المقولات، أن نـــأخذ بعين الاعتبار مسألة كون المقولتين الثانوية والثالثية يمكن أن تتحول إلى مقولة أولية، وأن المقولة الثالثية يمكن أن تتحول إلى مقولة ثانوية. وهذا كما يقول بيرس يدخل في إطار "التضخيمات" "Les saccrétions (1.528) "العارضة" (1.527). "فصيغة وجود الكيفـــية هـــي مقولة أولية، وبتعبير آخر فإن الكيفية تعتبر إمكانية. وعلاقتها مع المادة علاقة عرضية، مع أن هذه العلاقة لا تغير الكيفية بتاتاً، وإنما تعطيها "الوجود" فقط، أي تعطيها هذه العلاقة نفسها التي تفـــيد ملازمـــة المادة" (1.527). ويتعلق هذا الوصف هنا بالمقولة

التـــي نسميها "مضخمة" "accrétive" للمقولة الأولية كمقولة ثانية (2.1). وهـــنا يوجد نوعان من الإمكانية: "الإمكانية الكيفية الإيجابية" التـــي هـــي مقولـــة أولى، والتي يتكلم عنها بيرس في النص الذي أوردنـــاه سابقاً، و"الإمكانية المضخمة لمقولة الأولية كمقولة ثالثة (3.1). إنها مقولة عرضية من حيث أن التفكير في "الإمكانية الكيفية الإيجابـــية" للكيفية لا يغير من أصالة الكيفية الأولى (1.1)، وتكون المقولة كمبدأ للواقعية أو بشكل أفضل كمبدأ للحالية "Actualité" (1.531)، وهكـــذا فللمقولـــة الأولـــية نمطان مضخمان، وللمقولة الـــثانوية نمـــط مضـــخم واحد ولا وجود لأي نمط مضخم بالنسبة للمقولة الثالثية.

أ ـ الأنماط الأصلية

إن مقولة (1.1) هي مقولة الأولية الأصلية، وهي مقولة الكيفية. والكيفـــيات يمكـــن أن تكـــون أولى، ثانية أو ثالثة[1]. فالأولى هي الكيفيات العامة لأرسطو: المساحة، والحركة والزمان. والثانية هي الكيفـــيات الحواسية الخاصة عند أرسطو. والثالثة هي تلك الكيفيات التـــي قال عنها جورج سانتيانا George Santayana إنها "نسبية وقابلـــة للقلب"[2] والتي أعطى بصددها جون ديوي John Dewey لائحـــة غـــير شاملة ولا منظمة مثل "المؤلم، والمأساوي، والجميل، والمضحك، والجامد، والمقلق، والمريح، والممل، والعقيم، والقاسي، والمواسي، والجليل، والمخيف"[3].

وتشـــتمل الكيفيات الثانوية أيضاً على "قيمة magenta ورائحة الزهرة، وصوت صفـــارة القاطرة، ومذاق الكينيـــن "La quinine (1.304)، وأيضاً وكما قال بيرس للأيدي ويلبي "اللون القرمزي De votre livraire royal" (8.329). وتشـــتمل الكيفيات الأولى على "الصـــلابة" التـــي يقـــول عنها عالم المعادن "إنها ما لا يمكن حزّهُ بالسكين" (8.329). وتشتمل الكيفيات الثالثة "كيفية الانفعال الناتج عن تأمل برهنة رياضية جميلة، وكيفية الإحساس بالحب". وهذا لا يعني كما يؤكد بيرس ذلك الانطباع الذي ينتج عن التعبير في الوقت الحاضر عن الإحساسات سواء في الواقع أو في الذاكرة أو في الخيال، أي شـــيئاً ما يستتبع هذه الكيفيات لعنصر من عناصره" (1.304)، لأن الكيفـــيات نفسها، كيفية الحمرة مثلاً التي كما يقول بيرس عنها وهو يوجـــه خطابـــه إلى اللايدي ويلبي بصدد Sa livraire royale لا يمكن أن يفكر فيها "كشيء يملكه أو مرتبط بكسوة الخدم" (8.329).

إن مقولـــة (2.2) هـــي مقولـــة الثانوية الأصلية، وهي مقولة الوجود الفردي في مادته "هنا، والآن، والخاص بي" كما يقول جان واهـــل jean wahl . فالثانوية الأصلية تستتبع وجوداً للفعل ولا شيء ســـواه. ولكن يمكن أن يكون هذا الفعل وجوداً لشخص أو لشيء أو لحدث، أو لوضعية أو لفكرة، أو لنظرية، أو لحلم، أو ليوطوبيا.

إن الـــثانوية هـــي مقولـــة "الأفعال الحالية"، "فالكليات في حالة كونهـــا عامة تكون مجردة وكامنة بشكل أقل أهمية، غير أن الحدث

هـــو فردي بشكل ظاهر، إنه يحدث هنا والآن" (1.419). إن مقولة الفعـــل تستبعد "العام ومع هذا العام تستبعد الدائم أو السرمدي (لأن الديمومـــة هـــي نوع من العمومية) والمشروط (الذي يستتبع العمومية). (....) وهذه الاستبعادات تترك لمقولة الفعل أولاً ما يسميه المناطقة بالمحتمل، أي ذلك الحاضر عرضياً، وثانياً كل ما يستتبع الضرورة غـــير المشروطة، أي تلك القوة التي ليس لها قانون أو منطق، أي تلـــك القـــوة الخـــام" (1.427). هذا ما يركز عليه بيرس بقوله في رسالة موجهة إلى اللاّيدي ويلبي "إن الثانوية الأصلية تتجلى في أثر شـــيء آخر، أي في الفعل الخام، وأقول الخام لأنه في الوقت الذي تظهـــر فيه الفكرة المتعلقة بقانون أو بمنطق، تظهر معها الثالثية، فحيـــن يســـقط حجـــر على الأرض، فإن قانون الجاذبية لا يتدخل لإسقاط الحجر، وإنما هذا القانون هو بمثابة الحكم، والحكم يمكنه أن يظـــل يصـــدر القانون طيلة الأحقاب، لكن في غياب الذراع القوية التي تحمي القانون، أي في غياب الساهر عليه وحاميه Le sherif الذي يجعل القانون متحققاً، فهذا الأخير يكون بدون معنى (....) إن الســـقوط الحاضـــر للحجـــر هو من فعل الحجر والأرض في هذه الحالة" (8.330).

ولأن الـــثانوية الأصلية تتعلق "بشيء يؤثر في شيء آخر" فإنها زوجـــية : أي إنهـــا مقولـــة الفعل ورد الفعل. فكل ثانوية تتضمن "عنصـــر الصـــراع" حتى في حالة الإحساس البسيط "لأن الإحساس يتوفر دائماً على درجة من الحيوية، درجة عالية أو منخفضة. وهذه

الحيوية ليست سوى معنى للصدمة، للفعل ولرد الفعل، بين روحنا والمنبه". إن الإحساس البسيط لا يمكن أن ينظر إليه هنا كإحساس (أول)، ولكن كوجود ثان، وبخلاف هذا فإننا سنكون في حالة الثانوية المتحولة. إن الصراع ـ يقول بيرس ـ أعني به " ذلك الفعل المتبادل بين شيئين دون أي اهتمام بشيء ثالث أو وسيط بشكل ما، ودون اهتمام بالأخص بقانون " (1.322).

أما (3.3) فهي مقولة الثالثية الأصلية، أي مقولة التوسيط (1.328)، ومقولة الفكر التوسيطي، والقانون العام. "فالعمومية هي، إما بهذا الشكل السلبي، ما ينتمي إلى الكامن الخالص، باعتباره كذلك، وهذا شيء خاص بمقولة الكيفية، وإما من هذا الجنس الإيجابي الذي ينتمي إلى الضرورة المشروطة، وهذا شيء خاص بمقولة القانون" (1.427). إن بيرس يقول بـ"الضرورة المشروطة" ولا يقول بـ "الضرورة المطلقة"، لأن الضرورة المشروطة هي ضرورة الاستتباع المنطقي التي تكون بمفردها ثالثة. وبالفعل، "فليس هناك من ثالث مطلق، لأن الثالث هو نسبي بالطبيعة" (1.362).

"إن الثالث يملك صيغة وجوده التي تتجلى في ثانويته التي يحددها، إنه يملك وجوده كقانون أو كمفهوم. ولا ينبغي الخلط هنا بين هذا الشيء وبين الموجود المثالي لكيفية في حد ذاتها. فالكيفية شيء يمكنه أن يتجسد كلياً، والقانون لا يمكنه أن يتجسد في صفة قانون إلا في حالة تحديده لعادة ما. والكيفية هي الطريقة التي أمكن (أو يمكن) لشيء أن يوجد بواسطتها" (1.536). فالثالثية هي مقولة

الاستمرار، "والاستمرار يمثل للثالثية بشكل محكم تقريباً، وكل السيرورات مرتبطة به" (1.337).

ب ــ الأنماط المتحولة

إن (1.2) هي المقولة الثانوية المتحولة، وأولية الثانوية. إنها مقولة الوجود، والحاضر الكيفي: "فلا ترجع إلى شيء سوى أن الفاعل في وجوده الثانوي يمتلك أولية أو كيفية" (1.528).

إن الوجود الثانوي يعاش دوماً ويحس به في أوليته كمجهود ومقاومة، فـ "نمط فكرة الثانوية هو تجربة مجهود مفصول عن فكرة الهدف المراد بلوغه (....)، وتجربة المجهود لا يمكن أن توجد دون تجربة المقاومة، فالمجهود لا يعرف كمجهود إلا إذا كان يقابل بالمعارضة دون تدخل لأي عنصر ثالث. تصوري ــ كما كتب بيرس إلى اللايدي ويلبي ــ وأنت جالسة وحيدة داخل مسلة منطاد، فوق الأرض، وأنت تنعمين بالهدوء والسكينة المطلقة، وفجأة يحدث أن صفيراً ثاقباً منبعثاً من آلة بخارية يثقب طبلة الأذن ويدوم للحظة لا بأس بها. إن الشعور بالسكينة كان فكرة أولية، وكان كيفية لإحساس، وإن الصفير الثاقب لم يمكنك من التفكير أو من فعل شيء آخر سوى المعاناة، وهكذا، أيضاً في منتهى البساطة، إنه أولية أخرى، غير أن خرق الصمت بالضجيج كان تجربة" هي ظاهرة ثانوية معاشة، "فهذا الوعي بحدوث إحساس جديد في تمييز الإحساس القديم هو ما أسميه تجربة" (8.330). نحن إذن واعون ــ

كمـــا يقول بيرس في مكان آخر ـــ ليس فقط بصيرورة التغيير، بل واعون بشيء ما أكبر من أن تحتوي عليه لحظة من الزمن، أي بـــ "قطبية ما" (1.380). ولكي يميزها عن الثانوية الأصلية، فقد سمى بـــيرس الـــثانوية المتحولة التي هي أولية الثانوية، سماها "ثانوية" " Secndité"، ولكـــي يؤكد على أولية الأولية فقد سمى هذه الأخيرة أولية "primité" (1.533).

أمـــا (1.3) فهـــي الشكل الأكثر تحولاً من أشكال الثالثية، وهي مقولـــة أولية الثالثية، وقد سماها بيرس ثالثية "Tertialité" (1.533)، وذلـــك حتى يتم تمييزها عن الأولية الأصلية "primité" وعن أولية الـــثانوية "Secondité" وهي مقولة "الذهنية" "la mentalité" فلكي نعـــبر عن أولية الثالثية، أي عن النبرة أو عن الفارق الخصوصي للوســـاطة، "la médiation" لا نتوفر على كلمة أكثر دقة، وكلمة ذهنـــية يمكن أن تكون أدق، مثلها مثل أي كلمة أخرى، رغم فقرها وعدم ملاءمتها" (1.533).

وأمـــا (2.3) فهـــي الشكل الأقل تحولاً من أشكال الثالثية، وهي مقولـــة ثانويـــة الثالثـــية. إنها أقل تحولاً، وهي "الدرجة الأولى في الـــتحول" كما يقول بيرس (1.538) الذي يشرح لنا طبيعة العلامة التـــي هـــي الثالثية الأصلية قائلاً: "إن كل علامة توضع لموضوع مستقل بنفسه، غير أنها لا يمكن أن تكون علامة لهذا الموضوع إلا فـــي الحالـــة التـــي يكون فيها هذا الموضوع نفسه طبيعة للعلامة والفكرة، ذلك لأن العلامة لا تعين الموضوع، بل إن الموضوع هو

الـــذي يعيّنها، بحيث يكون الموضوع قادراً على توصيل الفكرة، أي أن تكـــون له طبـــيعة الفكرة أو العلامة. فكل فكرة علامة. غير أن الثالثية "Tiercéité" تعيّن الموضوع في الدرجة الأولى من التحويل [2.3] إلـــى حدّ أنها تفقد طبيعتها الثالثية على الأقل فيما يتعلق بهذه العملـــية الثالثـــية المستحولة. ذلـــك أن الثالـــث تنتج عنه الثانوية "Secondéité"، ولكـــنه لا يـــنظر ـــ أي الثالث ـــ إلى هذه الثانوية كـــأي شيء أكثر من كونها حدثاً، وفي الدرجة الأخيرة من تحويل الثالثـــية [1.3] توجـــد الفكـــرة، لكـــن لا يوجد تواصل ولا تجسيد للفكرة، ببساطة إنه هذا الحدث الذي ينبغي كما أعتقد أن يتوفر على شيء مثل المعرفة هو الذي يفهم وفق فكرة ممكنة" (1.538).

جـــ ـ الأنماط المضخمة Accrétifs

إن (2.1) هي المقولة المضخمة للأولية بوصفها أولية من درجة ثانية. فصفتها الأولى يمكن أن تتجسد في موضوع شخصي فتصبح إذن ثانـــية. فـــاللون الأحمر لملابس خدم اللآيدي ويلبي ليس صفة "الأحمـــر" التـــي مـــا هي إلا أحد الممكنات، بل إن ما يميزها هو القرمـــزي. ونفس الشيء يقال أيضاً عن قيمة الماكنتا magenta ، وعـــن رائحـــة خلاصة الورد، وعن صوت صفارة القاطرة، وعن مذاق الكينين، وعن صلابة الصوّان، وعن الإحساس الذي نشعر به بعـــد برهـــنة رياضـــية فائقة. أو نحن أمام امرأة جميلة أو طبيعة خلابة.

أما (3.1) فهي المقولة المضخمة للأولية بصفتها أولية من درجة ثالثة، إنها "الإمكانية الصرفية" للفكرة (1.537) وهي تقول الإمكانية النوعية والإيجابية للأولية.

أمـــا (3.2) فهـــي المقولة المضخمة للثانوية بصفتها ثانوية من درجة ثالثة. إنها الواقع والوجود، والحدث المفكّر. فهي تقول حدث الـــثانوية . "فإذا سألتك على أيّ أساس ترتكز فعلية الحدث، ستجيب إنهـــا ترتكز على كون الحدث يحدث في مكان وفي زمان محددين. إن التخصيص المكاني والزماني يشمل كل العلاقات مع الموجودات الأخـــرى. ففعلـــية الحـــدث يـــبدو أنهـــا توجد في علاقاتها بعالم الموجـــودات" (1.24).ويمكـــن أيضاً أن نقرأ الجدول (5) بطريقة أخـــرى لا ينبغي أن تحل محلّ الطريقة التي استعملناها، ولكن لها فضـــيلة تمييز طبيعة الأنماط المختلفة للمقولات بعضها عن بعض وذلك ضمن نظام آخر.

1 ــ فعلـــى **الخط المائل**، أي من (1.1) إلى (3.3) يتم التركيز على العلاقة بين الأنماط الأصلية: "فالأول هو إمكانية نوعية إيجابية في حد ذاته. والثاني هو شيء موجود ولا يحدده غير وجوده، لكنه مفـــروض مـــن الأول... والثالث شكل وجوده يرتكز على الثانوية التي يحددها.." (1.536).

2 ــ **وعموديـــاً** نحـــن نأخذ بعين الاعتبار أنماط المقولات في استقلال عن طابع أصالتها أو تحويلها أو تضخمها.

وبالنســـبة للأولـــيات الـــثلاث فالأولى (1.1) هي "صفة بسيطة أصـــيلة"، والثانـــية (1.2) "صفة نسبية بشكل أساسي مثل صفة أن

تكـــون "أطـــول من ....D'un inch"، والثالثة (1.3) "صفة ترتكز على الطريقة التي نفكر بها أو التي يعرض بها شيء ما، مثل صفة الظهور" (1.534).

أمـــا بالنسبة للثانويات الثلاث، فالأولى أحادية monadique (2.1) وهـــي صفة فردية، والثانية زوجية (2.2) وهي الفعل ورد الفعل، والثالثة ثلاثية (2.3) وهي الصيرورة.

أمـــا بالنســـبة للثالثـــيات الثلاث فالأولى (1.3) هي الفكرة "في قدرتهـــا علـــى أن تكون مجرد إمكانية، أي مجرد روح قادر على التفكـــير أو مجـــرد فكرة غامضة"، والثانية (3.2) هي فكرة "تلعب دور الـــثانوية والحـــدث" (لها "الطبيعة العامة للتجربة أو الخبرة")، والثالثة (3.3) هي فكرة "تلعب دورها في الحفاظ على الثانوية (إنها تـنقل الخبر للذهن أو تحدد الفكرة وتجسدها)" (1.537). وبالطبع فهـــذه الثالثيات تتطابق قبلياً مع المقولات الثلاث للإدراك عند كانط وهي مقولات الإمكانية، والوجود، والضرورة، لكن معانيها تختلف كثيراً.

3 ـــ وأفقياً، ودائماً في استقلال عن الطابع الأصيل، والمتحول، والمضـــخم للمقـــولات، فنحـــن نرتب أنماط المقولات بعلاقتها مع الأولـية والثانوية والثالثية. وبالعلاقة مع الأولية نجد الصفة الممكنة أو الكامـــنة حقـــاً (1.1) والصفة الفعلية actulisée (2.1)، وفكرة الإمكانية (3.1).

وبالعلاقـــة مع الثانوية نجد الثنائية الكامنة في وحدة الزوج جهد ـــ مقاومة (1.2)، والثنائية الفعلية الكامنة في حدث الفعل ورد الفعـــل

(2.2)، وفكــرة الفعلــية (3.2). وبالعلاقة مع الثالثية نجد التوسيط "الذهنـــي" (1.3)، والتوســـيط الصـــيرورة (2.3)، وفكرة التوسيط المتواصـــل (3.3). وبالإمكـــان تلخـــيص مجموع هذه القراءة في الجدول التالي:

	1	2	3
1	1.1 أولية خاصية (كامنة) أصيلة	2.1 خاصية فردية أو فعلية أحادية	3.1 إمكانية (*)
2	1.2 ثانوية خاصية نسبية جهد ــ مقاومة	2.2 حدث فردي موجود (فعلي أو في طور الفعل) ثنائي	3.2 واقع أو حادثة فردية تجربة (خبر)
3	3.1 ثالثية خاصية الفكرة أو التمثيل "الذهنية"	2.3 صيرورة ثلاثية	3.3 فكـــرة توسيطية عمومية قانون استمرارية ضرورة مشروطة

جدول ــ6 ــ التقسيم التصوري للمقولات

الهوامش :

(1) إننا نترجم Firstness, Secondness، Thirdness بـ primeité secondéité، Tiercéité، وليس بـ Primarité و Secondarité و Tertiarité كما سبق أن اقترح Jean wahl في :
Revue de Metaphysique et de Morale 1961, ص: 400 .

(2) Santayana, Scepticisime and Animal Faith ,1923، p .8

(3) Dewey, Experience and Nature, 1925، p .96

(*) وتنقسم الإمكانية بدورها إلى ثلاثة أقسام: كامنة، وقدرة، وإمكانية.

الفصل الثاني

النموذج

1 ـ العلامة :

كل علامة لا تكون إلا ثلاثية وهي لا تشكل علامة إلا إذا توفرت على العناصر الثلاثة التالية: الممثل الأول والموضوع الثاني والمؤول الثالث.

والممثل يمثل (أو يوضع موضع) الموضوع (بكل ما في الموضوع من معنى: أي ما هو موجود أمامنا)، هذا الموضوع الذي لا يمكن أن تتحقق قراءته (تمثيله، أو معناه أو دلالته) إلا بفضل المؤول. "فالعلامة أو الممثل هي شيء ما يحل محل شيء ما

بالنســبة لشخص ما من زاوية ما. فهي توجه لشخص ما، أي أنها تخلــق فــي ذهن هذا الشخص علامة معادلة أو علامة أكثر تطوراً بــدون شك. فهذه العلامة التي تخلقها أسميها مؤول العلامة الأولى، فهي علامة تحل محل شيء، أي تحل محل موضوع. وهي لا تحل محل هذا الموضوع بشكل مطلق، وإنما وفق فكرة أسميها في بعض الأحــيان أساس "Fondement" الممثل. وينبغي أن نفهم هنا معنى هــذه "الفكــرة" وفــق المعنى الأفلاطوني الذي نصادفه في الكلام العادي، أي وفق المعنى الذي نقول فيه إن رجلاً ما يفهم فكرة رجل آخــر، أو نقــول فيه حين يتذكر أحد ما كان يفكر فيه من قبل بأنه يتذكر نفس الفكرة، أو عندما نقول حين يواصل رجل ما التفكير في شــيء مــا ــ حتى وإن كان هذا التفكير لا يستغرق أكثر من عشر الثانــية، بشــرط أن تظــل هذه الفكرة متجانسة طيلة هذه المدة من الزمــن، أي أن يكــون لها مضمون مشابه ــ بأن لهذا الرجل نفس الفكــرة، وان هذه الفكرة ليست جديدة في كل لحظة من لحظات هذه المدة من الزمن." (2.228).

ويقــول بــيرس أيضــاً إن العلامة هي كل ما يحدد شيئاً آخر (مؤولــه) بإرجاعه إلى شيء بدوره هو الآخر يرجعه (موضوعه) بــنفس الطريقة. فالمؤول يصير بدوره علامة وهكذا دواليك إلى ما لا نهايــة" (2.303). وهنا يتعلق الأمر بالعلاقة الثلاثية الشكلية أو السيميولوجية المحضة التي نسميها أيضاً علاقة النظمية. وسنرى أن السلســلة فــي تطبيق العلامة سيكون لها حد وهو حد سياق العلاقة

الثلاثـــية المعطـــاة. والممثل ولأنه أول، هو أساس العلامة بصفتها علامـــة، وبدون علاقة بموضوعها (ولا يعني هذا أن العلامة يمكن أن توجد دون موضوع). وهو بفضل مظهره الثنائي يعتبر الموصل للعلامـــة. والعلامة ممثل يمتلك مؤوله الذهني بالتعريف، ذلك لأننا نكون في درجة الثالثية: "والفكرة هي الصيغة الأساسية بل والوحيدة للتمثـــيل" كمـــا يقـــول بيرس (2.274). لكن "من الممكن أن توجد ممـــثلات لا تكـــون علامـــات. وهكذا فإذا كان عباد الشمس، وهو يتوجه باتجاه الشمس، يصبح قادراً، بفضل هذا العمل نفسه، وبدون أي شـــرط آخـــر، على إعادة تمثيل عباد الشمس الذي يتجه باتجاه الشـــمس بالطـــريقة ذاتهـــا، وأن يقـــوم بهذا بنفس القدرة في إعادة التمثيل، فإن عباد الشمس سيكون ممثلاً للشمس. غير أن الفكرة هي الصـــيغة الأساســـية بـــل والوحـــيدة لإعـــادة التمثـــيل" (2.274). والموضـــوع، لأنـــه ثـــان، فهو الشيء الذي تحيل عليه العلامة في فرداتها الوجودية غير أن للموضوع ليس بالضرورة شيئاً، أو حدثاً أو وضـــعية "إنني أستعمل مصطلح "الموضوع". هكذا يقول بيرس في رسالة إلى اللادي ويلبي Lady Welby ـ بالمعنى الذي تمت فـــيه تسمية الموضوع Objectum في بداية القرن الثالث عشر. وعندما أستعمل هذه الكلمة دون إضافة "ما" أتكلم عنه، فأنا أعني به كـــل مـــا يتبادر إلى الذهن.." (LW.23). إن الممثل لا يعمل على معرفة الموضوع ولا على إعادة معرفته: "فالعلامة لا يمكن إلا أن تمـــثل الموضـــوع وأن تقول عنه شيئاً. فهي لا تعمل على معرفة

للموضــوع ولا على إعادة معرفته. ذلك لأن هذا ما يريد الموضوع قوله في حجمه الحاضر عن العلامة، أي ما يفترض في المعرفة أن تعطــيه مــن معلومات إضافية لها علاقة به" (2.231). "وبلا شك هــناك قراء سيقولون إن هذا الأمر غير مفهوم، يضيف بيرس. فهم يعــتقدون أن العلامــة لا تحــتاج إلــى أن تحيل على شيء يكون معــروفاً فضلاً عن ذلك. ولأن القول بأن كل علامة ينبغي أن تحيل علــى موضــوع من هذا الجنس أمر لا يفهم" (2.231). وفي هذه الحالــة، "إذا وجد ما يعطي معلومة دون أن يكون له مع ذلك علاقة أو مرجعــية مهمــا كانت مع شيء، وأن الشخص الذي يتقبل هذه المعلومــة، حيــن يفهمهــا، لا تكون له أي معرفة مباشرة أو غير مباشــرة ــ مع الإشارة إلى أن هذه المعلومة تكون أكثر غرابة ــ فإن موصل هذا النوع من المعلومة لا يسمى علامة" (2.231).

وفي موضوع آخر سيحدد بيرس فكرته هذه، فالعلامة هي ممثل الموضوع المباشر، لكن الموضوع المباشر ليس هو كل الموضوع، فهــو مجــرد عنصــر منه، والموضوع لا يمكن أن يحيل بحصر المعنى أو إذا شئنا بطريقة دالة إلا إذا كان الموضوع الكلي معروفاً مســبقاً (8.177 الهامش 4). "فالشخص الذي يقول إن نابليون كان مخلوقــاً بلــيداً له بالطــبع عقل يحدده نابليون، لأنه بخلاف ذلك لا يمكــنه أن يفكر بذلك أبداً. لكن الشخص الذي يؤول هذه الجملة (أو أي علامــة أخــرى) ينبغي أن يحدده موضوع هذه الجملة أو هذه العلامــة عــن طــريق ملاحظة إضافية مستقلة كلية عن فعل هذه

العلامـــة. وبخلاف ذلك فإنه لا يقرر التفكير في هذا الموضوع[1].

فإذا لم يكن قد سمع بنابليون من قبل، فالجملة لن تعني له شيئاً أكثر مـــن كـــون رجل ما أو شيء ما نسميه "نابليون" كان شخصاً بليداً. ذلـــك أن نابليون لا يمكن أن يؤثر على عقله إلا إذا كانت الكلمة في الجملـــة قـــد أثـــارت اهتمامه حول الشخصية ذاتها. ولن يكون هذا الأمـــر ممكـــناً إلا إذا تكونـــت فـــي الشـــخص بشكل مستقل **عادة** Habitude بفضـــلها توحـــي هـــذه الكلمة بعدد معين من الصفات المخـــتلفة لهـــذا الرجل المسمى نابليون." ويصح كل هذا في جميع العلامـــات. وفـــي الجملة المشار إليها، فنابليون ليس إلا موضوعاً جزئياً، وليست "البلادة" "Lethargie" إلا موضوعاً جزئياً آخر "لا يمكـــن للجملـــة أن تـــبلغ دلالـــته إلا إذا كانت **التجربة الإضافية** "Collatéral" قد علمت الشخص المؤول ما معنى البلادة أو ما الذي تعنيه "البلادة" في هذه الجملة" (8.178).

وسنفهم إذن مـــن جهـــة أن "الموضوع يمكن أن يحدد علامة مضـــللة trompeur أو خاطـــئة érroné "ومـــن جهـــة أخرى أن "العلامـــة يمكن أن تعطي الوجود للموضوع": "فموضوع "نابليون" هو عالم الوجود في حالة كونه محدداً بواقع أن نابليون هو فرد منه تمامـــاً مـــثل مـــا أن "موضوع جملة "كان هاملت أحمقاً" هو الخلق الشكسبيري في حالة كونه يتحدد بواقع أن هاملت جزء منه" (8.178).

والمـــؤول لأنـــه ثالـــث، هو العلامة أو قسم العلامات أو حقل العلامـــات champ الـــذي يمكـــن مـــن إسناد العلامة المقدمة إلى

الموضوع الذي تمثله. وبطريقة مثالية ينبغي عليه أن يكون المعادل المطلــق فــي المقولة الثالثية للممثل الذي يمثل في المقولة الأولية بشــكل مطلق وكلي الموضوع كما هو موجود في المقولة الثانوية، ولا يمــنع هذا المؤول من أن يكون علامة "أكثر تطوراً" (2.228)، بل بالعكس. وبيرس يسمي هذه العلاقة المثالية بين المكونات الثلاثة للعلامــة علاقــة أصــيلة ويجعلهــا فــي مقابل العلاقة "المتحولة Dégénérée" بالمعــنى الرياضــي للمصطلح كما هو الأمر بالنسبة لأنمــاط المقولــة. وعــندما تكون هذه العلاقة أصيلة "فإن أطرافها الــثلاثة تكون مترابطة مع بعضها بفضلها، بطريقة لا ترتكز على خلــيط من العلاقات الثنائية. ولهذا السبب لا يمكن للمؤول أو للثالث أن يقيم علاقة ثنائية بسيطة مع الموضوع، ولكن ينبغي عليه أن يقيم معــه العلاقــة التي يقيمها الممثل نفسه معه. والعلاقة الثلاثية التي يقــيمها الثالــث لا يمكــن كذلــك أن تكــون مجرد علاقة مماثلة Similaire للعلاقة التي يقيمها الأول، لأن هذا يجعل علاقة الثالث مع الأول مجرد ثالثية متحولة . والثالث ينبغي عليه حقيقة أن يقيم هــذه العلاقــة، وأن يكــون قــادراً هو نفسه هكذا على تحديد ثالثه الخــاص. لكن، وبالإضافة إلى هذا، ينبغي أن يكون له علاقة ثلاثية ثانــية داخلها ينبغي على الممثل أو بالأحرى على علاقة الممثل مع موضــوعه أن يخلق موضوعه الخاص (موضوع الثالث) وينبغي عليه أن يكون قادراً على تحديد ثالث لهذه العلاقة. وكل هذا صحيح أيضــاً بالنســبة لثوالث الثالث وهكذا دواليك إلى ما لا نهاية، وأكثر

فأكـــثر، ســـيجد كل هذا نفسه متضمناً في الفكرة التي نكوّنها في العـــادة عن العلامة، ونظراً للطريقة التي نستعمل بها هنا مصطلح الممثل، فلا شيء آخر يكون متضمناً فيه" (2.274).

إن العلاقـــة الثلاثـــية للعلامـــة التي قمنا بوصفها باختصار هي علاقـــة شـــكلية. فحين يتم تطبيق العلامة فليس هناك من موضوع مرجعي واحد، بل موضوعات. وليس هناك مؤول واحد، بل ثلاثة. ويستحســن كما يكتب بيرس إلى اللايدي ويلبي Lady Welby "أن نمـــيز بين موضوعين للعلامة، المباشر وهو الخارج عن العلامة، وغـــير المباشر وهو الموجود داخل العلامة." (LW.31). ويسمي بيرس الموضوع المباشر كذلك بالموضوع الدينامي Dynamoide ou Dynamique : "فمؤولـــه هـــو كل ما توصله العلامة، ويمكن لمعـــرفة موضـــوعه أن تـــتاح بفضـــل التجربة الإضافية" (LW.31). ويوجد ثلاثة أنواع من المؤولات: المؤول المقدر Déstiné أو غير المباشـــر وهـــو الأول، والمؤول الفعال Effectif أو الدينامي وهو ثان، والمؤول الواضح أو النهائي أو الطبيعي، وهو ثالث. فإذا نظر إلـــى المؤول من جهة الشخص الذي يؤول فهو شعوري Affectif (ويسميه بيرس انفعالي Emotional) أو إيحائي Suggestif وهو أول، أو فعال énergetique وهو ثان، ومنطقي وهو ثالث. وعندما يكـــون المـــؤول ثالـــث فهو عادة Habitude . وسنرجع إلى هذه التصـــنيفات لتوضـــيح اخـــتلافاتها عـــندما نتـــناول نظرية التحليل السيميوطيقي.

2 ـ الثلاثيات التقابلية للعلامة

إن الممـــثل (مـم) والموضـــوع (مـــو) والمؤول (مؤ) بوصفها علامـــات، تحلل باعتبارها ممثلاً وموضوعاً ومؤولاً. وهو ما يؤدي بـــنا إلى التمييز بين تسعة أنماط من العلامات تتوزع على الثلاثيات التقابلـــية الثلاث تبعاً لأبعاد العلامة: الأول أو الثاني أو الثالث كما سبق أن فعلنا ذلك بصدد أنماط المقولات.

	مم (1)	مو (2)	مؤ (3)
مو (1)	مم. مم (1.1)	مم . مو (2.1)	مم . مؤ (3.1)
مو (3)	مو . مم (1.3)	مو. مو (2.3)	مو. مؤ (3.3)
مؤ (2)	مؤ. مم (1.2)	مؤ. مو (2.2)	مؤ. مؤ (3.2)

جدول ـــ 7ـــ الثلاثيات التقابلية الأساسية الثلاث للعلامة

فالـــبعد الأول (الـــذي نقرأه عمودياً) هو بعد الممثل. فهو يحيل على العلامة بصفتها علامة. إنه البعد السيميوطيقي بامتياز. ويمكن أن نسميه البعد النحوي مع بيرس (2.229) أو النظمي Syntactic مع شارل موريس[2].

والـبعد الثانـي هـو بعـد الموضوع، ونسميه البعد الوجودي existentielle أو التطبيق pratique .ويسميه شارل موريس البعد الدلالـي Semantique . والبعد الثالث هو بعد المؤول. وهو البعد المنطقي أو التداولي. وقبل أن نواصل عرضنا، ينبغي أن نؤكد على ثلاث نقط:

1 ــ فبالرغم من أننا نستعمل مصطلحية موريس، ونقبل بأنه لا وجـود للعلامة دون وجود المعنى أو الدلالة، ودون معرفة بقواعد استعمال المعنى أو الدلالة، فإننا نفصل في دراستنا بين السيميوطيقا الحقـة وعلـم الدلالة والتداولية. ونعتقد أننا بهذا سنكون مخلصين لبـيرس الـذي يقسـم مقاربات العلامة إلى ثلاثة فروع: الأول هو الـنحو الخـالص أو النظري Spéculative الذي هو السيميوطيقا الحقـة. " ومهمته اكتشاف ما ينبغي أن يكون حقيقة في الممثل الذي يسـتعمله كـل عقـل علمي من أجل استقبال الدلالة". والثاني هو المـنطق الخـالص. "وهو علم ما هو أقرب بالضرورة من ممثلات العقـل العلمـي بحيث (...) يمكن أن تكون حقيقية". أما الثالث فهو الـبلاغة الخالصـة. "ومهمـتها هي اكتشاف القواعد التي بفضلها، وداخـل أي عقـل علمـي تعطي علامة ما الحياة لعلامة أخرى، وبالأخص تنتج الفكرة فكرة أخرى" (2.229).

2 ــ وسـيكون سـهلاً ملاحظـة أن ما يوحد بين البعد النظمي والـنحو الخـالص أو النظري Speculative ، ويبرر تسمية هذا البعد "بالنظمي" هو أوليته priméité ولا شيء آخر، وليس بالتأكيد

ما يمكن أن نسميه مضمونه الشكلي، وكذلك فإن ما يوحد بين البعد الدلالي والمنطق هو ثانويته Secondéité للوجودية أو ما يتّفق أنه يُحيل عليه، وهو ما لا يسمح بتكون علم مستقل داخل السيميوطيقا. وأخيراً فإن ما يوحد بين البعد التداولي والبلاغة الخالصة هو ثالثية قانون التأويل. فالتداولية هي بالطبع بعد في العلامة، لكن دراستها مستقلة عن السيميوطيقا أو عن دراسة العلامة التي هي بعد فيها. وسنعود إلى هذه الاختلافات عندما نعالج علاقة علم الدلالة والتداولية مع السيميوطيقا.

3 ـ وحين نقابل بين الإنجاز الثاني والتداولية الثالثة، فنحن نتذكر التمييز الكانطي الذي دفع بيرس إلى تفضيل "التداولي" على "الإنجاز" (5.412)، غير أننا سنعطي لهذا المصطلح الأخير معنى مختلفاً جداً عن المعنى الذي أعطاه له كانط. فالتداولية هي من فئة القواعد التي تطبق على موضوع كيفما كان، أما الإنجاز فهو مكان التطبيق الوجودي لهذه القواعد بكل ما يعنيه "المكان" من معنى. ولا ينبغي، بالطبع أن نفهم "الإنجاز" بمعنى النافع والمربح والمهم.

1. الثلاثية التقابلية الأولى: البعد النحوي أو النظمي للعلامة:

عن الأنماط الثلاثة للممثل نقابل الأنواع الثلاثة لتوصيل العلامات التي يمكن مصادفتها، وذلك حسب العلاقة التي تقيمها الممثلات بتتابع مع مقولات الأولية والثانوية والثالثية. فـ مم ـ مم (1.1) أول ومم ـ مو (2.1) ثان ومم. مؤ (3.1) ثالث.

إن مـــم. مم (1.1) علامة وصفية، أي صفة هي نفسها علامة. "وفـــي الواقـــع فهذه العلامة لا يمكن أن تقوم بعملها كعلامة قبل أن تتجسد. ولكن هذا التجسد المادي ليس له أي علاقة مع طابعها كعلامة" (2.244)، أي مسع كونها تشكل "مظهراً" "Une Apparence " (8.334). وعـــندما تتجســـد العلامة الوصفية مادياً فإنها تصبح علامة فردية Sinsigne . وبهذا الاعتبار ستصبح التعبير الخالص للأولية.

ويشـــكّل مـــم. مـــو (2.1) علامـــة فـــردية، أي ممثلاً أولاً أو موضوعاً. فهو: "شيء أو حدث موجود وواقعي في شكل علامـــة" (2.245). وهـــو "موضـــوع أو حـــدث فردي" كما يدل على ذلك المقطـــع Sin الـــذي هـــو "المقطع الأول في Semel و Simul ، Singulier " (8.334). وتعتـــبر علامـــات فردية كل من التمثال، والرســـم Portrait والصورة وإمارة المرض، وأيضاً المشهد الذي حضـــرته والـــذي أمعنت فيه النظر لمدة من الوقت، وذلك قبل أن يصدر أي تأويل يحيل الممثل على موضوع.

ويشـــكل مم. مؤ (3.1) علامة عرفية، أي يشكل ممثلاً ثالثاً أو مؤولاً، فهو : "قانون في شكل علامة". ونظراً لأن هذا القانون عادة مـــا يضـــعه الناس فهو "اتفاقي" "Conventionnelle " (2.246). فكـــل أنســـاق الكتابة، كيفما كانت، بشرط أن تكون خاضعة لقواعد تشـــكيلها واســـتعمالها فقط، هي علامات عرفية. "فباعتبار طريقة استعمالنا لمصطلح "الكلمة" في معظم الأحوال، عندما نقول إن "Le " كلمة، وإن "Un" كلمة أخرى، فـــ "الكلمة" هي علامة عرفية" (8.334). غير أن ما نكتبه أو ننطق به أو نقرأه أو نسمعه لا يشكل

علامات عرفية، وإنما يشكل أصدية Répliques . "فعندما نقول إن صفحة من كتاب تشتمل على 250 "كلمة" عشرون منها هي كلمة "Le" فـإن "الكلمـة" هي علامة فردية. فالعلامة الفردية التي تحوي هكذا العلامة العرفية، يقول بيرس أسميها "صدى" للعلامة العرفية" (8.334). فكلمة العلامة العرفية المطبوعة على هذه الصفحة وفي هذا السطر حيث يقـرأها القـارئ فـي الكـتاب الذي بين يديه، هي صدى Réplique فردي ووحيد لكلمة "العلامة العرفية" المستعملة كممثل ثالـث. ولأن كلمة "العلامة العرفية" المكتوبة هنا هي صدى فردي ووحيد فهي تشكل علامة فردية. لكن وكما رأينا أن العلامة الفردية هي كذلك التجسيد المادي للعلامة الوصفية، فإن كل علامة فردية لا تشـكل صدى. وسنرى من جهة أخرى أن الصدى يمكن أن يكون شيئاً آخر غير العلامة الفردية.

وسـيكون مـن الخطأ الاعتقاد أننا سنفتقد العلامة الوصفية بسـبب أن هـذه الأخـيرة لا يمكن أن تعمل عملها كعلامة إلا إذا تجسـدت ماديـاً فـي شكل علامة فردية. فمن جهة أولى، فهي لا تتجسـد دائماً في شكل علامة فردية، ومن جهة أخرى فإنها تختلف مـثلها مـثل العلامة العرفية عن العلامة الفردية لكونها ليست شيئاً فـردياً وفـريداً ووحيداً. غير أن العلامة الوصفية والعلامة العرفية تخـتلفان عـن بعضـهما البعض أيضاً بكونهما تملكان نمطين من الشـمولية Généralité جـد مختلفين، ولكون العلامة العرفية لها هويـة محددة بدقة (نسق أو شفرة) رغم أنها تقبل اختلافاً كبيراً في المظاهر (ردودها العديدة، وهكذا فإن "et,et" والصوت تكونان كلمة

واحـــدة" (8.334)، فـــي حين أن العلامة الوصفية "ليست لها أي هوية" (8.334).

2. الثلاثية التقابلية الثانية: البعد الوجودي أو الإخباري أو الدلالي للعلامة:

إن الأنمـــاط الثلاثة التالية هي أنماط الموضوع، فهي تعين جنس العلاقة التي تقيمها العلامة مع موضوعها مو.مم (1.2) كأول، مو. مـــو (2.2) كـــثان، مو. مؤ(3.2) كثالث.فـ: مو. مم (1.2) هو ما يســـميه بيرس بالأيقونة التي كتبها باللغة الإنجليزية باستعماله للاسم icon الـــذي هـــو الكلمة التي يستعملها المترجم الإنجليزي كترجمة لكلمة "icone" الفرنسية المستعملة في كتاب يعالج الرسم البيزنطي. فـــلا حاجة إذن إلى استحداث كلمة فرنسية جديدة للتعبير عن فكرة بـــيرس. فالأمر يتعلق طبعاً بأيقونة، أو بصورة تقلد نموذجاً. "فكل شـــيء، كما يكتب بيرس، سواء كان صفة، أو شخصاً موجوداً، أو قانونـــاً، هو أيقونة لشخص آخر بشرط أن يكون شبيهاً بهذا الشيء، وأن يســـتعمل كعلامـــة لهذا الشيء. " (2.247). فكل لوحة أيقونة، وكـــل رسم بياني أو تخطيطي أيقونة، وإن كان الشبه مجرد تماثل. فإذا أشرنا إلى سكّير كي نحث على مكافحة الكحول فذلك أيقونة. (8.335) لكـــن الأيقونة ليست لا علامة وصفية ولا علامة فردية، فالأيقونة تحيل على موضوع أما العلامة الوصفية والعلامة الفردية فهمـــا ما هما ، أي أنهما يحيلان على ذاتهما. فالأيقونة هي صورة موضوع، أما العلامة الوصفية والعلامة الفردية فهما صفتان تكونان

الصـــورة، صـــفة بوصـــفها كذلك بالنسبة للعلامة الوصفية وصفة مجسدة مادياً في صورة بالنسبة للعلامة الفردية، دون أن يؤخذ بعين الاعتبار موضوعها، مثلما لا تكون الصورة في الرسم غير التمثيلي non figurative كافـــية وحدهـــا. غير أن ممثل الأيقونة يمكن أن يكـــون علامة وصفية، أو علامة فردية أو علامة عرفية. فبالنسبة للعلامـــة الوصفية، يفهم الأمر بسهولة: فالرسم البياني أو التخطيطي ــ الجـــدول 6 كمـــثال ــ هـــو علامة فردية أو أيقونة، إنه علامة أيقونـــية، ذلـــك لأنـــه يقلِّـــد مظاهـــر بنية ما. أم الرمز ــ الفكرة Idéogramme * فهو العلامة العرفية للأيقونة، ذلك لأن الرمز ــ الفكرة الذي هو جزء من نسق كتابة يقلد شكل الموضوع الذي تمثله العلامة العرفية.

و مـــو. مـــو (2.2) هـــو القرينة. والكلمة التي استعملها بيرس index تـــترجم إلى الإنجليزية بدقة الكلمة الفرنسية indice. فليس هـــناك من وسيلة لترجمة indice إلى الإنجليزية. ف "القرينة تحيل علـــى الموضـــوع الـــذي تشـــير إليه وذلك لأنها فعلياً متأثرة بهذا الموضوع" (2.248)، فعلاقتها به علاقة مباشرة وحيوية. وإذا كانت الأيقونـــة مرتبطة بموضوعها بالتشابه، فالقرينة ترتبط به بالمجاورة contiguité (2.306). فهـــي التعبـــير الكامل عن الثانوية. وهي علامة فريدة ووحيدة تحيل على موضوع فريد ووحيد تملك صفتـــه (2.248). ولا تنقصـــنا الأمـــثلة عن القرينة منذ الدخان الكلاسيكي الـــذي هـــو قرينة للنار. على أنه ينبغي أن نؤكد على أن الأمر لا

يتعلق بأي دخان وبأي نار، وأنه لا يتعلق بمجموعة عامة من الأفكار، ذلك أننا في هذه الحالة سنكون في الثالثية. فالأمر يتعلق بهذا الدخان الذي أراه يرتفع فوق هذا البراح* من الكارديول gardiole والذي يدفعني إلى دق ناقوس الخطر لكي يأتي رجال الإطفاء لإخماد هذه النار (موضوع هذه القرينة) التي لم أرها والتي لا أشك في وجودها بسبب أن الدخان والنار يرتبطان عضوياً. وبنفس الطريقة ينبغي أن نفهم أن عرضاً ملحوظاً ما هو قرينة لمرض ما أصيب به شخص محدد ما، وأن هذه المشية المترنحة هي مشية هذا الرجل الذي لا أشك في كونه بحاراً، وأن النجم القطبي يشير إلى الشمال، وأن هذه الساعة التي يشير فيها عقربها الصغير إلى 12 والكبير إلى 3 إنما تشير إلى الساعة الثالثة. إلخ. وأيضاً تعتبر قرائن هذه الحروف التي أقرأها في تحليل ما والتي تحيلني على رسم بياني خارج النص، وهذا الضمير وهذه الصفة البسيطة adj.qualificatif ، وهذا الاسم العلم وهذه اللواحق... لكن الاسم لا يمكن أن يكون وحدة قرينة. والدخان لا يمكن أن يكون قرينة للنار، فوحده هذا الدخان الذي أشير إليه بالسبابة هو المعتبر قرينة لهذه النار التي أمامي.

إن ممثل القرينة هو علامة فردية أو علامة عرفية. وهذا واضح بالنسبة للعلامة الفردية، فالعرض Symptome بالعلاقة مع نفسه علامة فردية، وهو قرينة بالعلاقة مع الموضوع. ولقد سبق أن رأينا

أن الضمير pronom أو اسم الإشارة اللذين هما علامتان عرفيتان يمكن أن يكونا قرينتين.

مــو. مــؤ(3.2) هو رمز. فالاسم substantif رمز، ذلك لأنه ثالــث ولأنه علم إذن. فالدخان ــ والتجربة تؤكد ذلك ــ هو علامة للنار. وهذه العلامة هي رمزه، والرمز علامة تحيل على الموضوع الــذي تشــير إلــيه بمقتضــى قانون، وهذا القانون غالباً ما يشكل مجموعــة عامــة مــن الأفكار تحدد تأويل الرمز بإسناده إلى هذا الموضــوع" (2.249). فالرمــز إذن علامة عرفية، وبهذا المنظور فهو يعمل عمله بواسطة صدى réplique . فكل كلمة وكل علامة اتفاقــية هــي رمز. فالمقولات وضمنها المقولات الفانيروسكوبية، والعلامــات الفرعــية (وإذن الأيقونسات والقرائــن والرموز) كلها رمــوز. فــلا أحد يحتاج، كما يقول بيرس إلى التحديد هنا، فيكفي مــراجعة القاموس وإعطاء لائحة معاني الكلمة الإغريقية لكي نجد الأمــثلة على ذلك: نار الحراسة، والنموذج، والشعار، وكلمة السر، والشــارة، والمــبدأ الدينــي، وتذكرة المسرح... (2.297). وأيضاً تعتــبر رمــوزاً العمليات الرياضية و... les foncteurs المنطقية وبالنتيجة الأفعال في الجملة التي تعتبر هي نفسها رمزاً: (2.262): فــــ "قــتل فــي "قابيل قتل هابيل" هي رمز، غير أن قابيل وهابيل قرينــتان (LW24.25) . وبــالفعل فالرمز ليس فقط عاماً باعتباره علامــة، فهــو يحــيل علــى موضوع عام له وجوده "في الحالات الخاصــة التــي يحددها" والتي هي "حالات موجودة لما يشير إليه

للرمــز" (2.249). ويمكــن للقريــنة إذن أن تكون عنصراً مكوناً للرمـــز. فــإذا أشـــرنا في حضرة طفل إلى كرة في السماء ونحن نقــول: "هناك كرة"، فالجهة رمز، واليد الممدودة باتجاه السماء "هي جــزء أساســي" ذلك لأنه بدون هذه اليد فالرمز "لا يعطي أي خبر information". لكــن كما يقول بيرس إذا سألنا هذا الطفل: "وما هــي الكــرة؟" وإذا أجبــنا: "هي شيء يشبه فقاعة صابون كبيرة"، فعــندئذ سنجعل من الصورة، وبتعبير آخر من الاستعارة التي هي أيقونة، عنصراً مكوناً للرمز في مثل درجة القرينة (2.293).

فالرمــز لــيس شيئاً فردياً مثلما يريده الاسماني le nominaliste " أوكــام Occam ، وبتعبير آخر ليس مجرد اسم بسيط، أي علامة فــردية. فنحــن لا نقــوم بخلقه عندما نكتبه، ولا نقوم بحذفه عندما نمحوه. فهو حقيقي بمعنى دانس سكوت Duns scot وبيرس (2.301). "فالــرموز تــتطور. وهي تنشأ بفضل تطورها انطلاقاً من علامات أخــرى، وبصــفة أخص انطلاقاً من أيقونات ومن علامات مختلفة تنتمي للأيقونات وللرموز. ونحن نفكر فقط بمصطلحات العلامات، وهــذه العلامـــات الذهنية لها طبيعة مختلطة. فأجزاء الرموز فيها تسمى مفاهيم. فإذا اقترح الإنسان رمزاً جديداً، فهو يقترحه بواسطة أفكار تشتمل على مفاهيم. وانطلاقاً إذن فقط من رموز يمكن للرمز الجديد أن يتطور omne Symbdum de symbolo " (2.302).

ويشكل مثل الرمز دائماً علامة عرفية، لكنه لا يمكن أن يعمل عمله إلا إذا تجسد مادياً في شكل صدى. فالصدى علامة فردية في

الثلاثية التقابلية الأولى، وهو قرينة في الثلاثية التقابلية الثانية، وهو علامـــة إخـــبارية في الثلاثية التقابلية الثالثة. وسنرى ذلك فيما بعد. وباختصـــار فـــإن العلامـــات الفرعـــية الثلاث في الثلاثية التقابلية للموضـــوع إذا ما قورن بعضها ببعض، يمكنها أن تتحدد كما يلي: "الأيقونة علامة تملك الطابع الذي يصيّرها دالة، حتى وإن لم يوجد موضوعها، ومثال ذلك خط قلم الرصاص الذي يمثل خطاً هندسياً، والقرينة علامة تفقد مباشرة الطابع الذي يجعل منها علامة إذا حذف موضوعها، لكنها لا تفقد مباشرة الطابع إذا لم يوجد المؤول، ومثال ذلـك قالب الطحن un moulage الذي بداخله ثقب رصاصة كعلامة لطلقـــة ناريـــة، فلولا الطلقة النارية لما وجد هناك ثقب، لكن هناك ثقب ما، وهناك شخص ما فكر في أن ينسب أو لا ينسب هذا الثقب للطلقة النارية. فالرمز علامة تفقد الطابع الذي يجعل منها علامة إذا لـم يوجـد هـناك مؤول، ومثال ذلك أن كل خطاب يعني ما يعنيه بمجرد أننا نفهم أن له هذه الدلالة" (2.304).

وينبغـــي كما يقول بيرس، أن نعبر عن الأيقونة بصيغة التمني subjonctif وعن القرينة بصيغة الأمر l'impératif وعن الرمز بالصـــيغة الدلاليةl'indicatif أو بصيغة الإثبات déclaratif ، لأن الصيغة الدلالية تجعلنا نفكر في القرينة التي لا يتم التعبير عنها (2.291).

3- الثلاثية التقابلية الثالثة: البعد المنطقي أو التداولي للعلامة:

لقد عالجنا الرموز التي تتضمنها الجمل، غير أن الجمل ليست رموزاً، فهي كما سنرى علامات إخبارية تنتمي إلى النمط الثاني في الثلاثية التقابلية للمؤولات. وكما سيظهر جلياً في تحليل هذه الثلاثية التقابلية الثالثة، فإن المؤول، ولأنه ثالث، هو دائماً عام، مهما كان نمط هذه العمومية: وظيفة جملية أو جملة أو برهان. فهو من درجة الإسناد. وبالفعل فهو إسناد علامة مؤولة إلى موضوع، هذا الموضوع الذي كما قلنا تمثله علامة الممثل.

إن مـؤ. مـم (1.3) هو مؤول أول. ويسميه بيرس الفدليل * rhéme (وفي بعض الأحيان يسميه السمة). "الفدليل هو علامة الإمكانية الكيفية. Possibi qualitative ، أي إنه يعتبر ممثلاً لهذا النوع أو ذاك من الموضوع الممكن" (2.250) والفدليل الذي يحتل مكانة الحد le terme في المنطق الكلاسيكي هو الوظيفة الجملية في المنطق المعاصر. والفدليل يمكن أن يعطي معلومة، ولكنه لا يؤول باعتباره يعطي هذه المعلومة" (2.250).

أما مؤ. مو (2.3) فهو مؤول ثان. وهو يتطابق تماماً مع الجملة الإسنادية، ويسميه بيرس العلامة الإخبارية أو علامة الإخبار (....) والعلامة الإخبارية علامة تؤول وتعطي معلومة تتعلق بموضوع العلامة. فهي "علامة وجود حقيقي بالنسبة لمؤولها. فلا يمكنها إذن أن تكون أيقونة لا تعطي أي شيء يتيح تأويلها باعتبارها تحيل على وجود حقيقي. والعلامة تتضمن بالضرورة وكجزء من نفسها فدليلاً

كـي تكـون قابلة للتأويل باعتبارها تشير. لكن هذا نوع خاص من الفدلـيل، ومع كونه أساسياً بالنسبة للعلامة الإخبارية فهو لا يشكل تلـك" (2.251). أمـا مؤ. مؤ (3.3) فهو مؤول ثالث في عموميته المقولاتـية. ويـتطابق مع البرهان. وبيرس كان سيسميه استدلالاً raisonnement لـو لم يكن لهذا المصطلح بعد سيكلوجي لا يملكه المـؤول الثالث. وعندما سمى بيرس الفدليل سمة Séme والعلامة الإخـبارية عُـبارة* phéme، فقد كان البرهان يشكل "........" "delome" من الكلمة الإغريقية dhloma. "فالبرهان هو سلسلة من الحروف Graphes".

و"الـبرهان علامة تشكل بالنسبة لمؤولها علامة قانون. وبشكل آخـر فالدلـيل علامة تدرك كتمثيل لموضوعها في مظاهره فقط، والعلامـة الإخـبارية علامة تدرك كتمثيل لموضوعها بعلاقته مع الوجـود الحقيقـي، والبرهان علامة تدرك كتمثيل لموضوعها في مظهـره كعلامـة" (2.252). ومـع أن الفدليل والعلامة الإخبارية والـبرهان على المستوى الشكلي علامات عامة فإنها ليست فارغة، وليسـت شـيمات Schémes خالصة، فلها مضمون، وإن كان هذا المضـمون مجـرد إمكانية بالنسبة للفدليل وقانون بالنسبة للبرهان. وواقعية la réalité العلامة الإخبارية وجودية بالمعنى المحدد الذي لا يكـون مرادفاً للمادي، غير أن مضمون الفدليل وكذلك مضمون الـبرهان واقعـيان من نمط آخر من الواقعية، هي واقعية أساسية بالمعنى.... Scotiste.

3 ـ الأقسام العشرة للعلامة

ونظـــراً لأن كل علامة تتحدد بعلاقتها الثلاثية مع الأبعاد الثلاثة للعلامة فإن عدد أقسام العلامات الممكنة هي3 [3]، أي هي 27 قسماً من العلامات.

	الأول	الثاني	الثالث
مم	1.1	2.1	3.1
مو	1.2	2.2	3.2
مؤ	1.3	2.3	3.3

جدول ــ 8 ــ الثلاثيات التقابلية الثلاث للعلامة

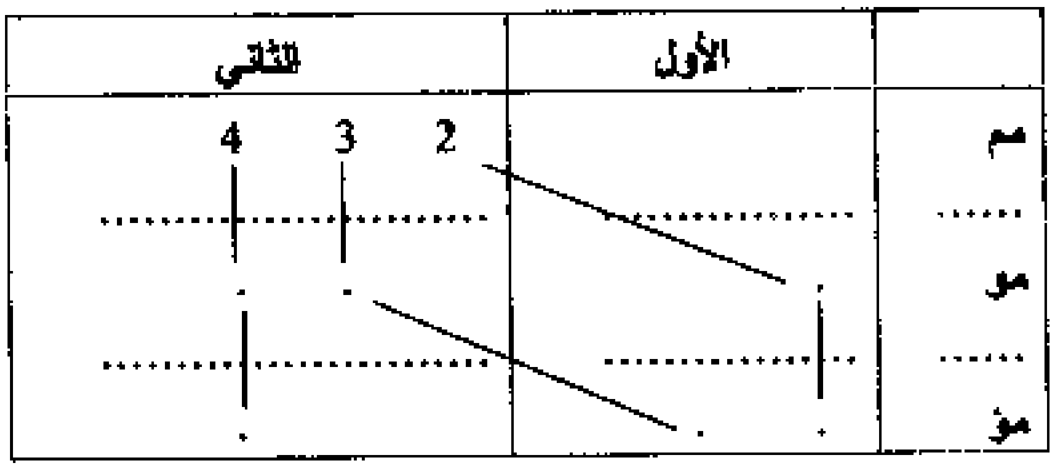
وفي هذه الحالة، وبأخذنا بعين الاعتبار تراتبية المقولات المطبقة علــى العلامـــات، فعشـــرة أقسام وحدها هي الصحيحة، وهي التي يمثلها الجدول السابق.

وواضـــح أنه إذا قرأنا الجدول عمودياً، فلن نجد إلا قسماً واحداً من العلامات ممثلها أول: (1.1، 1.2، 1.3).

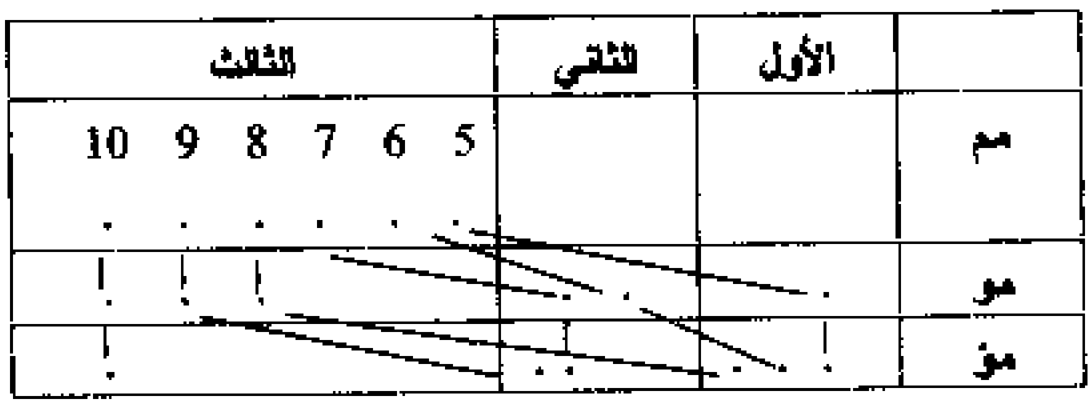
وحيـن يكون الممثل ثانياً فموضوعه يمكن أن يكون أولاً، أو ثانياً. وعـندما يكون أولاً فالممثل يحدد قسماً من العلامات: (2.1،1.2،1.3)، وعندما يكون ثانياً فالممثل يحدد قسمين من العلامات: (2.1،2.2،1.3).

وحين يكون الممثل ثالثاً فموضوعه يمكن أن يكون أولاً، أو ثانياً أو ثالثاً، ويكون مؤوله كذلك أولاً أو ثانياً أو ثالثاً. وهو يعطينا ستة أقسام

من العلامات يكون ممثلها ثالثاً: قسم موضوعها أول (3.1،1.2،1.3)، وقسمان موضوعهما ثان: (3.1،2.2،1.3) و (3.1،2.2،2.3) وثلاثة أقسام موضوعها ثالث: (3.1،3.2،1.3) و (3.1،3.2،2.3) و (3.1،3.2،3.3)، أي في المجموع هناك ستة أقسام من العلامات يكون ممثلها ثالثاً.



جدول 10: الأقسام الثلاثة للثانوية



جدول 11: الأقسام الستة للثالثية

وإذن فالأقسام العشرة للعلامات المرتبة تبعاً لتراتبية المقولات الفانيروسكوبية تتوزع في اللائحة التالية. والتسميات مأخوذة من

بيرس (2.154.264). والمصطلحات المشار إليها تكفي حسب بيرس للإشارة للقسم الذي يطابقها. ومن الأفضل والحالة هذه أن نوضح تسميات القسم كي نميز في تحليلنا للعلامة مستوى التحليل، سواء بالنسبة للممثل أو للموضوع أو للمؤول.

	مم	مو	مؤ	
I	1.1	1.2	1.3	العلامة الوصفية الأيقونية التحليلية
II	2.1	1.2	1.3	العلامة الفردية الأيقونية التحليلية
III	2.1	2.2	1.3	العلامة الفردية الأيقونية التحليلية
IV	2.1	2.2	2.3	العلامة الفردية القرينية التحليلية
V	3.1	1.2	1.3	العلامة العرفية الأيقونية التحليلية
VI	3.1	2.2	1.3	العلامة العرفية القرينية التحليلية
VII	3.1	2.2	2.3	العلامة العرفية القرينية الإخبارية
VIII	3.1	3.2	1.3	العلامة العرفية الرمزية التحليلية
IX	3.1	3.2	2.3	العلامة العرفية الرمزية الإخبارية
X	3.1	3.2	3.3	العلامة العرفية الرمزية البرهانية

جدول ـ 12 ـ الأقسام العشرة للعلامات

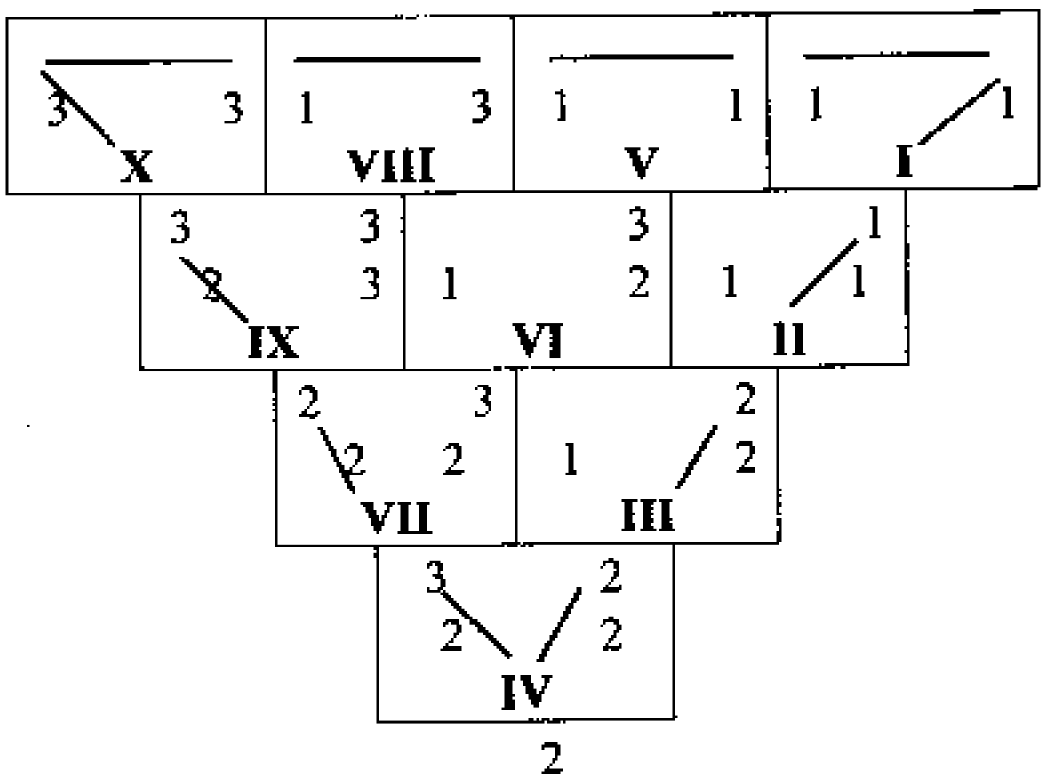
	الأقسام العشرة للعلامات			الأصدية (بحروف مضغوطة)		
	مم	مو	مؤ	مم	مو	مؤ
I	1.1	1.2	1.3			
II	2.1	1.2	1.3			
III	2.1	2.2	1.3			
IV	2.1	2.2	2.3			
V	3.1	1.2	1.3	2.1	1.2	1.3
VI	3.1	2.2	2.3	2.1	2.2	1.3
VII	3.1	2.2	2.3	2.1	2.2	2.3
VIII	3.1	3.2	1.3	3.1	2.2	1.3
IX	3.1	3.2	2.3	3.1	2.2	2.3
X	3.1	3.2	3.3	3.1	3.2	2.3

جدول – 13– الأصدية: Les répliques

ونظـراً لأن الأقسام الواقعة ثالثاً وحدها هي التي تملك أصدية، وأن الأصـدية كلهـا ليست علامات فردية، فالجدول السابق يعطينا لائحة الأصدية التي تطابق الأقسام العشرة للعلامات[4].

فالأقسـام الأربعة الأولى التي لا تملك ثالثاً ليست لها علامات. والأقسـام 5، 6 و7 لهـا ثالـث واحد فقط الذي هو ممثل، فصداها سـيكون إذن ممـثلاً ثانياً، أي علامة فردية. والقسمان 8 و9 لهما ثالـثان: ممثل وموضوع، فصداهما سيكون إذن موضوعاً ثانياً، أي قريـنة. والقسـم العاشر له ثلاثة ثوابت: ممثل وموضوع ومؤول، وصداه سيكون إذن مؤولاً ثانياً أي علامة إخبارية.

وإذا مـا قمنا بترتيب هذه الأقسام العشرة من العلامات حسب قرابتها، فيمكن تجميعها في شكل مثلث (شكل2). حيث تمثل الأرقام العربية العناصر الثلاثة المكونة لكل علامة وتقابل القسم المشار إليه برقم روماني. وقد تم ترتيب العناصر الثلاثة بالطريقة المشار إليها جهـة اليمين في الشكل (رقم2)[5]. ويمكن للأقسام العشرة للعلامات أن يكـون لهـا أي عنصـر مشـترك (المربعات الواقعة على قمم المثلث)، أو أن يكون لها عنصر واحد مشترك فقط (المربعات غير المتجاورة، والمربعات المتجاورة التي يفصلها الخط المضغوط). أو أن يكون لها عنصران مشتركان (المربعات المتجاورة) (2.264).



شكل ـ 2 ـ مثلث أقسام العلامات

الهوامش:

(1) الـــنص الأصلي هو: Will not be determined to thought of that object

(2) حـــول أبعـــاد العلامـــة انظر: شارل موريس: Fondation of the theory of signs ضـــمن writings on the general theory of signs منشورات Mouton 1971، ص: 28 ـــ 54.

* رسم شيء أو صوت يمثل الكلمة الدالة على الفكرة (المترجم)

* الأرض البائرة التي ينبت فيها ما يوافق تربتها (المترجم)

* المذهب الإسماني ـــ مذهب فلسفي ـــ (المترجم)

* د. التهامي الراجي، اللسان العربي ع. 25 (المترجم)

(3) طريقة في التعريف

(4) Elisabeth Walther ,Allgemeine Zeichenlehre, Stuiigart, 1974, p.86

(5) Ct, 8.376

القسم الثالث

من أجل تحليل سيميوطيقي

"لم أستطيع أبداً دراسة أي شيء – رياضيات، أخلاق، ميتافيزيقا جاذبية، دينامية الحرارة، بصريات، كيمياء، علم التشريح المقارن، علم الفلك، علم النفس، صوتيات، اقتصاد، تاريخ العلوم، لعبة الورق، رجال ونساء، خمور، قياسية – إلا وفق الدراسة السيميوطيقية".

رسائل إلى الليدي ويلبي – ص.32

الفصل الأول

ميتا ـ سيميوطيقا الممارسة : التواصل

إن الممارسة، سواء أكانت ممارسة للسيميوطيقا النظرية أو ممارسة للعلامات في وضعية محددة، تطرح مشاكل ميتا ـ سيميوطيقية يكون حلها مؤثراً جذرياً على السيميوطيقا وممارستها. وسنحاول التعرض لتلك المشاكل التي لها علاقة بالتواصل.

1 ـ التحليل والتواصل :

يقوم إجراء الممارسة السيميوطيقية على أساس ترتيبي، فهي تحلل الممثل الأول أولاً، ثم الموضوع الثاني ثانياً، ثم المؤول الثالث

أخيراً. ولا يعكس هذا الترتيب أي تراتبية إلا تلك التراتبية المقولاتية، بل وينبغي أن نركز على حياد هذه التراتبية بالقول بأنها رياضية مقولاتية. إن هذه التمييزات لا تفترض أي تقطيع للواقع، بل ولا تفترض حتى إمكانية أن يكونَ لهذه التمييزات وجود عقلي مستقل. وما سنقوله، ولا نقول غير ذلك، هو أنه بانتفاء العلاقات الثلاث الملازمة للممثل والموضوع والمؤول، لا يكون للعلامة أي وجود.

ويختلف ترتيب ممارسة العلامات في واقع موجود عن ترتيب الممارسة السيميوطيقية وهذا ليس من خلال ما سبق ذكره وهو الذي يؤكد هذا الأمر بالعكس، ولكن انطلاقاً من أن الوضع الموجود هو وضع تواصل يستلزم وجود علاقة تشفير encodage وحلّ التشفير décodage، وهي العلاقة التي يقوم بها المتخاطبون الحاضرون كل بطريقته. ويمكن بالفعل أن نرسم خطاطة للتواصل النظري في هذا الشكل التالي الذي سنعطيه الترتيب وقيمة المقولات البيرسية.

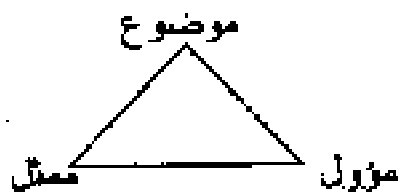
1	حل التشفير (الموجود بالقوة)
2	التواصل الفعلي (علاقة تشفير ــ حلّ تشفير)
3	التشفير (القواعد)

جدول 14 ــ التواصل

ومن المنطقي أنه لا وجود لتشفير دون وجود لحلّ تشفير مقصود، ولا وجود لحلّ تشفير دون وجود تشفير قائم في الذهن، إنّ

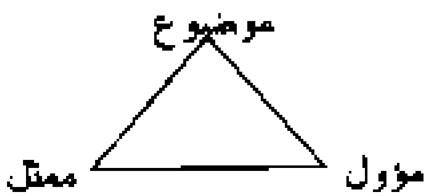
علـــى مستوى المؤولين ــ وذلك عندما يقوم باث العلامات بتحضير تشفيره كي يمكن لرسالته أن يحلّ تشفيرها بدقة ــ أو عندما يحاول المســتقبل تشــغيل الحلول التشفيرية الممكنة للعلامات المبثوثة كي يعطيها التأويل الأقرب إلى ذلك التأويل الذي أراده الباث.

إن ترتيــب الممارسة الفعلية للعلامات ستكون إذن في حالة حلّ التشفير النظري: ممثل ــ مؤول ــ موضوع (ممثل) أي:



شكل 3 ــ ترتيب حل التشفير

وفي حالة التشفير النظري: موضوع (ممثل) ــ مؤول ــ ممثل، أي:



شكل 4 ــ ترتيب التشفير

ولا تتميز عملية التواصل، مثلها مثل التحليل بترتيب عناصرها. وهـــي مثلها مثل التحليل لا يمكن أن توجد إلاّ بتواجد عناصرها في اللحظة ذاتها. وسيكون من الخطأ أن نعتبر ترتيباً معيناً هو الترتيب "الصـــحيح". فأن نعطي موقعاً ثابتاً للممثل بين الموضوع و المؤول

مــثلاً، لا يجعــل تمييزاتــنا المنهجــية مجرد انفلاقات clivages أونطولوجــية، بــل ويعنــي انــتماءنا للأطروحات التي ترفضها، وبــالفعل فذلــك يعنــي أننا نقبل أن العلامة ـــ المؤول هي علامة شفافة، وأن المؤول يقبض مباشرة على الموضوع من خلالها، وهي الفكــرة الثنائــية dualisme التــي لا يمكن الدفاع عنها في سياق الفلســفة البيرســية. ونحــن لا نســتطيع أن نهرب من هذه الثنائية بافتراض أيقونة المبدأ بين الممثل والموضوع، وإنما سنستبدل ثنائية الشــفافية بثنائــية الانســجام المقررة سلفاً حسب ليبنيز Leibniz. وبالنســبة للسيميوطيقا البيرسية لا يوجد لاما في العلامة (المؤول) ولامــا بعدها (الأشياء). فالموضوع بُعدٌ في العلامة وهو علامة في حــد ذاتــه. وهــذا مــالا يفــترض في هذه الحالة أيّ مثالية إنْ إبســتمولوجية أو أنطولوجــية. ذلــك أن الميتافيزيقا البيرسية تقبل إبســتمولوجيا بوجــود العــالم الخارجي، وتقبل أنطولوجيا بواقعية الكونيات. ولكن كل هذا بالتحديد مواقف مونا سيميوطيقية.

2 ـ الإنسان وعملية التواصل :

لا وجــود لأي تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعــل التواصل، ودون وجود إبداع أو على الأقل دون وجود تولــيف للعلامــات. إن هذا الأمر هو واقع. فلماذا إذن نرفض في الســيميوطيقا المــؤول ونســتبدله بعلامة المؤول التي لا تؤول في النهاية إلاّ عن طريق الإنسان؟ ولا يوجد هنا أيّ إشكال إلاّ إذا كنا

نخلط بين سيميوطيقا التواصل والتواصل السيميوطيقي. فالسيميوطيقا علم للعلامات وليست هي علم الناس الذين يتواصلون عن طريق العلامات. ولا يتضمن قولنا هذا أيّ استبعاد لعلم النفس، فهل القول إن السيميوطيقا موضوعها العلامات وليس الإنسان، يتضمن نفي الإنسان؟ في كل الأحوال ليس هذا هو موقف بيرس.

لنسلّم في البداية بأن بعض نصوص بيرس هي في الأقل الظاهر غامضة: "إن الوجود الشخصي وهمٌ وكذبة" (4.68). "وفي هذه الحالة، فأنت وأنا من نكون؟ مجرد خلايا بسيطة في الجسم الاجتماعي" (1.673)[1]. إن هذه الجمل، وهي توضع في سياقها تحيلنا على موقفين أساسيين عند بيرس. **الأول** هو أن الفرد بالفعل مجرد خلية اجتماعية بسيطة، وأنه بوصفه فرداً لا يشكل المبدع والحكم والضامن للحقيقة. فالمجموعة، وبالأخص مجموعة الباحثين هي التي تلعب هذا الدور. **والموقف الثاني** وهو مرتبط بالأول، هو أن الفرد لا يملك فرديته إلاّ لأنه معرض للخطأ. فالأنا الخاص يتصف بـ "الجهل والخطأ" (5,235,317)، ويتميز عن "الأنوات" الأخرى بـ "أخطائه" و "حدوده" (1.673)، وهذه الفكرة هي صدى ثقافي (أو ينبغي أن نقول أيديولوجيا) لفكرة عزلة الإنسان الكنسية: الشرّ للإنسان المنعزل عن مجتمع الآخرين، وهي في نفس الوقت دعوة ثانية لمواجهة قابلية تعرض الوضعية الإنسانية للخطأ الحبري Pontisicale التي تمّ الإعلان عنها في عام 1870، أي لمواجهة قابلية تعرض الوضعية الإنسانية للخطأ، وهذا لا يعني أن الإنسان لم

يعد له أي دور في المجتمع وفي البحث عن الحقيقة. فالمجتمع ليس لــه وجــود إلا بوجــود الأفراد الذين يكوّنونه. وحقاً "فالإنسان هو حــيوان اجتماعــي بالأساس، لكن الكائن الاجتماعي شيء، والكائن الفطيعــي شيء آخر" (1.11). وبالنسبة للحقيقة فهي لا تحدّد بقابلية الــتعرض للخطــأ. "فالحقــيقة هي توافق الملفوظ المجرد مع الحدّ النموذجــي الــذي يتجه إليه البحث والذي ليس له نهاية، وذلك ليتمّ إنــتاج الاعتقاد العلمي، وهي توافق يمكن للملفوظ المجرد أن يحققه بمقتضــى طابعــه غــير الصــحيح والجزئــي المعترف به. وهذا الاعتراف عنصر أساسي في الحقيقة" (5.565).

ولكي نفهم جيداً فكرة بيرس، ينبغي أن ننطلق من تأكيده على أن "الإنسان علامة" (5.314). وأنه كلما فكرنا يكون حاضراً في ذهننا تمثــيلٌ يصــلح كعلامة. والحال أن كل ما هو حاضر في ذهننا هو مظهــر مــنا. إذن، فكلمــا فكرنا فإننا نظهر نحن أنفسنا كعلامة (5.283)، وفي النهاية، فليس هناك فرق بين كلمة "إنسان" والعلامة اللغوية التي تمثل الإنسان نفسه: إن الإنسان هو كلمة (5.313).

وبــدون أن نتوســع فــي بعض المظاهر التي تمكننا من تمييز الإنســان عن الكلمة البسيطة (انظر 7.584، 5.313) فإن ما ينبغي إظهــاره هنا هو مبدأ هويتها، وهو مبدأ سيقود بيرس إلى التأكيد أن فــي كــل عملــية تواصل، انطلاقاً من جوهرها الاجتماعي، تكمن الشخصية La personne.

ولأن الإنسان علامة فهو ثالث. إنه كوني (ويسميه بيرس عاماً) له وجود حقيقي (5.312). "إن وعي فكرة ما عامة يكمن في داخلها نوع من "وحدة الأنا" (....). إنها إذن مماثلة للشخصية، وبالفعل فإن الشخصية ليست سوى نوع خاص من الفكرة العامة" (6.270). لكن "الشخصية ليست بالتأكيد فرداً individu فأفكارها هي ما تقوله هي نفسها"، أي ما تقوله إلى هذه الأنا الأخرى التي تولد الآن فقط من جريان الزمن. فنحن عندما نفكر نحاول أن نقنع هذه الأنا الناقدة. فكل فكرة مهما كانت، هي علامة، وبالأساس هي لغة". "إن دائرة مجتمع الإنسان" هي إذن "نوع من الشخصية المنسقة بشكل سيّء" (5.421). وهذا النقص في التنسيق ناتج عن كون الشخصية "بوصفها فكرة عامة ليست شيئاً ممكن الفهم في لحظة. فهي تحتاج أن تعاش في الزمن، ولا يمكن للحظة منتهية أن تمسك بها في امتلائها" (6.155).

إنها لا توجد أيضاً بوصفها ثانية: "فهي حاضرة وحيّة عند كل فاصل زمني ضئيل جداً، رغم كونها خاضعة بالخصوص للعواطف المباشرة لهذه اللحظة" (6.155). ثم "إن معرفة الشخصية لشخصية أخرى تتم بنفس الطريقة التي يتم بها وعي هذه الشخصية بشخصيتها ذاتها. ففكرة الشخصية الثانية التي هي الشخصية الثانية ذاتها تدخل في حقل وعي الشخصية الأولى وتتم الرؤية إليها مباشرة كأناها. وفي نفس الوقت يتم اكتشاف التعارض بين الشخصيتين بحيث يتم الاعتراف بخارجاني extériorité الثانية"

(6.160). وذلك نصيب كل موجود: "فكل موجود يوجد exsiste، أي يتفاعل مع الموجودات الأخرى، ويمتلك بهذه الطريقة هُوِيَّتهُ الفردية، وهو بالضرورة فردي" (5.429). إن شخصية الشخصية كما نقول مع بيرس هي إذن "نوع من التنسيق أو من الاتحاد بين الأفكار" (6.155). لكن كلمة التنسيق تفترض أكثر من هذا، إنها تفترض تناسقاً غائياً في الأفكار، وفي حالة الشخصية، فإن هذه الغائية هي أكثر من قصدية بسيطة للوصول إلى هدف محتوم، بل هي تطور غائي، وهو الطابع الفردي للشخصية. فإذا كانت أهداف الشخصية واضحة قبلياً، فلن يكون هناك مكان للتطور والنماء والحياة. وبالنتيجة لن يكون هناك شخصية" (6.157).

3 ـ التواصل: المجتمع واللغة:

إن كل بعدٍ من أبعاد الشخصية يطابقه نوع من المجتمع ونوع من اللغة. فالأولية يطابقها نوع المجتمع الذي يقول عنه كابرييل مارسيل Gabriel Marcel بأنه كان يشكل "تجربة مشاركة communion"، ولأن اللغة فيه لا تخضع لأي قواعد خارجية. وعندما نكون أمام هذه الحالة، يقول بيرس "فلا بدّ أن يكون هناك شيء شبيه بالوعي الفردي عند الناس الذين يشتركون في التعاطف الحميمي والمكثف" (6.276). ولكن، لن نصف هذه اللغة باللغة الخاصة التي هي من قبيل المستحيل على كل حال (انظر 269،5.261،1.145). فهي لغة اجتماعية قبلاً. ولكن صيغها،

ودون أن يكون ذلك خاضعاً لتناقل الخواطر télépathie، يمكن أن تمتلك الصفة (6.159).

ويطـابق **الثانوية** المجموعات المحددة، أي كل أنواع الطوائف communauté مـثل الـنوادي والعصابات والزمر والمجتمعات العالمـية والمجتمعات الرهبانية التي لا تستطيع القواعد أن تُفرض فيها إلاّ بتقبل أعضائها لها، والتي تكون لغتها فيها دائماً متخصصة وسرية ésotérique : مثل اللغات العامية والتقنية. وقد أكد بيرس كثـيراً على ضرورة اللغات التقنية واقترح "أخلاقية مصطلحية" هي نوع من أدبيات استعمالها (226 – 2.219).

ويطابق **الثالثية** المجتمع بمعناه الواسع، أي هذا المجتمع المتعدد والمختلف الذي ينتمي إليه كل إنسان بالقوة أو بطيب خاطر، والذي يعـيش فـيه ويـنقله معه أينما ارتحل، مثلما نقله معه **روبانسون كـروزوي** عـندما غادره وهو يحمل تاريخه وثقافته ولغته وعاداته وتقالـيده. إن لغة هذا المجتمع لغة عامة وخارجية exotérique . فهـي مستقلة عن الأفراد، لكن الأفراد كلهم يساهمون في تكوينها وفي تحولها. ولا يقصر بيرس اللغة على اللغة الإنسانية فقط فلكي توجـد اللغـة يكفي أن توجد قواعد منسجمة للمشاركة. وهذا يعني بـدون شـك تقاليد "غرائز تواصل" الحيوانات (7.379) مثلما يعني الأعراف اللغوية للغة الإنسان (انظر 7.385).

إن لغة المشاركة لغة إبداعية، ويمكن في الحد الأقصى أن ينظر إليها كظاهرة أدبية رغم أنها وسيلة للتواصل. وبهذا الشكل يمكن أن

ترتّب كـتابات كتاب مثل جيمس جويس J.Joyce وإيزرا باوند E.Pound وسـيلين Celine . أمـا لغـة المجموعـة فهي لغة تجديدية، وطابعها التجديدي يمكن أن يرتكز على همّ التدقيق أو على مجـرد إرادة التمـيز عـن الآخرين. وأما لغة المجتمع في معناها الواسع فهي لغة "تطورية".

وهذا ما نلخصه في الجدول التالي:

المجتمع	التكوين	اللغة	التكوين
المشاركة communion	لا وجود لقواعد خارج العلاقة	تعاطفية	إبداع
الطائفة Communaué	قواعد مقبولة	سرية	تجديد
المجتمع Société	قواعد لا يمكن التملص منها	خارجية	تطور

جدول 15 : المجتمع واللغة

والخلاصـة أن الـنظرية الاجتماعية للعلامة عند شارل بيرس تفـترض حضـور الشخصـية داخل العلامة، ذلك أنها، وهي غير ثلاثـية، هـي نفسها السيرورة السيميوطيقية التي يجد الإنسان نفسه مـندمجاً فيها، أي هي السيرورة الثنائية بالتحديد (2.3)، وباعتبارها ثالثة (3.3) فهي قابلة للوصف. وإذن فالإنسان لا يستطيع أن يكون لـه موقـع إلا ذلـك الموقـع الـذي يعود إليه حقاً داخل النموذج

السيميوطيقي، أي موقع العلامة، أو بدقة أكثر موقع الرمز (7.58). لكن النموذج، وهو يخضع للمستويات الثلاثة للمقولات: الثالث والثاني والأول، يقوم باستحضار كل قدرات الإنسان وفعاليات الفرد وقوى الشخصية الإبداعية.

الهوامش :

[1] حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى:

Gresham Riley, Peirce's theory of individuality, transqaction, of the Charles S.Peirce Society, vol. X, n3,pp. 135-165.

الفصل الثاني

نظرية التحليل السيميوطيقي
وتطبيقها على اللوحة

أ ـ النظرية :

ينهض التحليل السيميوطيقي على أساس زمر أو مجموعات من العلامـــات ــ لوحـــات، صور، ملصقات، نصوص، أنساق علامية (إشارات طرقية، إشعارية أو غير ذلك) ــ وذلك عن طريق وصفها فـــي البداية باعتبارها ممثلات representamens، ثم عن طريق ربطهـــا تالياً بموضوعها أو موضوعاتها بعد أن نكون قد أعطيناها مؤولاتها interprétants. والممثلات كعلامات تمثل موضوعاتها، فهـــي ممـــثلاتها. ولهذا فهي لا تعيّن بذاتها موضوعاتها، إذ تعطى

العلاقــة مــع الموضوع بواسطة علامة أخرى هي علامة المؤول. وهكــذا تــنطلق حركة تحليل العلامة (التي هي علامة ثلاثية) من الممثل نحو الموضوع مروراً بالمؤول.

وينكــبّ التحليل على الزمر المكوّنة، فهو ينتج عن حلّ التشفير decodage ويســتبعد حســب الظاهر دراسة إبداع زمر العلامات التي ترتبط بفرع آخر من السيميوطيقا. وسيكون من الخطأ أن نعتقد فــي هــذه الحالة أن إبداع زمر العلامات هو مجال خاص بالفنانين والكــتاب والمفكريــن. فنحن جميعاً نُعتبر مبدعين عندما نتواصل، وذلــك لأننا نقوم بالمزج بين علامات من المحتمل أن تخلق في ذهــن مَنْ نخاطب المؤولات التي نريد منه إنتاجها كي يفهم جيداً ما نــريد قوله، وبمعــنى آخر كي يرى إلى أي الموضوعات تحيل علاماتــنا (الممــثلات). فكــل تواصل يُعتبر لعباً معقداً، لكنه يحلّل بوضــوح، أي بواســطة التشفير. فالتشفير l'encodage ينتج عن الثالثــية tierceité ، فهــو إبداع لقواعد تأليف العلامات، أي لتلك القواعــد الخاضعة فقط للحظة المعيشة التي يقوم خلالها التواصل. أمّــا حلّ التشفير le décodage فيعتبر إعادة بناء لهذه الزمرة من العلامــات، أي يعتــبر كامــناً. وباعتباره كذلك فهو إذن أولّ. لكن للتواصل الحقّ هو هذه اللحظة الثانية التي "يتحقق" فيها حلّ التشفير بفضل محاولات التشفير التي يقوم بها المخاطب l'interlocuteur، وهي محاولات ينبغي أن تتطابق بطريقة مثالية (لكي لا يكون هناك ســوء تفاهم) مع تشفير المتكلم. فليس هناك حلّ للتشفير، وبالنتيجة

ليس هناك تحليل دون وجود التشفير. وهذا يعني أن كل تحليل يبدأ مـــن تجمع للعلامات أو للممثلات التي تحيل إلى مجالي الموضوع بواســطة الحقــول الــثلاثة للمؤول. فزمرة العلامات هي ما ينبغي تحلــيله: لوحـــة، قصـــيدة، حفل، مشهد في الشارع...الخ. ومجالا الموضـــوع هما مجال الموضوع باعتباره موضوعاً، أي موضوعاً مباشـــراً O.Immediat (م. م) "فـــي العلامـــة" (LW.31)، والموضـــوع "خـــارج العلامـــة" أي الموضـــوع الدينامـــي O.dinamyque (م. د) في سياقه، وهذا الأخير لا يظهر "مباشرة" فـــي الممثلات. ويؤكد بيرس أن العلامة (الممثل) "ينبغي أن توحي" بموضوعها الدينامي أو "غير المباشر" (أن تشير إليه بإشارة)، وأن "هـــذا الإيحاء أو مادته هو الموضوع المباشر" (LW.31). "ولنأخذ كمـــثال كمـــا يقول بيرس جملة **"الشمس زرقاء"**. فموضوعاها هما **"الشـــمس"** و**"الـــزرقة"**. وإذا كـــنا نعني بكلمة "الزرقة" الموضوع المباشـــر الـــذي هو صفة إحساس، فذلك لا يمكن التعرف عليه إلاّ بالشعور، لكن إذا كنا نعني به ذلك الشرط الوجودي والحقيقي الذي يدلّ على أن الضوء الصادر عنه له طول موجة متوسطة وقصيرة، فقد سبق وأن أقام لانجلي Langley الدليل على صحة هذه الجملة. وهكذا فالشمس يمكن أن تعني موضوع الإحساسات الملتهبة، وهي فـــي هـــذه الحالة موضوع مباشر، أو يمكن أن تعني التأويل الذي يمكـــن أن نعطـــيه عادة إلى هذه الإحساسات في حدود المكان، أو الكـــتلة..الـــخ، وذلك عندما تكون موضوعاً ديناميا" (8.183). وإذا

كان شخص ما الآن يشير إلى الشمس بالإصبع ويقول: "هذا الشيء هو ما نسميه الشمس" فـ "الشمس" ليست موضوع هذه العلامة. ولا يمكن أن نعرف عمّ هي علامة إلاّ بواسطة "تجربة إضافية" collatérale (نفس المرجع) تكون الشمس موضوعاً لها (موضوعاً مباشراً وديناميّاً). فالحقول الثلاثة للمؤول هي حقول المؤول المباشر (م. م) الذي هو "المؤول الذي تمثله أو تعنيه العلامة" (8.343)، والمؤول الدينامي (م. د) الذي يقدم كل المعلومات الضرورية لتأويل العلامات، أي ذلك "الأثر الحقيقي الذي تحدثه العلامة في الذهن" (8.343)، والمؤول النهائي (م. ن) الذي يسميه بيرس المؤول "العادي" والذي يقدم كذلك أنساق للتأويل، وهو "الأثر الذي قد تحدثه العلامة في ذهن يمكن للظروف أن تطور أثر هذه العلامة إلى أقصاه" (LW.35)، أو كما يقول بيرس أيضاً "بعد التطوير الكافي للفكر" (8.343)، وعندما يصف بيرس المؤولات من وجهة نظر الشخص الذي يؤول، فإنه يسمي هذه المؤولات بالتتابع: عاطفي affectif (انفعالي)، وفعال enérgétique ومنطقي Logique. والمؤول النهائي (م. ن) يتضمن المؤول الدينامي (م. د) والمؤول المباشر (م. م)، ويتضمن المؤول الدينامي (م. د) المؤول المباشر (م. م).

ويعتبر المؤول المباشر مؤولاً مدركاً. فهو لا يرى إلا الموضوع المباشر ولا يمكن أن يقول عنه إلاّ ما تسمح بقوله طريقة التحليل: "فالمطلوب من أجل قراءة العلامة والتمييز بين علامة وأخرى، هو

الإدراكـــات الدقـيقة والـــتعوّد على ما يصحب عادة هذه المظاهر، ومعـــرفة شـــروط نسق العلامات" (8.181). وكما سبق أن رأينا، ينحدّ التصنيف العادي. ومنطقياً فالمؤول المباشر لا ينبغي أن يقول شـيئاً، وهذا ما يعترف به بيرس: "إن المؤول المباشر هو متضمن فـــي كونــه كــل علامـــة.... ينبغـــي أن تكـــون لهـــا تأويليـــتها intérprétabilité الخاصـــة قبل أن يكون لها الشخص الذي يؤول.... ف (Ć) هو تجريد يرتكز على إمكانية possibilité" (LW,36)[1]. .

ويعتبر المؤول الديناميّ مؤولاً حركياً. فعلاقته بالموضوع تتغيّر وذلـــك حسب كون الموضوع مباشراً (م. م) أو ديناميّاً (م. د). ففي حالة كون الموضوع مباشراً فإن المؤول الديناميّ لا يعطي إلاّ ماله علاقة بالعلامة نفسها كما هي، ("فالموضوع المباشر هو الموضوع كما تمثله العلامة" (8.343): فهو علامة وصفية أو علامة فردية أو علامـــة عرفـــية. وفـــي حالـــة كون الموضوع ديناميّاً فإن المؤول الديناميّ (م.د) يبحث عن معلوماته في السياق نفسه للموضوع كيفما كـــان حجم هذه المعلومات، لكن ينبغي أن يتعلق الأمر بالمعلومات الحركـــية factuelles التـــي تمكننا من القول إذا ما كانت العلامة أيقونة، قرينة أو رمزاً للموضوع. وسنميز في هذا المؤول الديناميّ بيـــن نوعيـــن اثنين، وذلك حسب كون المؤول يتطلب أو لا يتطلب "تجـــربة إضـــافية" (LW,31) لكـــي يحيل على موضوعه. فإذا لم يتطلـــب ذلـــك، فـــإن المؤول الديناميّ (1) يشكل قراءة في السياق الحاضـــر لمعـــرفة الشـــخص الذي يؤول. فهو يرتكز على الإبعاد

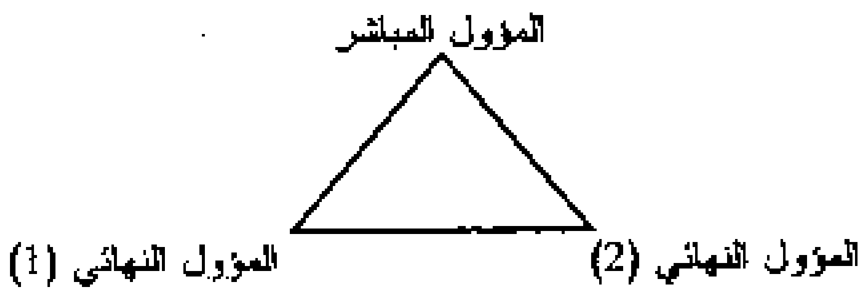
Abduction ، وإذا كــان يتطلــب ذلك فإن المؤول الدينامي (2) يشكل قراءة في سياق خارجي مباشر (خارجي أوسابق) عن معرفة الشخص الذي يؤول. فهو يرتكز على الاستقراء induction.

فــالمؤول الدينامــي (2) هــو إذن قراءة في السياق الاجتماعي (الخارجـــي) أو التاريخي (السابق) أو فيهما معاً، لوجود العلاقة بين العلامة وموضوعها الخارج عن الشخص الذي يؤول.

ويعتـــبر المؤول النهائي مؤولاً نسقياً Systématique، ويمكن أن يــأخذ ثلاثـــة أشكال وذلك حسب الطريقة التي توصلنا إلى نسق الـتأويل: عن طريق الإبعاد أو الاستقراء أو الاستنباط. ففي الحالة الأولى يشكل المؤول النهائي (1) **عادة عامة** habitude في تأويل العلامـــات فـــي زمـــن ومحـــيط معينين، وهي عادة نحصل عليها بالـتجربة، وهي جماعية أكثر مما هي فردية. أما المؤول النهائي (2) فهـو عــادة **خاصة** Spécialité ومظهر habitus مثله مثل قدرة عـــالم النــبات على تصنيفه للنبتة الجديدة، أو قدرة عالم الآثار وهو يــؤرخ لآنـــية الفخار، أو قدرة مؤرخ الفنون وهو يربط لوحة غير موقعة برسام ما أو بمدرسة فنية معينة... الخ. إن المؤول النهائي (1) يخــتلف عــن المؤول النهائي (2) ليس فقط لأنه عادة عامة، ولكن لأنــه لــيس علمياً عكس المظهر المتخصص، أي ليس مراقباً عن طــريق الــتجربة. إن المـــؤول النهائي (1) يرتكز على الاستقراء l'extrapolation الــذي يمكن أن يكون صحيحاً، والذي وإن كان هـــو الآخــر مراقـــباً، فإنه يكون كذلك دون أن يحتاج إلى فحص مضـــاد. ولهـــذا فكل الأحكام المسبقة العرفية والدينية والثقافية وكل

الأيديولوجيات ترتبط به. ويشكل المؤول النهائي (3) مؤولاً نسقياً بامتياز. فإذا كانت التجربة تقود عن طريق الإبعاد من المؤول الدينامي (1) إلى المؤول النهائي (1) وعن طريق الاستقراء من المؤول الدينامي (2) إلى المؤول النهائي (2)، فإن المؤول النهائي (3) لا يحتاج إلى مؤول دينامي. فهو حرفياً خارج السياق ولا يتطلب تجربة لكي يوجد. فهو استنباطي بشكل باتّ، كما هو الحال بالنسبة لكل الأنساق الشكلية، سواء انطلاقاً من المؤول النهائي (1) كما هو شأن الفرضيات الفيزيائية الكبرى، أو انطلاقاً من المؤول النهائي (2) كما هو شأن النظريات البنيوية والتحليلنفسية.

ويمكن أن نجمع المؤولات الثلاثة في مثلث يبين فيه السهمان الصيغة التجريبية الإبعادية (م.د (1)← م.ن (1) أو الاستقرائية (م.د (2) ← م.ن(2)) لتكوين المؤولات النهائية م.ن (1) وم.ن (2).



الشكل 4 ــ مثلث المؤولات

وتمكننا بعض الأمثلة من إعطاء هذه التمايزات مضموناً أقل تجريدية. فكل الناس يعرفون محطة البنزين **Shell (شال)** من خلال القوقعة La coquille التي تشكل علامة أو تشكل بدقة أكثر

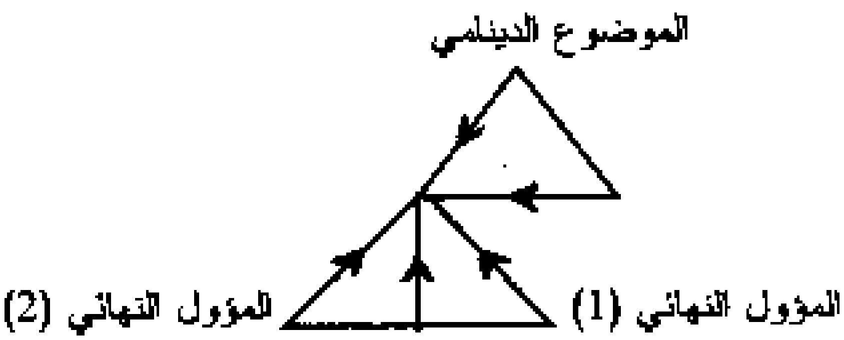
رمـــزاً (3.2) للنوعـــية La marqueٍ، مـــثلما نعرف كذلك نوعية الطـــوق المطاطي le pneu ميشلان Michelin من خلال الرجل المميـــز المســـمىّ bibendum. وفـــي الحالتين معاً، فإن المؤول النهائـــي (والمـــؤول النهائـــي (1) بالتدقيق) هو الذي يجعلنا نسند العلامـــة إلـــى موضوعها. فحجة العلامة لا يمنحها المؤول النهائي الذي هو عادة، بل يمنحها المؤول الدينامي للذي سيقول إن شال هي الكلمـــة الإنجليزية التي تعني "قوقعة". فالمؤول الدينامي (1) هو ما يحـــتاجه الـــرجل الإنجليزي الذي سيرى العلاقة بشكل مباشر، في حيـــن سيســـتعين الرجل الفرنسي بالمؤول الدينامي (2) عن طريق معرفـــته الإضافية باللغة الإنجليزية لكي يقيم نفس العلاقة. أما حالة الرجل المسمّى Bibendum فهي أكثر تعقيداً.

وســـواء كـــنا فرنســـيين أو إنجلـــيز فلابد من استدعاء المؤول الدينامـــي (م.د (2)) من أجل ربط العلامة بموضوعها، أي بالطوق المطاطـــي الأول المـــنفوخ الـــذي "يشـــرب الحاجـــز". فذلك هو البيـــبوندوم (الشكل5)*. فالعلامة وهي تصير رمزاً لنوعية الطوق المطاطي (ميشلان) من خلال قراءة من صنف المؤول النهائي (1) هي في الحقيقة دينامياً أيقونة. وهذا ما يكشف عنه المؤول الدينامي (2). وفقـــه اللغـــة يرتكز على المؤول الدينامي (2) كما هو الشأن بالنسبة لكل العلامات ذات التأويل التاريخي. فأي شاب باريسي في هـــذا الزمن الذي لم يعد فيه مكان للباصات المسطحة في العاصمة، والـــذي قـــلّ فـــيه وجود طرّادات الماء، لازال يملك اليوم المؤول الدينامـــي (م. د 01)) الملائـــم من أجل الربط بين "طرّادة الضجيج

وموضـــوعها كمـــا يشير **كونو** في الجملة التالية: "**وسحب القابض طـــرادة الضجيج بعنف فانطلقت المركبة**"(2)؟ فالمؤول الدينامي (2) ضـــروري الآن كي نترجم جملة "سحب طرادة الضجيج" إلى جملة "سحب سلسلة الجرس"

فـــالمؤول النهائـــي (م. ن(1)) يختلف من مجتمع إلى آخر، ولا يصـــلح إلا لوضـــعيات دينامية، كما أن المؤول بالإضافة إلى ذلك يســـتدعي بـــنفس القـــدر الإحســـاس والذكاء. وأثناء الحديث عن "مـــتوحش أفيرون" يكتب جان إيطار: "لقد أطلقت في يوم ما بالقرب مـــنه طلقتين من المسدس، أما الطلقة الأولى فقد أثرت عليه بعض الشـــيء، وأما الثانية فلم تجعله يحرك حتى رأسه"، "غير أن صوت الجـــوزة أو صـــوت أي شـــيء آخر يؤكل لا يخفق أبداً في جعله يلتفت"(3).

ويمكـــن توضـــيح التحليل الكلي للعلامة أو لزمرة من العلامات بالشكل التالي:



الشكل 10 ــ خطاطة التحليل الكلي للعلامـة

فـــالمؤولات النهائية والدينامية تحيل على الموضوع عن طريق المـــؤول. وغياب السهم بين المؤول النهائي (1) والمؤول الدينامي (1)

وبين المؤول النهائي (2) والمؤول الدينامي (2) يشير إلى أن المؤولات النهائية المعينة لا تتطلب المؤول الدينامي كي تُترجَم إلى مؤول مباشر. فالمؤول المباشر (م. م) المرتبط مباشرة بالممثل يمكن أن يحيل كما سبق أن رأينا إمّا على موضوع في العلامة، وإما على موضوع خارج العلامة. والموضوع الدينامي (م. د) ليس موضوعاً "خارجياً" بحصر المعنى، لأن الموضوع في العلامة هو في اتصال مع الموضوع خارج العلامة مهما كانت هذه العلامة فضلاً عن ذلك. وفي حالة أنساق الموضوعات المجردة، من الصنف الرياضي مثلاً، فمن البديهي أن الشيء الذي يحيل عليه المؤول المباشر (م. م)، المرتبط بالمؤول النهائي (3)، ليس موضوعاً "خارجياً" بالمعنى العام للمصطلح على كل حال. ويمكن أن يكون من الأفضل أن نتحدث بالنسبة للموضوع المباشر (م.م) عن تبئير Focalisation للموضوع في سياق أوسع، وبدون الموضوع الدينامي (م.د) لا يكون للموضوع المباشر وجود.

ومن المعلوم أن الممثل (م) والموضوع (م) والمؤول (م) ليسوا مجرد أشياء، ولهذا سنحدد في تحليلنا بالنسبة لأي زمرة من العلامات، صنف الممثل والموضوع والمؤول الذي يحددها. فالتعبير الشكلي لأي علاقة بين الممثل والموضوع (=) التي يحددها المؤول سيوضع بين قوسين بعد المؤول المنظم Foncteur للعلاقة، إما على شكل ثلاثي تبعاً لطبيعة كل علامة من العلامات الفرعية التي يكونها الثالوث la triade ، وللعلم فإن بيرس يقسم العلامات الفرعية تبعاً لعلاقتها مع نفسها إلى علامة وصفية Qualisigne (1.1)

وعلامة فردية Sinsigne (2.1) وعلامة عرفية légisigne (3.1) أو تــبعاً لعلاقــتها مع موضوعها إلى أيقونة Icone (1.2) وقرينة indice (2.2) ورمــز Symbole (3.2)، أوتــبعاً لعلاقــتها مع مؤولها إلى فدليل Rhéme (1.3) وعلامة ثنائية dicisigne (2.3) وبرهان argument (3.3).

II ـ تحليل لوحة الجوكاندا LA Joconde :

لنطبق نظرية التحليل هذه على لوحة الجوكاندا.

1 ـ اللوحة باعتبارها زمرة الممثلات :

إن لوحـــة الجوكـــاندا تبدو كزمرة من العلامات الوصفية (1.1) المجســـدة فـــي علامـــة فردية (2.1). فالعلامات الوصفية هي كل الأوصـــاف (الألـــوان والمســـاحات والانطباعات) المتحققة في هذه الحالـــة التي أقف الآن لمشاهدتها في متحف اللوفر Louvre والتي تجعلها فردانيتها Unicité علامة فردية.

2 ـ موضوع اللوحة ومؤولاتها :

لا يمكـــن أن أقـــول شيئاً عن موضوع هذه اللوحة دون علامة المؤول. فكل تحليل للعلامات يبدأ بعلامة المؤول الذي يحيل الممثل على موضوع يمثله.

أ ـ الموضوع المباشر :

إن المؤول المباشر لا يمكن أن يقول أيضاً أي شيء عن الموضوع المباشر للوحة، أي عن نموذجها وطبيعتها. فهذا الموضوع إنما هو "انفعال بسيط" بالمعنى البيراني biranien . غير أنه بفضل النظرية السيميوطيقية البيرسية التي تلعب دور النسق التأويلي الاستنباطي، يمكن أن نحلَّ محل المؤول المباشر، وأن نقول باسمه إن الممثل (2.1) يتشكل من علامات وصفية (1.1) ذات موضوع أيقوني (1.2) ، لأن العلامات الوصفية تمثل شخصاً ما، لكنها ذات مؤول فدليلي (1.3)، ذلك لأننا لا يمكن عن طريق الفحص البسيط للعلامات أن نعطي اسماً لهذا الشخص [4]. ونستطيع أن نكتب:

(1) الممثل (2.1) ← الموضوع المباشر (1.2) [المؤول المباشر (المؤول النهائي 3) (1.1،1.2،1.3)].

فالمؤول الدينامي يمكن أن يقول بشكل مباشر مجموعة من الأشياء عن الموضوع المباشر للوحة بوصفها علامة فردية. فطبيعة اللوحة (الزيت على الخشب) والهيئة، ولباس وتسريحة النموذج، والمنظر الطبيعي الخلفي، والطريقة التي وضعت بها الصباغة على اللوحة، كل ذلك قرائن (2.2) تمكن المؤول الدينامي في نفس الوقت من القبض على الموضوع، لكن دون أن تسميه. فالمؤول يبقى فدليلاً (1.3). ويكمن هنا لعبٌ من التأويل الدينامي يتخذ شكلين اثنين: شكل المؤول الدينامي (1) وشكل المؤول الدينامي (2) حيث

يهيمن المؤول الدينامي (2)، ذلك أن أغلب القرائن تتطلب تخصيصاً معيناً من الشخص الذي يؤول لكي تؤول هذه القرائن بشكل صحيح تقنياً واجتماعياً وتاريخياً. وبناء على ذلك يمكن وضع الصيغة التالية:

(2) الممثل (2.1) ← الموضوع المباشر (1.2) [المؤول الدينامي (1) و (2) (2.1،2.2،1.3)].

والإشارة الوحيدة التي تمنحها اللوحة بشكل مباشر تكون عن طريق المؤول النهائي (1). ويمكن أن نقول إن موضوع هذه اللوحة هو المرأة الشابة (ارتكازاً على عادة تمييز الجنس والعمر التي نكونها بالتجربة في شكلها الإبعادي)، وأن هذه المرأة الشابة هي جميلة (تبعاً للمعايير الغربية للجمال النسوي التي نكونها عن طريق الإبعاد)، لكن كل هذا لا يكفي لكي نجعل من المؤول علامة ثنائية (2.3).

وبديهي أن المؤرخ أو الناقد الفني الذي يرى عملاً من أعمال ليوناردوفانشي إذا افترضنا أن هذه اللوحة مجهولة، وأن الجوكاندا كان قد استعملها رسام آخر كنموذج، فبإمكانه أن يقدم الفرضية القائلة بأننا قد وجدنا لوحة من لوحات ليوناردوفانشي تمثل الجوكاندا (اعتماداً على المظهر الخاص وعلى الشكل الاستقرائي للمؤول النهائي (2)). فالمؤول النهائي (2) لا يكون أقل فذلكة، ذلك أن العلامة الثنائية هي افتراضية في كل الأحوال، وهذا راجع إلى

نقص الحجج داخل العلامة، لأننا بصدد تحليل موضوع مباشر لا توقيع ولا تاريخ. ويمكن أن نكتب إذن:

(3) الممثل (2.1) ← موضوع المباشر (1.2) [المؤول النهائي 1و2 (2.1،2.2،1.3)].

ونلخص تحليلنا للموضوع المباشر بجمع النتائج (1.2) [المؤول المباشر (المؤول النهائي (3) (1.1،1.2،1.3)، المؤول الدينامي 1و 2، المؤول النهائي 1و2 (1.2،2.2،1.3)]. إذن فلا يمكن لمؤولات الممثلات إلاّ أن تقول قليليا عن الموضوع المباشر للوحة على أنه أيقونة لامرأة شابة وجميلة، وذلك لغياب القرائن الداخلية الكافية من أجل تعيينها داخل العلامة الثنائية بشكل أدق.

ب ـ الموضوع الدينامي:

وإذا ما وضعنا الآن هذه اللوحة في سياقها بصفتها موضوعاً دينامياً، فلن يسعفنا المؤول المباشر كثيراً رغم كونه ضرورياً لإدراك كل عنصر مكوّن للسياق. وبالمقابل فإن المؤول الدينامي والمؤول النهائي يمنحاننا معلومات كثيرة. فالمؤول الدينامي (2)، وهو مؤول استنباطي، سيستفيد من كتابات ليوناردوفانشي ومن شهادات معاصريه، ومن الوثائق المتعلقة بتنقلات اللوحة.. الخ، ويفضل ذلك سيصير إخبارياً (2.3). وما سيقوله لنا إن هذه اللوحة هي صورة امرأة فلورنسية اسمها **موناليزا** Monalisa كانت

زوجة لفرانسيسكو جيوكوندو، وقد رسمها ليوناردوفانشي بين عامي 1503 و1505.

وهـنا سيصـبح السياق قرينة للوحة، وستصبح اللوحة بدورها قرينة للسياق، أي قرينة للتحول في طريقة الرسم عند ليونار، وهو الـتحول الذي سنفسره لاحقاً باعتباره كان كامناً في صورة جينيفرا بانسـي وفي عذراء عشق المجوسي، وفي عذراء الصخور، والذي سنلاحظ استمراره في أعمال ليونار التي تلت الجوكاندا، في القديسة آن Anne والقديس جان ـ بابتيست. وفي سياق أكثر اتساعاً، فإن اللوحـة كذلـك قرينة عن تغيير في العقلية، وهو الانتقال من عالم الجواهر التراتبي إلى عالم التجربة الحي"[5].

(5) الممـثل (2.1) ← الموضـوع الدينامـي (1.2) [المؤول الدينامي (2)، المؤول النهائي (2) (2.1 ، 2.2 ، 2.3)].

فحيـنما يدخل الموضوع الدينامي في حقل المؤول النهائي يمكنه أن يستقبل كما قلنا تأويلات إيعادية واستقرائية واستنباطية. ومع هذه الأخـيرة فإنـه يدخـل فـي نسق المؤول النهائي (3)[6]. وفي هذا المسـتوى الثالث، ودائماً في علاقة مع موضوعه الدينامي، تظهر لوحـة الجوكـاندا لا كأيقونـة، ولا كقرينة، ولكن كرمز وكشعار embléme وهو اسم آخر للعلامة العرفية أي لعلامة القانون ـــ أي "كشـعار، يصعب وصفه" كما يقول رونيه هيوغ René huyghe [7]، وكـ "هيروغليفيا حية"[8]. وفي سياق آخر هو سياق فرويد Freud فالجوكـاندا أيضـاً رمز، وهي نموذج أو هي النموذج المثالي لأم

ليونار التي قام هذا الأخير بإعادة إنتاج بسمتها في القديسة آن Anne وفي القديس جان ـ بابتيست. وبوضوح يقول فرويد إن "تمساء ليونار المبتسمات ليس سوى انعكاسات لكاترينا أمه"[9].

وسنعبّر عن العلاقة بين الموضوع الدينامي للعلامة والمؤول النهائي (3) كمايلي:

(6) الممثل (2.1) ← الموضوع الدينامي (1.2) [المؤول النهائي (3) (2.1)،(3.2)،(2.3)] .

وبجمعنا بين التأويلين (5) و(6) للموضوع الدينامي سنكتب:

(7) الممثل (2.1) ← الموضوع الدينامي (1.2) [المؤول الدينامي (2)، المؤول النهائي (2) (2.1،2.2،2.3)، المؤول النهائي (3) (2.3،2.1،3.2)].

فالمؤول الدينامي (2) والمؤول النهائي (2) يجعلان إذن الموضوع الدينامي للوحة ليوناردوفانتشي التي تمثل الجوكاندا علامة فردية قرينة إخبارية، أما المؤول النهائي (3) فيجعلها صدى لرمز إخباري، أي يجعلها قرينة.

الهوامش :

(1) ــ التشديد من المؤلف (المترجم).

* أسقطنا هذا الشكل نظراً لصعوبة نقله . المترجم.

(2) Quenault, Exercices de style, Gallimard,1947,p.83

(3) Les enfants sauvages. Mythe et réalité coll, 10/18,1964,-Malson. P.144.

(4) نسجل أن تحليلنا رغم خضوعه لهذا المؤول النهائي الاستنباطي الذي هو النظرية السيميوطيقية البيرسية، فإن استعمالنا له هنا هو استعمال خاص.

(5) انظر: René Huyghe, La Joconde, office du livre, Fribourg, 1974

(6) ــ من الضروري أن نسجل أن المؤول الدينامي الذي يعطي للمؤول النهائي مادته لا يمكن أن يقوم بعمله دون هذا الأخير.

(7) René Huyghe, OP.cit., p.49

(8) Ibid., p.12

(9) Freud, Un souvenir d'enfance de Léonard de Vinci, cit.p. 55 Gallimard, 1927,cite par René Huygh.

الفصل الثالث

السيميوطيقا واللغة

لا يختلف التحليل السيميوطيقي للنص من الناحية المبدئية عن تحليل اللوحة، غير أننا ونحن نعلم أن السيميوطيقا ليست هي علم العلامات اللغوية الوحيدة، لا بد قبل أن نشرح كيفية تطبيقها على النص من موضعتها بالنسبة للعلوم والطرائق الأخرى التي تستعمل في تحليل النص.

I ـ النحو والمنطق :

إن التحليل الكلاسيكي تحليل نحوي ومنطقي. فهو بوصفه تحليلاً نحوياً يقسم الوظيفة أو الجملة المعنية إلى كلمات بحيث يوضح لنا الطبيعة والنوع والعدد والوظيفة والزمرة وصيغة الفعل والحالة والصيغة والزمن والشخص والمعنى، وذلك حسب الحالة. وهو بوصفه تحليلاً منطقياً يقسم الجملة المحددة إلى وظائف بحيث يوضح لنا الطبيعة والوظيفة. ويتعلق الأمر هنا بالتحليل النظمي Syntactique أكثر مما يتعلق بالتحليل المنطقي بالمعنى الحقيقي. فهو يتعلق إذن بالتحليل النحوي في هذه الحالة أو تلك، نحوي هنا ومورفولوجي هناك.

وليس النحو أقل ارتباطاً بالمنطق، فهذا الأخير هو البنية التجريدية للنحو أو هو تقعيد له. والمنطق الكلاسيكي لم ينقطع كلياً عن بعده الثقافي الذي حدد حسب بيرس طابعه الزوجي (7.385). وفي معارضة هذا المنطق "الثقافي" وضع بيرس منطق العلاقات المستقلة للعناصر وهي في علاقات. وفي هذا المنحى المقولاتي يمكن لنا القول إن النحو هو شيء أول، لأنه يتضمن كل منطق ممكن، وأن المنطق الكلاسيكي هو شيء ثان لأنه بشكل منطق النحو والمجتمع الإغريقيين في زمن أرسطو[1]، وأن المنطق المعاصر هو شيء ثالث لأنه يشكل منطق العمليات العقلية في مظهرها الشكلي.

1 ـ النحو:

ويمكننا أن نستخرج النظرية السيميوطيقية للتحليل النحوي من خلال الأمثلة اللغوية التي قدمها بيرس عن مختلف أشكال العلامات.

أ ـ طبيعة الكلمات ووظيفتها

فالكلمات كيفما كانت والتي لا تشكل وظيفة تعتبر علامات عرفية فدليلية (3.1،1.3)، فهي علامات عرفية بانتمائها إلى لغة لها قواعدها الخاصة، وهي فدليلية لأنها وهي لا تشكل جملة لا تقول أي شيء. وهي كعلامات عرفية فدليلية يمكن أن تكون أيقونات (1.2) وذلك حسب الموضوع النحوي الذي تمثله، ويمكن أن تكون قرائن (2.2) أو رموزاً (3.2). وحسب بيرس فالرموز (3.2) هي كل الألفاظ التي تعبر وحدها les catégorématiques، أي "كل الألفاظ التي تكون فاعلاً أو محمولاً في جملة" (2.331): مثل كل الألفاظ التي لا يمكن أن يعبر بها وحدها: مثل أدوات التعريف والتنكير les articles (2.289)، الضمائر الذاتية les pronoms personnels والضمائر الموصولة les pro. relatifs والضمائر وصفات الملكية Adj.posséssifs، وأسماء الإشارة وأدوات التنكير indéfinis (284،287،329) والصفات les adjectives وحروف الجر les préposition والروابط les conjunctions (290،289) وأسماء الأعلام (2،289،329) والأيقونات (2.1) هي كل الصفات البسيطة Adj. Qualitatifs وأسماء المفعول les participés passés التي تلعب هذا الدور (2.434).

ب ـ الأيقونة وتوصيل الأفكار:

إن الطـريقة الوحيدة لتوصيل الفكرة بشكل مباشر هي الطريقة الأيقونـية، فـ "كل منهج غير مباشر في توصيل الفكرة لكي يصبح قائمـاً ينبغـي أن يكون متعلقاً باستعمال الأيقونات" (2.287) وكل زمـرة مـن الرموز والقرائن هي أيقونة إذن، "فالرمز علامة من طبيعـتها أن تقـرر أن مجموعة من الموضوعات التي تشير إليها مجموعـة محـددة من القرائن ترتبط بها بشكل من الأشكال، وتقوم بتمثـيله الأيقونة". وهكذا فإن جملة مثل "إيزبشيل يحب هولدة" التي تعتـبر علامـة عرفـية إخبارية (والجملة علامة إخبارية) مكونة بالتوالـي مـن قرينة هي اسم العلم "ايزبشيل" (2.2) ومن رمز هو الفعـل "يحب" (3.2) ومن قرينة هي اسم العلم "هولدة" (2.2)، هي بالنسـبة للموضوع الذي تمثله أيقونة. و "أثر هذه الكلمة "يحب" كما يسـجل بـيرس هو أن زوج الموضوعين المشار إليهما عن طريق زوج القرينتين (إيزبشيل) و(هولدة) تمثله الأيقونة، أو الصورة التي نكونها في ذهننا عن العاشق ومعشوقته" (2.295).

إذن فكـل صيغة مكونة من قرائن ورموز هي أيقونة مثلما هي الاسـتعارة. فصيغة مثل "جذور الشر" "La racine du male" هي اسـتعارة وتقرأ 2.2، 3.2، 2.2، 3.2. إنها إذن أيقونة (1.2) مثلما هـو حال هذا البيت الشعري للكونت دوليزل Leconte de lisle الذي هو استعارة:

"الرمل الأحمر هو مثل بحر بلا حدود".

."Le sable rouge est comme une mer sans limites"

(1) [2.2،3.2،(1.2)] [2.2، 2.2، 3.2، (2.2، 2.2، 3.2)]. أي هي أيقونة (1.2) بحذفنا للأوصاف والتعبيرات الوصفية الموضوعة بين قوسين ولأنماط العلامات المتتابعة والمتشابهة.

(2) 2.2،3.2،2.2،3.2.

وظاهرياً فبيرس يضع الاستعارة ضمن الأيقونات (2.227). وتعبير "بلا حدود" هو تعبير وصفي ليس فقط لأنه يصف "البحر" ولكن لأن له أيقونة الصفة (1.2) مثله مثل أي زمرة من القرائن والرموز (وهي هنا 2.2،3.2).

2 ـ المنطق:

أ ـ التحليل المنطقي:

سنلاحظ أننا قمنا في مرحلة أولى بتقسيم البيت الشعري إلى مجموعتين من الكلمات، وأننا لم نعبر عن أداة الوصل في ترجمتنا المرقمة. وقد اعتبر بيرس عن حق وبخلاف أبيلار Abelard أن أداة الوصل la copule تعد جزءاً لا يتجزأ عن المحمول (2.328). وفي كل جملة يعتبر الفاعل قرينة ويعتبر المحمول فدليلاً، كيفما كانت وضعية القرينة والفدليل خارج الجملة، أي كيفما كانت علاقتهما بموضوعهما ككلمة مستقلة وخارج الجملة: أيقونة أو قرينة أو رمزاً (انظر 3.219). وفي السيميوطيقا البيرسية يشكل الفدليل وظيفة في الجملة. "فما يبقى من الجملة كما يكتب بيرس بعد

حذف الفاعل هو كلمة (أو فدليل) تسمى محمولها" (2.95). إذن فكل تحلـيل سـيميوطيقي إنما يرتكز على التحليل المنطقي. وإذا أخذنا جملة "كل رجل يحب امرأة واحدة"* " Tout homme aime une femme" فالكلمات إذا نظر إليها في حد ذاتها بوصفها موضوعات نحويـة، تشكل ألفاظاً تعبر وحدها des catégorématiques (أي رمـوزاً)، أو ألفاظاً تعبر مجتمعة des syncatégorématiques (أي قرائـن)، وهـذه الألفاظ التي تعبر مجتمعة، والتي تحدد مجال الـرموز المعينة لها، تنتمي بوصفها موضوعات منطقية إلى نوعين مختلفيـن مـن القرائن وذلك بتوسيع الحدود التي تعينها، وهي هنا حالـة القرينتين "كل " "tout" و"واحدة" "une"، فهما تنتميان بالفعل إلـى قسـمين فرعيين مختلفين من القرائن: قسم القرائن الاختيارية الكلية (كل) وقسم القرائن الاختيارية الخصوصية (واحدة)، وهو ما يسـمى فـي المـنطق اليوم بالسور Quantificateur الكلي (x) والسـور الوجـودي ( ) . وسـنقرأ مع بيرس هذه الجملة بالشكل التالـي: "إن كـل مـا هو " (قرينة الاختيار الكلي) "إنسان" (رمز) "يحـب" (رمـز) "شـيئاً ما" (قرينة الاختيار الخاص) " "هو المرأة (رمز) (2.296). وهو ما نعبر عنه بالمنطق المعاصر:

(x) [Hx (y) (FY.Axy)] (3)

إن (الفدليل) الذي بوصفه موضوعاً يعتبر رمزاً يمثله رمزياً A وهـي العلاقة التي يقيمها بشكل منتظم x و y (وعلاقة التضمين " " تسـجل أن x هـو الـذي يحب y وليس العكس، والعلاقة يمثلها

أيقونياً أيضاً ترتيب أطراف العلاقة، ف x طرف أول و y طرف ثان: (Axy)، ونحن نقول بصددها أنها علاقة تخص كل x وتخص على الأقل y واحدة.

وبنفس الطريقة تحلل مجموعة الجمل التي تشكل برهاناً مثل القياس الكلاسيكي:

(4) كل إنسان [هو] ميت* Tout homme est mortel

(5) وسقراط [هو] إنسان or Socrate est un homme

(6) إذن فسقراط [هو] ميت Donc Socrate est mortel

وهكذا فإن (4) تنتمي إلى قسم العلامات العرفية الرمزية الإخبارية (3.1،3.2،2.3)، وتنتمي (5) إلى قسم العلامات العرفية القرينية الإخبارية (3.1،2.2،2.3)، وتنتمي (6) إلى قسم العلامات العرفية القرينية الإخبارية (3.1،2.2،2.3)، وإذا نحن حللنا الكلمات باعتبارها موضوعات نحوية، فإن (4) تقرأ 2،3.2،3.2،3.2، وتقرأ (5) 2.2،2.2،3.2،3.2،3.2، وتقرأ (6) 2.2،2.2،3.2،3.2، وللإشارة فإن كلمة "هو" "est" باعتبارها موضوعاً نحوياً هي رمز وإن "ميت" هي اسم لقسم، أي رمز. ومن وجهة نظر منطقية فإن "هو ميت" و"هو إنسان" تعتبر كل واحدة منهما فدليلاً (1.3)، ولكن (4) و(5) و(6) إذا نظر إليها كجمل مستقلة فهي تشكل جملاً، وإذا نظر إليها كجمل مترابطة فهي تشكل برهاناً (3.3)، والقراءة المعاصرة لهذا البرهان تختلف من حيث النظر إليه باعتباره حملياً أو باعتباره جملة، ففي الحالة الأولى سيكون لنا:

(7) بالنسبة لأي x ، إذا كان x إنساناً، فـx ميت.

(8) والحالة هذه فإنه يوجد على الأقل x.......[telque] xهو إنسان.

أي

(9) إذن يوجد x .... [telque] x هو ميت.

(x) (Hx Mx) (10)

(x) (Hx) (11)

(x) (Mx) (12)

وفي الحالة الثانية سيكون لدينا:

(p.q) R (13)

وبتعبير آخر سيكون لدينا علامة عرفية رمزية برهانية (3.3،3.2،3.1)، والتحليل السيميوطيقي لموضوعات هذه الصيغة يعطينا:

(14) 2.2،3.2،3.2،3.2،2.2،3.2،3.2. إنهما إذن أيقونة (1.2)، وللإشارة فإن الأقواس سينظر إليها كقرائن وسينظر إلى " . " (علامة الاتصال) و " " (علامة التضمين) كرموز.

ب ـ التصنيف السيميوطيقي للمنطق:

إن القراءة السيميوطيقية للمنطق ستكون قليلة الأهمية إذا لم تكن استكشافية. وهو الأمر الذي كانت عليه بالنسبة لبيرس عندما قام بإعادة صياغة المنطق الحملي الأرسطي وفق مصطلحات منطقه الجديد عن العلاقات والوظائف. وقد كان المنطق الأرسطي يتلاءم

ـــع القـــراءة الثلاثـــية عن طريق تقسيم الخطاب إلى كلمة وجملة وبـــرهان. وقـــد أخـــذ بيرس هذا التقسيم فأعطاه مضموناً جديداً لا يضـــيء فقط المنطق الصغير Log.mineure أو المنطق الشكلي، بـــل أيضاً المنطق الكبير Log. Mageure أو المنطق المحسوس. إن المنطق الشكلي في شكله الحملي الكلاسيكي هو منطق أول وفي شـــكله البيرسي يقسمه إلى وظيفة في جملة وإلى جملة وإلى حساب جملـــة calculpropo. يخـــتزل في تنظيم فليوني philoniènne مرتبط بالاكتشـــافات البيرسية الثلاثة للفدليـــل أولاً، وللتســـوير la quantification ثانـــياً، وللعلاقـــة ثالثاً. والمنطق المادي للعصر الوســـيط الـــذي أعـــاد بيرس فيه النظر في ضوء المناهج العلمية للوصـــول إلـــى الحقـــيقة يقسمه إلى إبعاد Abduction واستقراء induction وإســـقاط déduction ، وذلك ما نستطيع تلخيصه في الجدول التالي (رقم 17):

	1	2	3
1 المنطق الصغير 2 المنطق الكبير (بيرس) 3 المنطق البيرسي	الكلمة إبعاد الوظيفة في الجملة (الفدليل)	الجملة استقراء الجملة	القياس إسقاط التضمين الفيلوني (العلاقة)

جدول 17 ـــ أقسام المنطق

ولنقل كذلك، ودون أي تبرير آخر سوى التبرير التصنيفي أنه بإمكاننا أن نقسم أصناف المنطق المعاصر تقسيماً ثلاثياً، وذلك وفق الشكل الذي يقدمه الجدول رقم 5 :

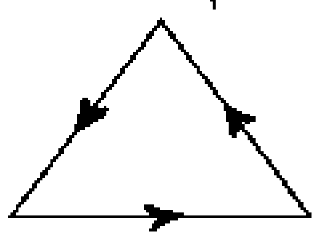
	1	2	3
		منطق الجمل	
1	الوظيفة في الجملة	الجملة	الحساب الجملي
2	منطق المحمولات	منطق الأقسام	منطق العلاقات
3	منطق الصيغة (القصدي)	منطق الاستتباع الضيق لـ ك.ي لويس	الضرورة الشرطية للاستتباع

جدول 18 ـ التوزيع الثلاثي للمنطق المعاصر

II ـ علوم اللغة :

عندما كان بورس يهم بتأسيس سيميوطيقاه، كانت اللسانيات مجرد دراسة للغات الشفوية وليس لسانيات عامة. غير أن بيرس كان يشير في ذلك الوقت إلى أن تقسيم اللسانيات إلى "1. لسانيات الكلمات، 2. النحو، وكان يضيف إلى ذلك أنه ينبغي إيجاد علم مقارن لأشكال التأليف" (1.200)، وكان يعتقد أنه ينبغي مستقبلاً أن تمد إلى اللسانيات مساعدة أساسية بفضل علم الأصوات في أكثر

من اتجاه وبفضل علم تشريح الأعضاء الصوتية والأذن (1.255). ولئـــن كـــان بيرس يميز بين السيميوطيقا وعلم الدلالة، فإن إشكالية معــنى العلامات كانت تحتل مركز الصدارة في عمله إذ إليه تعود الـــنظرية التداولـــية. فمن العلوم الثلاثة للغة كانت اللسانيات تشكل فـــئوياً العلم الأول، فيما كان علم الدلالة والتداولية يشكلان العلمين الثانـــي والثالث. ومع أننا سوف ننظر إلى هذه العلوم منفصلة، فإن أي تواصــــل ذي معـــنى لا يمكـــن أن يتحقق دون تعاونها الثلاثي. وللمثلـــث البيرســـي التالي سيبين بالضرورة أن دراستها المنفصلة ســـتثبتها فـــي نقط من المثلث، في حين أن معنى (2) علامة لغوية معيـــنة (1) يعطـــى أثـــناء التواصـــل الحقيقي بواسطة نسق قواعد استعمال العلامة الذي هو التداولية (3).



الشكل 11 ـــ العلاقة الثلاثية لعلوم اللغة

لذلـــك فالعلامة لا توجد في السيميوطيقا البيرسية إلا في شكلها الثلاثـــي، أي في ثلاثية الأبعاد الثلاثة: النظمي وهو بعد الممثل أو العلامـــة باعتبارها كذلك والتي تشكل علامتها اللغوية حالة خاصة، والدلالـــي أو الوجودي وهو بعد موضوع العلامة، أي ما تشير إليه

العلامة، وبعبارة أخرى معناها، والتداولي وهو بعد المؤول الذي يحيل العلامة إلى موضوعها لأنه يملك قواعد الدلالة..

على أن للسيميوطيقا موضوعها الخاص، وهو موضوع العلامة في حد ذاتها، في حين أن اللسانيات هي دراسة اللغة في حد ذاتها وباعتبارها قائمة من العلامات اللغوية، مثلها مثل علم الدلالة الذي هو دراسة اللغة منظوراً إليها من خلال المعنى، ومثلها مثل التداولية التي تمت دراستها تجريبياً منذ زمان تحت اسم البلاغة (انظر 2.229) والتي كما يقول بيريلمان Perelman بعد بيرس هي نظرية البرهان[2]، أو نظرية متعلقة باللغة وبقواعدها وبوسائل اشتغالها التي بفضلها تقول اللغة شيئاً ما إلى شخص في سياق ما.

والقول إننا ندرس السيميوطيقا أو اللسانيات باعتبارهما كذلك هو والحالة هذه مجرد وهم منهجي، ذلك لأن هذا المسعى ليس ممكناً إلا لأنه في الماضي تشكلت من خلال منجزات متعددة ومختلفة تداولية لقراءة علامات في حالات. وما يبقى من ذلك شكل البعدين الدلالي والتداولي للعلامة بعد أن تم تجريد كل ما أمكن تجريده للإبقاء فقط على الوظيفة الشبه رياضية.

1 . اللسانيات:

ولأن اللسانيات أولاً هي حالة خاصة في السيميوطيقا، فإن النظرية البيرسية للعلامات تفرض إعادة تنظيم المفاهيم الخاصة بهذا التخصص، مثلما فرض منطق وظائف الجمل والعلاقات على بيرس إعادة تنظيم النحو والمنطق الكلاسيكيين، وفرض فكرة محددة

عن السيميوطيقا. ونحن نقول بالطبع إعادة تنظيم المفاهيم الموجودة وليس إحلال مفاهيم جديدة محل المفاهيم الموجودة. والأمر لا يتعلق بـالقول بمـا ستكون عليه اللسانيات البيرسية ، ذلك لأن اللسانيات حسـب بـيرس، بوصـفها نظرية للعلامات اللغوية، هي فرع من السـيميوطيقا التي هي نظرية عامة للعلامات. إضافة إلى ذلك فهي تتمـيز بإشكاليات خاصة يمكن أن يجد بعضها حلولاً أو إضاءات، كمـا سبق أن قلنا، من خلال علوم ملحقة مثل علم الأصوات وعلم تشـريح الأعضـاء الصـوتية والأذن. ونحن سنكتفي إذن باقتراح خطاطـة القراءة السيميوطيقية من خلال نظريتين لسانيتين لهما في الوقـت الراهن مريدوهما، نظرية مارتيني Martinet وشومسكي Chomsky. والنظريتان معاً ثنائيتان، فنظرية مارتيني هي ضمنياً ثنائـية بفضـل المقتضـيات السوسيرية[3]، ونظرية شومسكي هي ظاهرياً ثنائية ذلك لأنها تريد لنفسها أن تكون ديكارتية.

أ ـ النظرية السيميوطيقية لمارتيني:

إن التمييـز بيـن الفونيم والمورفيم والليكسيم يطابق بدقة البعد النظمي للعلامة الوصفية والعلامة الفردية والعلامة العرفية.

ويمكـن لمجموعـة كبـيرة من مشاكل التحليل النحوي أن تجد حلـولاً لها من تلقاء نفسها إذا ما قمنا بتوزيع الكلمات حسب العلاقة التي تقيمها مع موضوعها في سياق يعطى في شكل أيقونات وقرائن ورموز كما سبق أن رأينا ذلك، إذ لا وجود لأي غموض في طبيعة الكلمـات، فـ "أبيض" و"بياض" علامتان وصفيتان، غير أن "أبيض"

أيقونـــة و"بياض" رمز. فالطابع المعياري للنحو ليس له أثر، كما أن تدخل علم الدلالة في التقسيمات النحوية لا مجال له هنا.

إن وحـــدات مارتينـــي "التركيبية" تنتظم بشكل هارموني (انظر الجدول 19) في أنماط علامات بيرس، فالمونيم مأخوذ ليس كوحدة معـــنوية فـــي حدهـــا الأدنى كما هو الحال بالنسبة لمارتيني، ولكن كـــتجمع تركيبي (ليكسيم + مورفيم) هو علامة عرفية (1.3) تقوم بالنســـبة للموضـــوع بالوظـــيفة الثلاثـــية للأيقونة (2.1) (القسم الفرعـــي للمونـــيمات غير المســـتقلة التي تشمل الصفات البسيطة adj. Qualificatifs وأســـماء المفعول part. Passés) وللقرينـــة (2.2) {1 . المونـــيمات المســـتقلة: الظـــروف adverbs والصيغ الظرفـــية Locutions adverbials 2. المونيمات الوظيفية: الحروف prépositios والـــروابط conjunctions، 3. المونميات النمطية: أدوات التعريف والتنكير articles وصفات الملكية adj. Possessifs وأســـماء الإشارة démonstratifs والنكرات indéfinis ..) والرمز (2.2) (القســـم الفرعـــي من المونيمات غير المستقلة التي تشمل ما يعتـــبره بـــيرس "أســـماء القســـم " "les nome de classe" (2.328): الـــرموز الاسمية والفعلية) فنحن إذن ننتقل من مستوى "الموضوعات " اللغوية (1.2، 2.2، 3.2) (البعد الوجودي) إلى مستوى الفكرة اللغوية (البعد التداولي) التي يشكل فيها الدليل (1.3) الوحدة الأساسية.

هكـــذا ننتقل من الدليل إلى الجملة (2.3) التي قد تشكل بالنسبة للغـــوي مركباً حملياً. ونظراً لكون المركب وحدة دنيا لبنة فليس له دقـــة المونـــيم. وفي المثال التالي لمارتيني "صخرة كبيرة / تشرف علـــى / ســـكة حديد "[4]، يشكل المركب"تشرف على"دليلاً. وفي

المثال الآخر لمونان (147) "الأحد أكتب /كل الرسائل / التي لم أستطع أن أجيب عنها خلال الأسبوع" ، فالمركب "أكتب" جملة، والجملة هي الفنليل + القرينة (أو القرينة والرمز) وننتقل من الجملة الصغيرة proposition إلى الجملة الكبيرة La phrase (3.3) التي هي متوالية من الجمل يسميها بيرس البرهان، وكل ذلك يمكن أن نلخصه في الجدول التالي:

	1	2	3
1	الفونيمات (الأصوات) الحروف (رموز الأفكار)	المورفيمات (الزوائد)	اللكسيمات (الأصول، الكلمات)
2	الألفاظ المعبرة وحدها: المونيمات غير المستقلة (الصفات البسيطة، أسماء المفعول)	الألفاظ المعبرة مجتمعة: المونيمات: 1) المستقلة 2) الوظيفية 3) الصيغية	الألفاظ المعبرة وحدها المونيمات غير المستقلة (الرموز الاسمية والفعلية)
3	الوظائف في الجمل أو الفنليلات: المونيمات الحملية	الجمل: الفنليلات + القرائن	الجمل الكبيرة (متتالية من الجمل)

جدول 19 ـ التقسيم السيميوطيقي للسانيات مارتيني

ويدل الخط المتقطع في الجدول أعلاه على نقط الانتقال من مستويات التحليل السيميوطيقي. فنحن ننتقل من مستوى الممثلات اللغوية إلى مستوى الموضوعات اللغوية عن طريق المونيمات

(الليكسيمات +المورفيمات) ومن مستوى الموضوعات إلى مستوى المؤولات عن طريق المحمولات. وهذا دليل على أن التحليل السيميوطيقي له مدخل مزدوج يفرض تمييز الفعل بوصفه وظيفة أو فدلـيلاً عن الفعل والاسم بوصفهما رمزين، كما يفرض أيضاً تمييز المونيم بوصفه محصلة Résultante (ليكسيم + مورفيم) عن المونيم بوصفه وحدة دنيا في الدلالة.

وعلى التوالي فقد أثبتنا في بعد الممثلات الفونيمات (1.1) والمورفيمات (2.1) والليكسيمات (3.1). ويمكن للغوي من أتباع مارتيني أن يقدم عدة اعتراضات عن ترتيبنا [4] فأولاً لأن الفونيمات والأصوات والحروف graphémes هي أشياء مختلفة، ولأن الفونيمات ليست مجرد علامات وصفية ممكنة وخالصة، بل هي علامات عرفية. وثانياً لأن المورفيمات والليكسيمات ليست عناصر مكونة للوحدة الدنيا التي هي المونيم، بل هي ذاتها مونيمات. وسنرد على الاعتراض الأول والثاني: أولاً أن ما أثبتناه في 1.1 و2.1 و 3.1 إنما هو "مظاهر" ممكنة للعلامة في استقلال عن المكان الذي يمكن أن تحتله في النظرية اللسانية المعطاة. فنحن نقصد ب"المورفيمات" الطريقة التي بفضلها تصلنا العلامات اللغوية. وهو السبب الذي جعلنا نضع كلمة "الأصوات" بين قوسين ونضع الحروف (ورموز الأفكار) بين معقوفتين: فهي تشكل نوعاً آخر من العلامات اللغوية. ونحن نقصد ب"المورفيمات" و"الليكسيمات" شكلين آخرين من حضور العلامات اللغوية على مستوى الممثل، وهو

حضور متغير وبشكل ما "قرني" يعطي الشرعية لترتيب الموفيمات ضمن الثانوية، وهو حضور ثابت للبكسيمات له ثبات القانون ضمن الثالثية.

وهذا يعني أنه لا ينبغي أن نهتم في نظرية مارتيني إلا بالفونيمات، وسيكون الاعتراض الأول صحيحاً، وسينتج عنه توزيع جديد للفونيمات في مستويات ثلاثة: فونيمي (1) ومونيمي (2) و"تركيبي" (3). وسنكون أمام الجدول التالي الذي لن نعلق عليه أكثر مما ينبغي.

		1	2	3
1	المستوى الفونيمي	الصوت باعتباره صفة صوتية كامنة فونيم أو فونيم أصلي	الصوت المنتج أو المتحقق	مجموعة المظاهر الملائمة = الفونيم
2	المستوى المونيمي	سلسلة صوتية	تركيب صوتي معطى	المونيم (الذي لا يحمل إلا وهو متحقق)
3	المستوى "التركيبي"	تركيب صوتي ممكن	تركيب صوتي ممكن في إطار تركيب معطى	قواعد التركيب

جدول 20 ــ توزيع الفونيمات

وبالنسبة للاعتراض الثاني فسنقول إن المونيم باعتباره الوحدة الدنيا في الدلالة لا يمكن أن يظهر بشكله هذا إلا على مستوى

الموضوع، وهو الشيء الذي سيسمح لنا، خلافاً لمارتيني، بأن نعتبر المورفـــيم والليكسيم اللذين هما بالنسبة لمارتيني مونيمات، كعناصر ممكـــنة وأولـــية علـــى مستوى ممثل المونيم الدال الثاني. وبالطبع فالأمـــر هـــنا يتعلق بوهم منهجي أيضاً، ذلك لأنه بالرغم من كون الأولـــية هـــي أولـــى أنطولوجيا، فهي لا تظهر أبداً بوصفها أولى إبيســـتمولوجيا: إنهـــا دائماً أولى بوصفها ثالثة. وهذه الملاحظة لا تؤثـــر والحالة هذه على صحة التصنيف، ولا تؤثر نتيجة لذلك على مشـــروعية إدخـــال المفاهـــيم اللســـانية لمارتيني في شبكة بيرس السيميوطيقية.

وهكذا فإن مفهومي القدرة والانجاز يتوزعان دون صعوبة داخل المقـــولات الـــثلاث: فـــالقدرة الكامنة داخل الأولى، والإنجاز داخل الثانـــية، وقواعـــد القـــدرة داخـــل الثالثة. فهي تتطابق مع المظهر التداولـــي للتواصـــل الفعلي أو الوجودي الذي سبق الحديث عنه في الفصل الأول من هذا القسم، وهو ما يوضحه الجدول 21:

	الممارسة pratique	التداولية
1	حل الشفرة	القدرة
2	التواصل	الإنجاز
3	التشفير	قواعد القدرة

جدول 21 ــ التواصل: القدرة والإنجاز

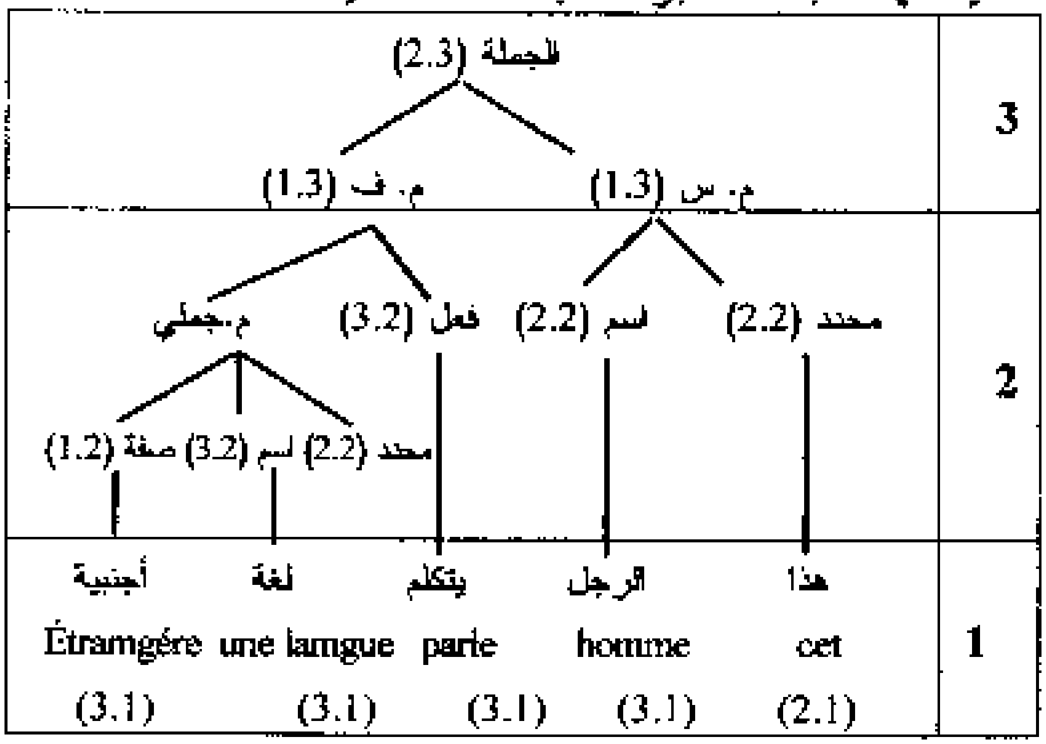
ب- القراءة السيموطيقية لتشومسكي

وتشـــهد ترجمة شجرة شومسكي إلى مصطلحات بيرس السيميوطيقية بـــنفس القـــدر لصـــالح التحليل اللمتي لشومسكي ولصالح التحليل السيميوطيقي لبيرس[5]. ومع ذلك ينبغي أن نسجل بعض التحفظات علـــى التأويل الثنائي الممكن للبنية السطحية وللبنية العميقة للجملة، وهي الإمكانية التي لا تستبعدها بعكس ذلك اللسانيات "الديكارتية"[6]. فلنقم بتحليل الجملة التالية:

هذا الرجل يتكلم لغة أجنبية

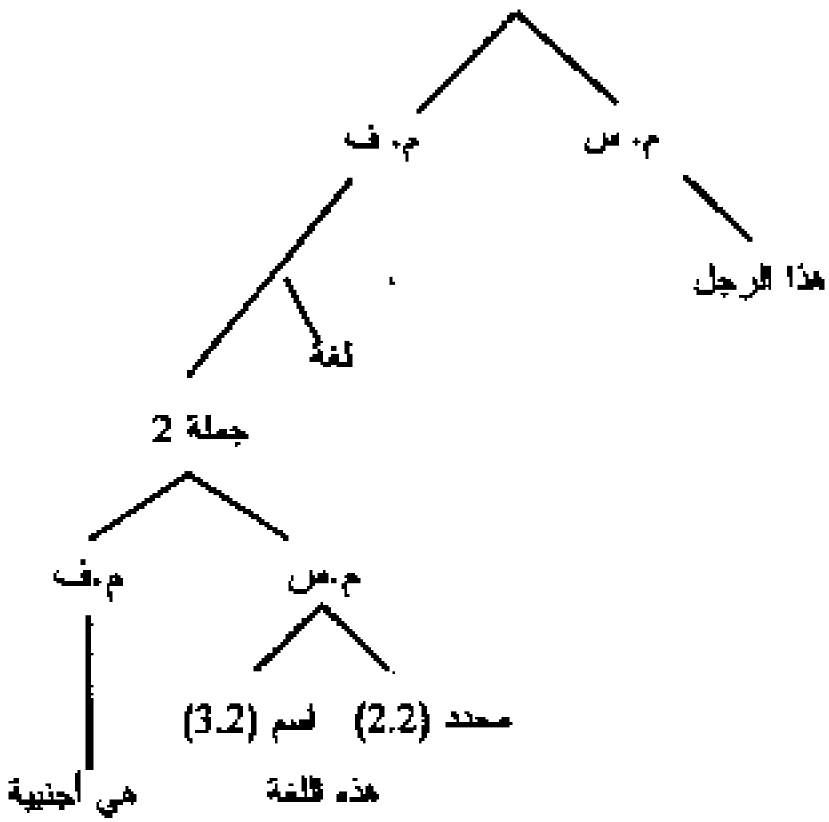
Cet homme parle une langue étrangére*.

إن التحلـــيل البيرســـي والتشومســـكوي للبنية السطحية وللبنية العميقة لهذه الجملة سنعبر عنه بالخطاطة التالية:



جدول 22: التوزيع السيميوطيقي لشجرة شومسكي

ولكـــي نستخرج البنية العميقة للجملة التي تم اختيارها لبساطتها ينبغـــي توضـــيح المركـــب الحملـــي "لغة أجنبية" ' Une langue étrangére' ويقترح النحو التحويلي قراءة الجملة كما يلي:

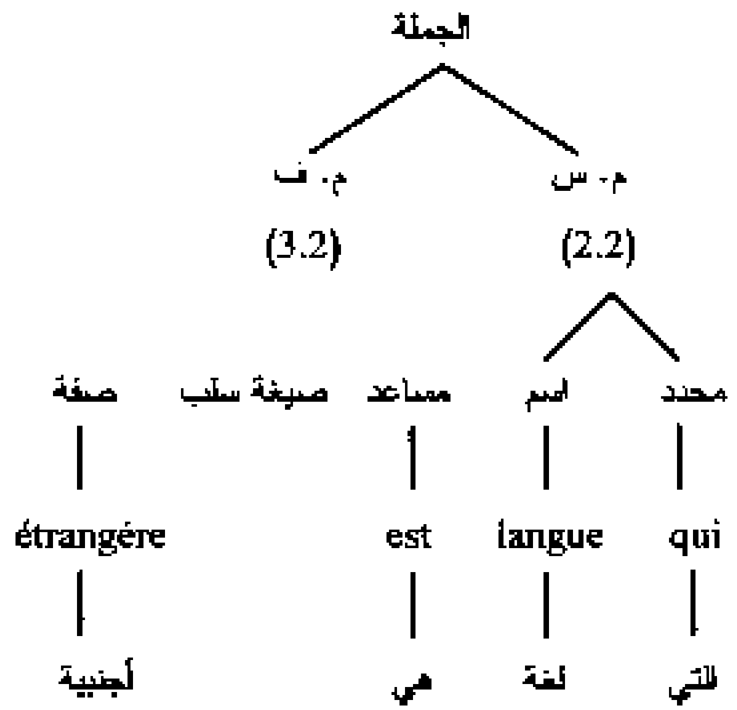


شكل 12 ـ تحليل شومسكي للجملة (1)

والـــربط بيـــن البنية العميقة والبنية السطحية يتم بإحلال الاسم الموصـــول pronom relatif محمـــل للمركب الاسمي في الجملة الجديدة:

"هذا الرجل يتكلم اللغة التي هي أجنبية"

"Cet homme parle une langue qui est étrangére"



الشكل 13 ـ تحليل شومسكي للجملة (2)

فالبنية العميقة المعزولة ("هذه اللغة أجنبية") عن / أو المرتبطة بالبنية السطحية (" التي هي أجنبية") تتكون من قرينة (2.2) ومن رمـــز (3.2)، إنها أيقونة إذن، والحال أن التحليل السيميوطيقي للبنية الســطحية للجملــة يجعــل من الصفة "أجنبية" أيقونة. وبالتالي فإن الــتحويل الــنحوي لتشومسكي لم يؤثر إذن في البنية السيميوطيقية للجملة..

2. علم الدلالة والتداولية :

بالنسبة لعلم الدلالة فالأمر لا يتعلق بإدراج المفاهيم الموجودة ضمن المقولات البيرسية كما هو الحال بالنسبة للسانيات، وإنما باختيار الأنساق التي تنسجم مع النظرية البيرسية للعلامات من بين أنساق المفاهيم الموجودة. والسببُ في ذلك أن اللسانيات تعطي للفرضية هامشاً صغيراً. فهي تتعامل مباشرة مع وقائع اللغة، في حين يقترح علم الدلالة أنساق التأويل التي ترتكز على تصور ظاهر أو ضمني في معظم الحالات لطبيعة الدلالة. ولهذا إذن، وبعد أن نقوم بشرح ما تعنيه الدلالة في علاقتها مع السيميوطيقا والتداولية، سنقترح في الختام جدولاً تصنيفياً لعلم الدلالة بإمكان علماء الدلالة أن يصححوه أو يتمموه. ومن كل ما سبق أن قلناه فإن ما سيتم الاحتفاظ به أو ما يبقى منسجماً، إنما هو فقط أنساق التأويل "المنطقية" و"السياقية" و"التداولية"، المنطقية، إذ أن التحليل ينبغي أن يبرز (1) علاقات العلامات فيما بينها، أي علاقات البنيات، (2) وسياقية بعلاقتها مع موضوعاتها، (3) وتداولية بعلاقتها مع مؤولاتها..

أ ـــ المعنى والدلالة :

إن علم الدلالة هو دراسة اللغة منظوراً إليها من زاوية المعنى، وهو ما يعنيه بالنتيجة معنى ما تقوله اللغة عن الأشياء كيفما كانت.

وبهــذا المنظور فعلم الدلالة هو علم ثان كما اعتبره شارل موريس Charle Morris ، إلا أن المعــنى لا يُعطــى للكلمات لا بواسطة الأولــية، أي بواسطة اللغة نفسها، ولا بواسطة الثانوية، أي بواسطة الأشــياء نفسها، بل يُعطى بواسطة الثالثية، أي بواسطة الفكرة التي هــي الموضوع الخاص للتداولية. وإذن فلا وجود لعلم الدلالة دون وجود التداولية.

إن الاتجــاه التداولي الذي نشأ عن التصور البيرسي للتداولية هو نظــرية المعــنى أو الدلالة. فالمبدأ التداولي أو الحقيقة التداولية كما يسـمي ذلــك بيرس أيضاً، يطرح قاعدة إسناد المعنى: "فهو تقديرنا للآثــار الفعلــية التــي نظن أن موضوع تصورنا يمكن أن يقدمها. فتصــور كل هذه الآثار هو التصور الكامل للموضوع" (5.402). والفكــرة هي ما ينتجه الفعل، لكن الفعل ليس هو الفكرة: إن للفكرة هــي قــاعدة الحدث، أما الفعل فهو حصيلته أو بالأصح هو النتيجة التي تحكم عليه أو تراقبه. ولهذا فإن دراسة اللغة منظوراً إليها من خلال المعنى هي دراسة دلالية وتداولية.

إن معــرفة أصل الكلمة ليست بدون فائدة من أجل فهم معناها، لكن الأصل ليس في أحسن الأحوال سوى إشارة للمعنى، أي قرينة. فاســتعماله في السياق هو الفيصل، ذلك لأن الأصل ليس هو الذي يعطي للكلمة معناها، بل الذي يعطيها ذلك المعنى هو استعمالنا لها، فلا ينبغي البحث عن الدلالة، كما يقول جون ويسدوم John Wisdom ، بل ينبغي البحث عن الاستعمال"[7]. غير أنه بمجرد ما نقف على

الاســتعمال، نستطيع، وبالأخص يستطيع معنا العالم (...) أن نشتق كلمــة خاصــة سيطابق أصلها بأكبر دقة ممكنة الدلالة الجديدة التي نريد إدخالها: فانيرون، مؤول، علامة وصفية، علامة فردية، علامة عرفية، فدليل، علامة إخبارية...الخ، كي لا نذكر سوى الاشتقاقات السيميوطيقية البيرسية.

"وفــي حياتنا اليومية، يحدث في أغلب الأحيان أن تكون للكلمة نفسها دلالتان مختلفتان"، هكذا يكتب ويتجنستن Wittgenstein في "دروس منطقـية وفلسفية" Tractatus logico- philosophicus "أو أنْ تطــابق كلمتان لهما دلالتان مختلفتان حسب الظاهر بالشكل ذاتــه الجملــة" (3.323). ولا يمكــن لا للأصــل ولا للمنطق حل المشــكل، ولكــن يمكن أن تحقق ذلك الحقيقة التداولية كما سيفهمها ويتجنســتن لاحقــاً. فإذا كانت الكلمة أو الجملة، أو الجملة الكبيرة تقودنــا إلــى التصــرف بشكلين مختلفين، فإن الكلمة أو الجملة أو الجملــة الكبــيرة لــيس لها دلالة واحدة بل لها دلالتان. وإذا كانت الكلمتان أو الجملتان أوالجملتان الكبيرتان لا تعطيان إلا حدثاً وحيداً، فليس لهما دلالتان بل دلالة واحدة.

إن إسناد المعنى للعلامة اللغوية يتم بواسطة علامة أخرى. فهل يعنــي ذلك أن يكون المعنى والدلالة والعلامة مترادفات؟ بالطبع لا، فعلامــة المــؤول تعطي المعنى أو الدلالة، وليست هي المعنى أو الدلالــة، بل هي فقط الوسيلة ودعامة الأول والمكان الثاني والقاعدة الثالــثة لإســناد المعــنى أو الدلالــة للموضوع الذي تمثله العلامة

اللغويــة. إن المعنى والدلالة تزرعان في العلامات كما سبق أن قلنا ذلــك عــن الكلمات،عن طريق الاستعمال اليومي في عالم الأشياء، وقــد بين ويتجنستن بوضوح ضرورة التداولية من أجل منح الحياة والمعنى للعلامة". فالجملة إذا انتزع منها المعنى أو الفكرة إنما هي شــيء ميت. وواضح بالإضافة إلى ذلك أنه لكي نمنح الحياة للجملة لا يلــزم فقط أن نضيف إليها بعض العلامات المجردة. وبالنتيجة، فلكــي نعطــي الحياة للجملة يجب أن يضاف إلى العلامات عنصر غــير مادي له مميزات مختلفة كلياً عن مميزات العلامة البسيطة. وإذا طلــب مــنا أن نعطــي اسماً إلى ما يحيي العلامة سنقول إنه اســتعمالها"[8]، ويسمي ويتجنستن كل ما يشكل نسق العلامات مثل اللغة والأحداث التي ينسج منها النسق "لعبة اللغة" وهي القواعد التي تعطــي معنى للموضوعات في هذا اللعب ذاته وليس في لعب آخر. ويــتطابق السؤال 'ماهي الكلمة في الحقيقة؟' مع 'ما هي قطعة لعبة الشــطرنج؟ '. ولا يمكنــنا معــرفة ما الذي تعنيه الكلمة إلا إذا كنا نعــرف قواعد اللعب، تلك القواعد التي تخضع لها الكلمة في إطار لعــبة اللغــة، ولا يمكننا أن نقول ما الذي تقوله الكلمة إلا "بتوضيح قواعد اللعبة "[9].

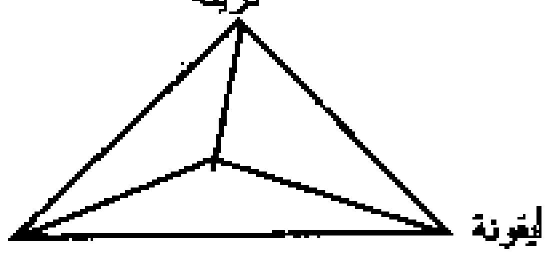
ويمــيز بــيرس، كمــا ســبق أن رأيــنا ذلك، بين نوعين من موضــوعات العلامــة: الموضوع المباشر، أي ذلك الموضوع كما تمــثله العلامة، والموضوع الدينامي الذي "لا يمكن للعلامة التعبير عــنه وإنمــا تشــير إليه فقط، وتتركه لاكتشاف المؤول عن طريق

تجربــته الاضافية" (8.314). وهذه الأخيرة نفسها هي التي تصفها الحقيقة التداولية ونظرية لعبة اللغة لدى ويتجنستن Wittgenstein، و"لأفــرض ــ كمــا يقــول بيرس ــ أنني أستيقظ في الصباح قبل زوجتــي، وأن تســتيقظ زوجتي بعد ذلك ثم تسألني: **"ما هي أحوال الجــو؟"**فهذا السؤال علامة موضوعها كما هو معبر عنه هو الجو فــي هذه اللحظة، لكن موضوعها الدينامي هو الانطباع المخمن فيه والــذي استخلصــته وأنا ألقي نظرة خاطفة على الخارج فاتحاً قليلاً الســتائر. إن المــؤول كمــا هو معبر عنه هو خاصية للجو، لكن المــؤول الدينامي هو جوابي عن السؤال. وبالإضافة إلى ذلك هناك مؤول ثالث. والمؤول المباشر هو ما يعبر عنه السؤال، كل ما يعبر عنه مباشرة، والذي عبرت عنه من جديد أعلاه بطريقة ناقصة. أما المؤول الدينامي فهو الأثر الحاضر الذي يمنحني إياه السؤال أي هو ما يؤوله، غير أن دلالته، أي المؤول الأخير أو النهائي هو السبب الــذي مــن أجله طرحت علي زوجتي هذا السؤال، كيفما كان أثر الجــواب علــى مشاريعها بالنسبة لليوم الذي سيبدأ. ولنفترض أنني ســأجيب: "إنه جو عاصف" فهذه علامة أخرى أشترك فيه ذهنياً أنا وهي ــ أي ليس خاصيته بل هويته. وموضوعها الدينامي هو هوية الظــروف الجويــة الراهنة أو الحقيقية في هذا الوقت، أما المؤول المباشــر فهــو الخطاطــة التــي تقبع في خيالها، أي هو الصورة الغامضــة أو مــا هو مشترك بين مختلف صور اليوم العاصف . والمــؤول الدينامي هو الخيبة أو أي أثر حاضر يكون عليها بشكل

مباشر. أما المؤول النهائي فهو مجموع الدروس الناتجة عن السؤال الخلقية والعلمية الخ" (8.314).

إن المعنى الثالث إذن يأتي إلى العلامات الأولى عن طريق التجربة الإضافية للموضوعات الثانية. وفي هذه الحالة سنميز بين ثلاثة أنواع من المعنى تبعاً لنمط الموضوع الذي هو ثان بطبيعة الحال والذي يمكن إخضاعه للتجربة.. ويمكن أن يكون أولاً أو ثانياً أو ثالثاً. وتميز اللايدي ويلبي Lady welby بين ثلاثة أنواع من المعنى تعطيها بالتوالي أسماء **المعنى** sens **والدلالة** signification **والدلالية** signifiance . وسيلاحظ بيرس وهو يفحص ثلاثية اللايدي ويلبي أن الدلالية هي المعنى العميق الذي يربطه هو نفسه بالمؤول النهائي. "إن المعنى كما يقول، يظهر وكأنه التحليل أو التحديد المنطقي الذي من أجله أفضل الإبقاء على المصطلح القديم إطلاق الحمل acception. أما الدلالة فتعني القصد عند الباعث" (8.184). وإضافة إلى هذا، سيلاحظ بيرس أن علامات مثل "كل أعراض المرض وعلامات الطقس الخ، ليس لها من باعث، إلا إذا جعلنا الله خالق كل شيء باعث كل العلامات" (8.185). ولكي نوفق في الوصول إلى ثلاثية شافية لا تكون مصطلحيتها في هذه الحالة أقل اعتباطية، سنميز مع بيرس بين ثلاث درجات من الوضوح في التأويل L'interprétation، الأولى هي "الألفة مع العلامة والقدرة العفوية على استعمالها أو تأويلها"، إنها "التأويل المحسوس به"، والثانية هي التحليل المنطقي، أما الثالثة

فهـي "التحلـيل التداولي" الذي هو "تحليل ديناميـ مطابق للمؤول النهائـي " (8.185). والأولى يطابقها "التمثيل" La représentation المعـيش الـذي يحـيل بشكل شبه أيقوني على موضوعه، ويطابق الثانـية "المعنى" عند اللايدي ويلبي الذي يحيل على الموضوع عن طـريق القريـنة، وبهذا الشكل يستعمل جون ديوي John dewey أيضاً المصطلح، والثالثة تطابقها "الدلالة" التي تحيل على الموضوع عـن طريق الرموز[10]. وبإمكاننا أن نبسط العلاقة بين السيميوطيقا وعلم الدلالة على مستوى بعد الموضوع في الرسم البياني التالي:



شكل 14 ـ الخطاطة السيميوطيقية لعلم الدلالة

وقـد تمثل هذه "التجربة الإضافية " التي تضع موضوع الاختيار (المـتعود على الموضوع أو فحص vérification الفكرة) الترابط La corrélation بين العلامة (اللغوية والدلالية) والمعنى. والتمثيل هـو الـترابط بيـن الأيقونة والموضوع المباشر، والمعنى بحصر المعنى هو الترابط بين القرينة والموضوع الدينامي، أما الرمز فهو الارتباط المتلازم بين الدلالة ودلالة أخرى في إطار نسق معين من

أنساق الرموز الدلالات، فالارتباط المتلازم الأول إبعادي Abductive، والثاني استقرائي inductive والثالث إسقاطي déductive. ومرحلة الحقيقة (لبوس الحقيقة ــ الانسجام وإنما الحقيقة المطابقة للواقع) ينبغي في التحليل الأخير أن تمر على الأيقونة ــ المعنى، وذلك لأنه من المستحيل أن تمر عن طريق الأيقونة ــ التمثيل، مع الإشارة إلى أن هذه الأخيرة هي فدليلية rhématique، مع أنها يمكن أن تمثلها (انظر 2.2959). ولنفترض جملة تكون علامة إخبارية dicisigne مثل "**هذا الكتاب مضبور** 'broch' "فمؤوله (أي تمثيله الذهني أو المفكر فيه الذي يسعى إلى تحديده) يمثل هذه الجملة بوصفها قرينة أصيلة لموضوع حقيقي، مستقلة عن التمثيل، ذلك لأن القرينة تستلزم وجود موضوعها. ويضيف تعريف العلامة الإخبارية dicisigne إلى ذلك أن هذا الموضوع هو ثانوية أو حدث fait واقعي" (2.315).

وعندما يتعلق الأمر بجمل من هذا النمط التي يسميها بيرس "موضحة" ,ampliatives" فمن الواضح أن معنى الجملة يحيل بشكل مباشر على الموضوع عن طريق قرينة، وأنه يمكن التحقق منه مباشرة بواسطة تجربة إضافية Exp.collatérale بسيطة. وهذا الأمر لا ينطبق على الجمل المسماة تحليلية "أ هي أ ". فإذا كان يفترض في هذه الجمل أن تقول شيئاً معيناً عن أشياء حقيقية، فهي غير مفهومة بشكل كامل، غير أننا إذا أولناها باعتبارها تقول شيئاً معيناً عن رمز، فلها في هذه الحالة دلالة، لأن فعل الوصف "

'le verbe substantif' "هي " 'est' يعبر عن إحدى هذه العلاقات التي يقيمها أي شيء مع نفسه". وبالتأكيد فإن الرمز ليس فردياً، لكن "كــل معلومة تتعلق برمز هي معلومة information تتعلق بكل الأصــدية repliques، والصدى هو فردي بدقة. فما هي المعلومة التي تمنحها جملة "أ هي أ" والتي تتعلق بهذا الصدى؟" إن المعلومة هــي أنه لو حاولنا تغيير الصدى بأن نضع مكان أ اسماً آخر نضعه قبل وبعد الوصل La copule، فـ"النتيجة ستكون صدى لجملة لا تدخــل البــتة في التناقض مع الأحداث"، وهذا لا يعني أنه سيكون للجملة معنى، وفق تعريفنا للمصطلح، ذلك أنه "ما دامت التجربة لم تقــع ــ إن في الواقع أو في الخيال ــ والتي يمكن أن تكون مناسبة لإجراء تناقض مع الجملة موضوع السؤال، فإنها لا تمثل في نظرنا ثانويــة حقيقــية". إن لها دلالة، تحيل على دلالات أخرى في إطار نســق للــدلالات، لكــن ليس لها معنى، "غير أنه بمجرد ما تحين الفرصـــة، فـــإن الجملة تحيل على هذا الصدى المنفرد الذي يظهر حينــئذ لهــذه التجربة المتفردة، فيرسم العلاقة"، وحينئذ سيكون لها معنى حقيقي (2.315).

لقد أوضح جون ديوي في كتابه **المنطق** وبشكل جلي الفرق بين القريــنة ــ المعنى التي يسميها العلامة ــ المعنى والرمز ــ الدلالة حين تعرض لطرفة يرويها أوغدن وريشاردز Ogden et Richards فــي كتابهما **معنى المعنى** Meaning of Meaning ــ ص 77-78 " أراد رجــل ما وهو يزور قبيلة من القبائل البدائية أن يعرف

الكلمــة التي تخصص للمائدة Table. وكان خمسة أو ستة أطفال حولـه. وهو يضرب بالسبابة l'index على المائدة سأل "ماهذا ؟" أجـاب طفـل أن ذلـك يشكل dodela، وأجاب آخر أنه etenda وأجـاب ثالـث أنه bakali، وأجاب رابع أنه clanba وخامس أنه meza، وقد هنأ الزائر نفسه أولاً على غنى هذه اللغة، لكنه اكتشف بعد ذلك أن "طفلاً كان يظن أنه أراد الكلمة التي تعني "ضرب" وأن آخـر كـان يظن أنه كان يبحث عن الكلمة التي تعني "صلابة" "dureté" وأن آخـر كـان يظن أنه يبحث عن الكلمة التي تعني ما يوجد فوق المائدة، وأن الأخير... أعطى كلمة meza، أي المائدة".

إن هذه القصة كان ينبغي أن تسرد قبل هذا الوقت، وذلك للتدليل علـى أنـه مـن غـير الممكن أن نجد تطابقاً حقيقياً بين الأسماء والموضـوعات، وأن الكلمـات تعني ما تعنيه بارتباط مع الأنشطة العامـة التي تتولد عنها نتيجة مشتركة يشارك فيها الجميع. فالكلمة التـي نبحث عنها كانت متضمنة في الأنشطة العامة والساعية إلى هـدف مشترك، وفعل الضرب في هذا المثال، كان معزولاً عن أي وضـعية مـن هـذا النوع. وكنتيجة لذلك، فقد كان بلا علاقة مع الوضـعية، ولم يكن يشكل جزءاً في التواصل الذي يعطي هو وحده للأفعال les actes معنى وللكلمات التي تلازمها دلالة(5). وتظهر الطـرفة حيـن يـتم إخضاعها للسؤال الذي نحن بصدده، أن طابع البرهان الوجودي ينعدم في الرموز أو القيم التمثيلية التي أعطيناها اسـم "الـدلالات"، وبـدون تدخـل لعملية وجودية خاصة، فهي لا

تستطيع أن تعين أو أن تميز الموضوعات التي تحيل عليها، والاستدلال أو الخطاب المنظم الذي يتحدد بتطور الرموز ـ الدلالات في علاقاتها المتبادلة، يمكن (ويجب) أن يقدم الأساس لتنفيذ هذه العمليات، غير أنه لا يحدد أي وجود من ذات نفسها، وهذا التأكيد يصح مهما كان اتساع نسق الدلالات ومهما كانت صرامة وقوة العلاقات المتبادلة بين الدلالات. ومن جهة أخرى تبين هذه القصة كيف أن الكلمة بمجرد ما يتم إيجادها، فإن الدلالة المرموز إليها تكون قد دخلت في علاقة مع دلالات أخرى في استقلال عن الحضور الواقعي في لحظة معينة وعن موضوع المائدة، ذلك لأن علاقة الدلالات فيما بينها (والتي يتم نقلها بواسطة الرموز) مستقلة بوصفها كذلك عن أي مرجعية وجودية"[11].

ويتم أيضاً إثبات التمييز بين المعنى والدلالة ونحن نعاين كيف أن جملة مثل "كل فينيق، وهو ينهض من رماده، يغني "yan kee doodle"، لا يمكن أن تدخل في تناقض مع أية تجربة كيفما كانت، وأنها نتيجة لذلك حقيقية بالضرورة، كما هو الشأن بالنسبة لـ"كل مثلث ذي أربعة أضلاع هو ذو لون أزرق غامق" لكن ليس لا لهذه ولا تلك من دلالة (2.345) إلا في حالة بناء نسق للرموز ـ الدلالات بطريقة ليويس كارول Lewis ، carol انطلاقاً من عناصر مكونة لهذه الجمل.

إن طرح جون أوستن John Austin للطبيعة الجميلة لأقوال القدرة sperfomatif للمناقشة يبدو قابلاً للاعتراض في إطار علم

دلالة من النمط البيرسي، وبالفعل فإن أقوال القدرة مثل "أسمي هذه السفينة حرية" الذي يعطيه جون أوستن كمثال، هي علامات إخبارية قرينـية، فهـي إذن جمـل تامة . إنها عملية وتداولية practico-pragmatique. فهي لها معنى ويمكن التحقق منها، وكونها فاعلة إضـافة إلى ذلك لا ينزع عنها أي شيء من نظامها الجملي، بل ما نقوله هو عكس ذلك، وسنرى بطيبة خاطر في هذا الطرح للمناقشة أننـا سـنلاحظ فـي الـزوج (فكـر ــ فعل) عودة لظهور الثنائية الأونطلوجية (روح ــ مادة) التي تريد أن تجعلنا نعتقد أنه لا يمكننا أن نفكـر لأنـنا نقـوم بـالفعل. إنها ثنائية أونطلوجية وما أعظم اجتماعيتها!

وصحيح أننا ونحن نعمل لا نشعر دائماً بوجود المؤول، إذ نحن نعطـي مباشـرة للكلمة المعنى أو الدلالة التي تستحقها في السياق. ومن هنا بالفعل يلعب المؤول النهائي دوره بالكامل، ذلك لأن قواعد لعـبة اللغة أصبحت عادات (والعادة مؤول نهائي في غاية الجودة) عند اللاعب الذي يقوم بترجمتها تلقائياً إلى مؤول مباشر.

ب ــ من أجل تصنيف علم الدلالة :

وباختصـار فـإن كـل تأويل للعلامات عند بيرس هو تداولي بالمعـنى الذي تكون فيه العلامة هي ما تنتجه، ونتيجة لذلك فإن كل قـراءة للعلامات هي قراءة سياقية ومن بيرس سيستعير ويتجنستن

Wittgenstein نظريـــته (التداولية) عن الدلالة ونظريته (السياقية) عن ألعاب اللغة.

ولأن كل تأويل هو ثلاثي، فينبغي أن نميز تأويل العلامة في حد ذاتهـا كأيقونة ـــ والتي هي تمثيل ـــ عن تأويل العلامة كقرينة تفيد معـــنى العلامة أي ما تشير إليه العلامة، وعن تأويل العلامة كرمز يفـــيد دلالة العلامة في إطار نسق للرموز ـــ الدلالات، غير أن هذه الاخـــتلافات الـــبعدية dimentionnelles لا تســتتبع أي تعارض وظيفـــي، فتأويل معنى القرينة يمر عن طريق دلالة الرمز الممثلة أيقونـسياً في البنيات، وهذا ما سنوجزه في الجدول التالي مع التركيز علـــى أننا لن نضع في البنيات أكثر، وعلى الأرجح أقل بكثير مما يضـــعه علمـــاء الدلالـــة، فالبنيات الإدراكية perceptives يمكن اســـتخراجها من الدراسات النفسية لدلالة العلامة. والبنيات الشكلية تعبر عن العلاقة المنطقية بين العلامة والمعنى، كما يمكن أن نرى ذلك في المتواليات مثل:

enseign-er,enseign-ons,ensign-ant,enseign-"
" ement,etc

أو مثل:

"Enseign-ons,chaut-ons,crions,derige-ons,etc
(مونان،156)

والبنـــيات التصويرية Conceptuelles تقوم بتجميع العلامات حســـب قواعـــد نقـــول عـــنها دلالية. هكذا نستطيع كما يقوم بذلك

القاموس تجميع مترادفات "تدريس، تربية، ترويض، تعليم، تدريب الخ" (مونان،158). فكل هذه البنيات تشكل البعد السيميوطيقي المفروض على كل دلالة عملي وتداولي practico- pratique، وقد نلاحظ أن علم الدلالة البيرسي بأبعاده الثلاثة وبأنماط مؤولاته الثلاثة يشمل في نفس الوقت علم الدلالة المعجمي Lexicale والنظمي syntactique أو البنائي structurale أو السانكروني synchronique، وعلم الدلالة التاريخي أو الديكاروني dichronique.

	1	2	3
1	البنيات الإدراكية **الفعلية**	البنيات الشكلية **الإخبارية**	للبنيات الشكلية **البرهانية**
2	↓ الموضوع المباشر **الأيقونة**	↓ الموضوع الدينامي **القرينة**	↓ الرمز
3	التمثيل ← **المؤول المباشر**	المعنى ← **المؤول الدينامي**	الدلالة **المؤول النهائي**

جدول 23 ــ التصنيف السيميوطيقي لعلم الدلالة

ويبين اتجاه السهم نظام الصيرورات السيميوطيقية ــ التداولية لعلم الدلالة، وقد ميزنا العناصر السيميوطيقية الحقة في الصيرورات بحروف مضغوطة..

3. التداولية والبلاغة:

إن التداولية هي علم قواعد التأويل، وبيرس يسميها أيضاً بلاغة نظرية أو تشكيلية، منهجية ومساعدة على الكشف heuristique.

فبوصـــفها بلاغـــة نظـــرية، فالتداولـــية هي "دراسة الظروف الضـــرورية لنقل الدلالة عن طريق العلامات من عقل إلى آخر أو من حالة عقلية إلى حالة أخرى" (1.444).

وبوصـــفها بلاغة شكلية فالتداولية هي دراسة "الظروف الشكلية لقـــوة الرموز أو للسلطة التي يمكن أن تمارسها الرموز على العقل، وبمعنى آخر لمرجعيتها العامة بالنسبة لمؤولاتها" (1.559).

وبوصـــفها منهجـــية فالتداولـــية هـــي "نظرية الظروف العامة لمرجعـــية الرموز والعلامات الأخرى بالنسبة للمؤولات التي تريد تحديدهـــا" (2.93)، وهي في شكلها الأكثر عمومية "منهج لاكتشاف مناهج" (2.108) أو هي "مساعدة على الكشف" (2.206).

أ ـــ الشروط التداولية العامة لنقل الدلالة:

نســـتطيع مـــع بـــيرس إذن أن نميز دراسة الشروط العامة لنقل الـــدلالات عن دراسة قواعد النقل في حد ذاتها، وبالفعل فالقواعد لا يمكن أن تظهر في أي صيغة أخرى إلا في صيغة علامات مؤولة، وليس لها أي وجود آخر (ولا نقول واقع) إلا وجودها السياقي، ولا يـــتم إنـــتاجها وممارســـتها إلا في إطار لعبة الصيرورة المتواصلة

للتأويل، ومن هنا تبرز شروطها العامة الثلاثة: (1) فبوصفها علامات مؤولة يمكن للقواعد أن تكون غريزية أو تجريبية (أي مرتبطة بالتجربة) أو شكلية، وهي تشكل الثلاثية التقابلية العاشرة في التصنيف البيرسي الأخير للعلامات (8.374 وانظر اللايدي ويلبي 32)، (2) يمكن لسياقها أن يكون شعورياً أو وجودياً أو ذهنياً.. (3) يتم تحقق لعبها الإجرائي بدون إيجاد حل متواصل إبعادياً أو استقرائياً أو إسقاطياً، وهكذا فإننا نضع الجدول التالي المتضمن للشروط العامة للتداولية:

	1	2	3
1	الغريزة	التجربة	الشكل (العادة)
2	الإحساس	الوجود	الفكرة
3	الإبعاد	الاستقراء	الإسقاط

جدول 24 ـ الشروط العامة لانتاج وتطبيق القواعد في التداولية البيرسية

ب ـ البلاغة:

إن دراسة القواعد في حد ذاتها هي ثالثية، فهي تشكل البلاغة في المنظور البيرسي، وبواسطتها نعرف الطبيعة والموضوع والاشتغال.

أما الطبيعة فهي منظمة foncteurs. فالقواعد هي علامات مؤولة وهي بالتتابع مباشرة وديناميةونهائية، فواحدة مباشرة،

وعلامتان اثنتان ديناميتان، وثلاث علامات نهائية. وهي في المجموع ستة أنماط من العلامات المؤولة، كل نمط من الأنماط يمكن أن يتشعب بدوره إلى ثلاثة. وهكذا وتبعاً لكريلنيGreenlee، فالمؤول المباشر الأول هو إحساس أولي، ووجود بالقوة ثان، وإمكانية تأويل ثالثة[12] (انظر LW36).

أما الموضوع فهو وظائف fonctions. فالقواعد تتيح التأويل (1) بالإيحاء، (2) بالإخبار، (3) بالبرهنة.

وأما فيما يتعلق بالاشتغال، فالقواعد لكي تحقق ذلك تقوم باستعادة (1) صور الكلمات (2) صور الموضوعات (3) صور الأفكار أو الصور البرهانية.

		1	2	3
1	المنظم foncteur	المؤول المباشر	المؤول الدينامي	المؤول النهائي
2	الوظائف	الإيحاء	الإخبار	البرهنة
3	الاشتغال	"صور" الكلمات	صور الموضوعات	"صور الأفكار" "الصور البرهاني"

جدول 25 ــ البلاغة

أ ــ الصورة البلاغية :

إن التقسيمات المتعلقة باشتغال القواعد، بمصطلحاتها القديمة من "صور الكلمات" و"صور الأفكار"، التي نرتب البعض منها فيما

نسميه ب "صور الموضوعات" تحيل على البلاغة الجديدة لمجموعة **(البلاغة العامة)**[13] وتحيل "الصور البرهانية" على البلاغة الجديدة" **لمقال البرهان**"[14] لـش. بيرلمان. Ch. perelman ولـ لُولبريشت ـ تيتكا L.olbrechts-tyteca فالأولى أكثر شكلية" و"بلاغية" Rhétoricienne، والثانية أكثر قرباً من الفهم البيرسي للبلاغة، ذلك لأنها تعالج البرهنة التي هي المؤول البيرسي الأول، ولأن مؤلفي البلاغة العامة يعتقدون أنه لا وجود لتأويل إلا سياقياً. "إن السياق كما يقول لنا ريشاردز Richards، وكما نقرأ في مقال البرهنة، هو الذي يعطي للكلمة وظيفتها، وإننا بالسياق فقط نستطيع اكتشاف ما ينجز[15] والحال أننا نعرف التأثير الذي مارسه بيرس على ريشاردز.

وتتطلب منا كلمة "الصورة" التي استعملناها أن نشرح المعنى الذي يعطيه إلى هذا المفهوم البلاغيون القدامى والمعاصرون. فالصورة، كما يقول أوميرطالون Omer Talon في القرن السادس عشر هي "تعبير يتميز به مظهر الخطاب عن الاستعمال العادي l'habitude السوي والبسيط" (مذكور في م.ب، 227). و"لا تكون الصورة كما يقول بيرلمان Perelman إلا عندما يكون في مقدورنا القيام بالفصل بين الاستعمال العادي للبنية واستعمالها في الخطاب" (م.ب، 228). ويتحدث مؤلفو البلاغة العامة عن "الانزياح عن القاعدة" (ب.ع:20) الذي هو "الدرجة الصفر" (ب.ع:35) في التعبير الأدبي. ونفس القول يذهب إليه مؤلفو مقال البرهنة حسب

الظاهـر: "إننا نعتبر الصورة برهانية إذا كان استخدامها، وهو يقود إلى تحقيق تغيير في المنظور، يظهر طبيعياً بالمقارنة مع الوضعية الجديـدة المقترحة. وإذا لم يؤد الخطاب، على العكس من ذلك، إلى انخـراط المسـتمع في هذا الشكل البرهاني، فإن الصورة لن تكون سـوى تزييـن، وسـوى صـورة في الأسلوب، وبإمكانها أن تثير الاعجـاب، ولكن على المستوى الجمالي، أو باعتبارها شهادة على أصـالة الخطيب" (م.ب: 229). وبالفعل، فهي تقول أشياء أخرى، وتقول أن ليس هناك تأويل "عادي" يناقضه تأويل "غير عادي"، وأن لـيس هـناك قاعدة من جهة وانزياح من جهة أخرى: "إن استعمال بعـض الصـور المحددة تبرره ضرورات البرهنة" (م.ب، 227). فاختـيار هـذه الصورة وليس تلك يتعلق بالسياق في عموميته، أي يـتعلق بالمتخاطبيـن (المتحاوريـن) وبعلاقاتهما داخل السياق في عموميته، بل ويتعلق بما هو خارج السياق، أي يتعلق بما يعرفه هذا المتخاطـب عـن الآخر، وما يعرفه المتخاطبان عن المقام، وعما يـريدان قوله أو سماعه وهما يعرفان معرفة تامة المدى الذي يمكن أن يـبلغاه في الخطاب، فأحد المتخاطبين يمكن أن يكون خطيباً أو معلمـاً، والآخر يمكن أن يكون جمهوراً أو مستمعاً، فالعلاقات تظل هـي ذاتهـا، والصور يجب أن تكون مضبوطة حتى تناسب المقام بالشـكل الأقرب. والانزياح يحدث عندما لا تكون الصور المختارة مناسـبة سـواء بشـكل عفوي نتيجة نقص في الفكر الثاقب أو في الإعـلام أو فـي الحكـم، أو بشكل مقصود إرضاء لذوق يمكن أن

يكـــون له مريدوه كما يقول بيريلمان Perelman، ولكن يمكن أن يـــؤدي إلى التضحية بالصورة الخاصة من أجل لذة القول. وتشكل الحذلقـــة La préciosité أحـــد هذه الانزياحات التي قام كونديلاك condillac بنقضـــها فـــي فصـــل "الأبراج النفسية أو النادرة" في مجرى تعليم أميربارم

Cours détude pour l'instruction du prince de Parme

والتي قام بالكشف عن ألغازها. "خذ فكرة عامة، وعبر عنها في الـــبداية بغموض، وبعد ذلك كن أنت نفسك المعلق الخاص، ستكون لـــك كلمـــة السر، لكن لا تتعجل في التلفظ بها وحاول أن تحزرها، وسيظهر أنك أصبحت تفكر بطريقة جد جديدة وجد رشيقة"[16]. كل هـــذا يعني أن لا وجود لقاعدة استعمال يمكن أن نقارن بها استعمال صـــورة محـــددة، فالبلاغة صيرورة وليست "كتاب أعشاب". ولكي نـــدرك المظهـــر "البرهانـــي" للصورة، "ينبغي إدراك الانتقال من المألوف إلى غير المألوف والعودة إلى مألوف من رتبة أخرى، ذلك المألوف الذي ينتج عن البرهان في نفس الوقت الذي يكون فيه هذا الـــبرهان قـــد انتهى" (م.ب : 231)، ولا يمكننا أن نعبر بشكل جيد عن الفهم البيرسي للمؤول بوصفه صيرورة للتأويل المتواصل، فلا وجـــود للانزياح، إلا إذا أصبحت الصورة مستنسخاً cliché نتيجة لـــتجمد المـــألوف، وسيكون على الخطيب إذن أن يكسر هذه وتلك، وذلـــك بـــأن يحـــل محل الصورة القديمة صورة جديدة معها يترك المألوف القديم مكانه للمألوف الجديد.[17]، وسيكون مشروعاً إذن أن

نقول كما قال مؤلفو مقال البرهنة إن الصورة هي برهانية "إذا كان استخدامها، وهو يقود إلى تحقيق تغيير في المنظور، يظهر طبيعياً بالمقارنة مع السياق الجديد المقترح" (م.ب :229)، وسيكون مشروعاً أن نفهم "المألوف السوي والبسيط" لأوميرطالون Omer Talon بوصفه المؤول النهائي الذي يحيل الصورة على موضوعها الخاص، وبمعنى آخر الذي يمكن الصورة من امتلاك الآثار التي كان يريدها لها الخطيب orateur أو المتكلم locuteur.

ب ــ تصنيف صور البلاغة :

إن الأصل في الدراسات الأسلوبية هو إخراج الصور من سياقها (انظر م.ب :231)، وهو أمر لا يعني القدح فيها، فيجب معرفة ذلك. فعليها كانت تشتغل البلاغة القديمة ثم نسنها، وعليها تشتغل الآن البلاغة الجديدة رغم أن مؤلفي البلاغة العامة تظاهروا بتجاهل ذلك، وإذن فنحن نصنف الصور أسلوبياً بتأثير من تصنيفات البلاغة العامة ومن مقال البرهنة حيث نقوم بتوزيع هذه التصنيفات إلى الأبعاد الثلاثة: الميتا ــ لسانيات métalinguismes والميتا دلاليات métasémantismes. والميتا تداوليات métapragmatisme. فالبعد الأول الذي هو البعد التركيبي للصور يشتمل على (1) الميتابلازمات les métaplasmes و (2) الميتا تاكسات les métataxes و (3) الميتاسيمينات les métaséménes ــ ويمثل البعد الثاني البعد الدلالي للصور، وعليها يحيل تحديد ميتا

لوجـيزمات "métalogismes " البلاغة العامة، ذلك لأنها تتضمن "مرجعـية ضـرورية إلـى معطـى خـارج ــ لسـني extralinguistique"، لكن ليس "من أجل معارضة الوصف الدقيق الـذي يمكن إعطاؤه لها" (ب.ع :125)، بل فقط لأن الصور الثانية التي هي صور الموضوعات، عكس الصور الأولى التي هي صور الكلمـات، تحـيل علـى شـيء آخـر غير ذاتها، أي تحيل على موضـوعات. والبعد الثالث، هو البعد التداولي الذي ضمنه نضع ما نسـميه "الميـتا تداوليات" les métapragmatismes التي تشمل معظـم "ميتا لوجيزمات"les métalogismes البلاغة العامة، وهي بعد صور الأفكار أو الصور البرهانية. وبالطبع ف "ميتا" لا ينبغي أن تشـير هـنا إلى وجود انزياح بين الصورة ودلالتها، بل إلى أن الصـورة هي جزء من سيرورة دلالة في تطور مستمر. ف Meta تعنـي بـدءا في **الوسط** (au milieu de) وتشير إلى فكرة التغيير والمشاركة.

1ــ بعـد الميـتا لسانيات أو صور الكلمات، وتشمل (1) الميتا بلازمات métaplasmes التي تخص "المظهر الصوتي أو الخطي للكلمـات والوحدات التي تكون أقل من الكلمة" (ب.ع: 33)، وهكذا فإدغام المصوتين synérésc هو صورة نطق تجمع في مقطع واحد بيـن صوتين صائتين Voyelles متجاورين في كلمة واحدة، مثل violon، أما الترخيم syncope فيتم فيه حذف حرف أو مقطع من الكلمة، وهو حال dévoûement عندما تكتب devoûment. وأما الكلمـات ــ الحقائب les mots-valises التي ترتكز على تداخل

واتحـــاد كلمتيـــن لهمسا بعض الخصائص الشكلية المشتركة" مثل " alcoolade" التـــي بواســطتها يشــير كونو Queneau إلى القبلة الاحتفالـــية للشخصـــية المخمـــورة (ب.ع:65)، فهي ميتا بلازمات métaplasmes. (2) الميـــتا ـ تاكسات métataxes التي تخص "بنية الجملة" (ب.ع:33)، مثل الإدغام la crase في (mini-jupe) و القطــع lêllipse في (chacun son tour) والفصل l'anacohithe الـــذي هو "غياب التتمة" (كما يكتب أندري شينيي André chénier "هكـــذا، حزيـــناً وأسيراً ومع ذلك يستيقظ ربابي " (ب.ع: 80). (3) الميتاســـيمينات les métasémènes وهي التي تتم فيها استبدال سيمينا Sémène بســـيمين آخر ـــ وربما كان من الأفضل أن نسميها ميتا ليكسيمات métalexèmes، ذلك لأننا لن نذكر إلا صور الاستبدال Substitution التي لا تمس المعنى، مثل الكنايـــة ("شرب كأساً" "Boire un verre" وهـــو استبدال اسم الوعاء باسم ما في الوعاء) والمجـــاز المرســـل la synecdote ("مقابلة الحديد" " Croiser le fer" التي تعني "المبارزة بالسيف").

2 ـــ بعـــد الميتا دلاليات أو صور الموضوعات، وهكذا سيكون لنا (1) الميتاسيمينات مثل الاستعارة الأيقونية و(2) الميتالوجيزمات métalogismes مثل الطباق وقلب المعنى، و(3) الرموز التي كما يقـــول كونديـــلاك هـــي الصور التي لا تشكل أي مجاز أبداً" ولكن "تكـــون لهـــا مع ذلك الأناقة"، وهو حال هذا البيت الشعري لبوالو Boileau حيـــث "نستبدل باسم شيء اسماً لعلاقة تم اختيارها بسبب الاستعمال لتشير إليه" : "نهر السين له النخلات، وللتيبر le Tibre قياصرته"[18].

3ـ بعد الميتا تداوليات أو صور الأفكار أو الصور البرهانية، وضمنها نصنف "الميتالوجيزمات" الأخرى التي تخص المؤولات، وهي (1) الاستفهامات (انظر م.ب :214) و"الميتالوجيزمات" مثل الاستغناء والتعليق والسكوت. (2) "الميتالوجيزمات" التي تخص حقيقة الجملة مثل: la lilote، والغلو والسخرية والمفارقة. (3) الميتالوجزمات التي تخص البرهان مثل الصورة المجازية allégorie والحكمة la parabole والقصة la fable. وفيما يلي إذن جدول هذه الصور الأسلوبية وهي لمجرد التمثيل:

		1	2	3
		الميتالسانيات		
1	صور الكلمات	الميتابلازمات: إدغام الصوتين الترخيم- الكلمة الحقيبة	الميتاتاكسات: الإدغام القطع الفصل	الميتاسيمينات: الكناية- المجاز المرسل
		الميتادلاليات		
2	صور الموضوعات	الاستعارة	الطباق - قلب المعنى	"الرموز"
		الميتاتداوليات		
3	صور الأفكار أو الصور البرهانية	الاستفهام-الاستغناء - التعليق- السكوت	Lilote- الغلو - السخرية- المفارقة	الصورة المجازية الحكمة القصة

جدول 26 ـ بلاغة الصور

ج ـ اختيار الصور :

إن اختيار صورة ما في سياق محدد ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار تعريفها الأسلوبي، لكنه يخضع بالدرجة الأولى لمتطلبات هذا السياق. ولأن موضوع مقال البرهنة هو الفعل الخطابي l'acte oratoire، فإنه يدرس بالأخص الصور بارتباط مع المستمعين الذين يتعلق الأمر بإقناعهم، أو بإخبارهم، أو إفحامهم. ولذلك فإنه يقوم بتصنيف هذه الصور في حد ذاتها بوصفها صور اختيار وحضور واتحاد، ويميز بين بعدين في التطبيق وذلك حسب نوع التوافق الخاص والعام الذي يقوم بين الخطيب والمستمع. ففي الحالة الأولى ينبغي على الخطيب أن يستنجد بالقيم، والتراتبيات والأمكنة أو ب olp'ot. وفي الحالة الثانية يستنجد بالبراهين الكونية للحدس présomption والحدث والحقيقة.

1 ـ صور التوافق، وهي: (1) صور الاختيار أو صور التأويل، وتشمل من بين ما تشتمل عليه، بين الصور المشار إليها في الجدول السابق، على الكناية والمجاز المرسل. (2) صور الحضور التي "يكون من آثارها جعل موضوع الخطاب حاضراً في المجال" (م.ب :235)، وهي الكلمة الصوت l'onomatopée، والتكرار، والتضخيم l'amplification، والترادف la synonymie أو الميتابول métabole، وشبه الخطاب المباشر le pseudo-discours direct، والوصف المؤثر l'hypotypose الذي هو وصف حي وأخاذ. (3) صور الاتحاد وهي تلك التي

"تسعى فيها إلى خلق أو تأكيد الاتحاد العام مع المستمع"، وهذا الاتحاد نصل إليه في أغلب الأحوال "بفضل الإحالات على المشترك في الثقافة والتقاليد والماضي" (م.ب:239). ومن هذه الصور التلميح l'allusion والاستشهاد la citation، والالتفات l 'apostrophel والسؤال والتواصل الخطابيين oratories الخ..

2 ـ موضوعات التوافق وأنماطها. وفي هذه الحالة، فإن التوافق مع الجمهور يحصل في موضوعات خاصة تيسر هذا التوافق. ومن ذلك (1) توافقات خاصة بحالة معينة مثل البرهنة الموجهة إلى المشاعر ad hominen (2) توافقات خاصة بجمهور معين أو بمناقشة معينة. (3) أنماط موضوعات التوافق وهي القيم والتراتبيات والأمكنة. (1) فالقيم يمكن رغم أنها تتعلق بالرأي أن تصير أحداثا في سياق خاص، فالميتاليبس la métalepse صورة تنقل القيم للجميل" (م.ب :245). (2) أما التراتبيات فهي على درجتين: التراتبيات الملموسة (تفوق الإنسان على الحيوان)، والتراتبيات المجردة (تفوق العادل على النافع). (3) وأما الأمكنة أو olpz'o فهي مقدمات منطقية prémisses عامة جداً حيث نستطيع التمييز بطريقة بيرسية جداً أمكنة النوعية la qualité (م.ب:119) عن أمكنة الكمية la quantité (م.ب: 125). عن أمكنة القانون la loi (م.ب:125).

3 ــ التوافقات الناتجة عن البرهنة: فالبرهنة التي يحصل فيها التوافق بين الخطيب والجمهور هي تلك التي، وهي ترتكز على

الصيغ العامة للفكر التي هي الإبعاد والاستقراء والإسقاط، تستدعي (1) الحـــدس و(2) الحدث و(3) الحقيقة (م.ب: 99.89). وهذا ما سنقوم بتلخيصه في الجدول التالي:

	1	2	3
1 صور التوافق	الاختيار: الكناية، المجاز المرسل	الحضـــــــور: الكلمة- الصوت التكرار الوصف المؤثر	الاتحاد التلميح الاستشهاد الالتفات
2 موضوعات الـــــتوافق وأنماطها	البرهنة الموجهة إلى المشاعر	توافقات خاصة بجمهـــــــور أو بمناقشة	أنمـــاط موضوع للـــتوافق: القيم، التراتبيات،الأمكنة
3 الـــــتوافقات الـــناتجة عـــن البرهنة	الحدس	الحدث	الحقيقة

جدول 27 ـ البلاغية السياقية لتوافق الخطيب مع الجمهور

الهوامش :

(1) ينبغي الإشارة إلى وجود منطق إغريقي آخر هو المنطق الرواقي

* أضفنا كلمة "هو" في مقابل الكلمة الفرنسية "est" (المترجم)

(2) انظر :

perelman et l.Oibrechts - Tyteca,traité de l'argumentation,2, Presses universitaires de France,1958.

(3) كدليل على ذلك رفض أخذ بعد المؤول بعين الاعتبار . انظر :

G.Mounim, clefs pour la linguistique, Seghers, 1968 p.15

(4) Martinet, le mot, in problèmes du langage, Gallimard, 1966,p.5

(5) هــذه الاعتراضـــات قدمها لي لسانيان من جامعة Le –Toulouse Mirail وهمـــا: جاكليـــن شـــون SCHON.ز وج.ل. نيســـبولوس J.L.Nespoulous وأنـــا أشـــكرهما علـــى انفتاحهما على السيميوطيقا البيرسية.

(6) انظر حول هذا الموضوع:

Elizabeth Walther, allgemeine Zeichenlehre, dva seminar, D eutsche- Anstslt Stuttgard, 1974,pp.99-100

انظر بشكل خاص: Noam chomsky, le langage et la pensée Trad. Louis- Jean calvet, payot,1970.

* سيلاحظ القارئ العربي أن الجملة في اللغة الفرنسية تختلف عنها في اللغة العربية، لكن هذا الاختلاف لا يؤثر تأثيراً كبير (المترجم).

* سيلاحظ القارئ العربي أن الجملة في اللغة الفرنسية تختلف عنها في اللغة العربية، لكن هذا الاختلاف لا يؤثر تأثيرا كبيرا (المترجم).

(7) Wisdom, Ludwig Wittgenstein, 1934-1937 , Mind, 1952, p: 258

(8) Wittgenstein, le cahier bleu, Gallimard,p:38.

(9) Wittgenstein, les investigations philosophiques, Gallimardp:108

(10) بالرغم من اعتباطية التسمية، فإن العملية التداولية التي يعنيها كل مصطلح تتطابق مع العملية الذهنية الحقة وهكذا فإننا نجد نفس التمييز الإجرائي بين "المعنى" و"الدلالة" عند ج. جرانجير G.Granger بتسمية مختلفة Essai d'une philosophie du style, colin,1968

(11) John Dewey, logique P.U.F,1967 pp113-115

D.Greelee,Peircés concept of sign, Mouton 1973,p.118 en note

(13) Rhétorique Générale, la rousse 1970 ، وسنحيل عليه بالرمز (ب.ع)

(14) Traité de largumentation,2 vol. P.U.F,1958 ، وسنحيل عليه بالرمز (م.ب)

(15) م.ب، I، ص166.

(16) Condillac, Oeuvres philosophiques - P.U.F. 1947, vol.1, p. 571b.

(17) Ibid, p. 562a.

(18) Condillac, op. cit, p 563b

الفصل الرابع

تحليل نص "علامة" لأبولينير

إن كـــل ما قلناه عن الجانب اللساني والجانب الدلالي، وما قلناه عن الجانب الدلالي والجانب التداولي، سواء في شكله المنهجي أو البلاغـــي، ينبغي أن يجد تطبيقه في تحليل النص، بل وقد يتجاوز قصـــدنا هـــذا، ذلك أن تحليلنا السيميوطيقي[1] الذي يتناول قصيدة "علامـــة" "signe" لأبولينـــير Apolinaire التي اخترناها بسبب عـــنوانها، سيشـــتمل علـــى ثلاثـــة أقسام: القسم الأول وسينصب بـــالأخص، بعـــد إبـــداء بعـــض الملاحظـــات حول كاليغرامات Calligrammes أبولينـــير وفـــن الخـــط، علـــى البعدين الدلالي والتداولـــي، حيث سنقتفي فيه الطريقة التي استخدمناها في تحليل

لوحة الجوكاندا. والقسم الثاني سينصب على البعد النظمي، وسيطرح مشكلة العلاقة بين هذا البعد والتحليل التركيبي، والقسم الثالث سيستخلص النتائج النظرية التي يمكن أن تكون للحل المقترح على التحليل اللساني[2].

علامة

خضعت إلى سيد علامة الخريف
فبدءاً أنا أحب الفواكه والورود
أتأسف عن كل قبلة منحتها
هكذا تقول الجوزة المنفوضة للريح عن آلامها

يا خريفي الأبدي آه يا فصلي العقلي
إن أيادي عاشقات العام تغطي أرضك
وأنا تتبعني زوجة هي ظلي المحتوم
والحمامات تبدأ طيرانها الأخير هذا المساء

I ـ البعدان الدلالي والتداولي :

تتشكل قصيدة أبولينير هذه من علامات عرفية منتمية للغة الفرنسية مكتوبة بحروف لاتينية. وقد حاول أبولينير في

كاليغرامات، كما يظهر ذلك من خلال نصه المعنون ب "الحمامات المطعونــة ومنفث الماء" La colombe poignardée et lejet d'eau، أن يكسر خطية العلامات العرفية بإعطائها شكل العلامات الوصــفية. فأصـــداء العلامـــات العرفية في "الحمامات المطعونة ومنفــث المـــاء" هي علامات فردية لحمامة طائرة فوق منفث ماء حـــوض. والفونـــيمات عكـــس الحروف Graphémes هي قابلة للتعبـــير الوصـــفي بسبب جوهرتها، لكن بشكل غير مباشر. وفي الكالـــيغرامات يستفيد أبولينير كثيراً من تركيب العلامات. فبعض الحروف الرمزية Idéographiques الصينية هي في نفس الوقت علامـــات وصـــفية أيقونـــية وعلامات عرفية رمزية، لكنها خفية ومـــتطورة بشـــكل مـــا. فقد حولت اللغة العلامات الوصفية إلى علامات عرفية، غير أن بنية العلامات الوصفية الشكلية لمجموعة من العلامات في الكاليغرمات تعبر عن البنية التصورية لعلاماتها العرفـــية، فالبنيتان معاً بنيتان سياقية وتزامنية. وفن الخط العربي الـــذي نحـــاول تقريـــبه مـــن فـــن خط الكاليغرمات، يختلف عن الكالـــيغرامات في كونه لا علاقة فيه بين البنية التصورية والبنية الشكلية. فباسم الله مثلاً التي يفتح بها القرآن والتي يمكن ترجمتها بـــــ "Au nom du Dieu"، يمكـــن أن تـــتخذ شـــكل الأرابيسك L'arabesque كما يمكن أن تتخذ شكل الطائر[3]، والصورة التي تشـــكلها الحروف ليست أيقونة لرموز لغوية (ولا يمكن أن تكون كذلـــك، لا في هذه الحالة ولا في الحالات الأخرى)، ولكنها أيقونة

لرموز أخرى غير معبر عنها. إن فن الخط العربي هو فن جمالي خالص، إنه يقول النص، لكنه لا يعبر عنه أيقونياً.

سنتناول في البدء هذه القصيدة بوصفها موضوعاً مباشراً، وسنتطرق لها انطلاقاً من إمكانياتنا التأويلية وحدها متجاهلين أنها لأبولينير وأن لها موضوعاً خارجاً عنها. فالبنسبة للمؤول المباشر فهي الموضوع، والموضوع الوحيد، والمؤول المباشر على الأقل، وهذا للتذكير، ليس له ما يقوله عنها، فهي "لذة نص" باستعارتنا للتعبير الموفق لرولان بارط.

وفي هذه الحالة، فالسيميوطيقا بوصفها النسق البدهي للقراءة تمكننا من تحليل البنية الشكلية للموضوع المباشر، بمساعدة النحو والمنطق.. إن لفظة علامة التي هي عنوان القصيدة اسم عام nom commun تم التلفظ به خارج الجملة. فهي علامة عرفية لكونها تنتمي إلى نسق العلامات اللغوية، وهي علامة قرينية لكونها تحيل على موضوع، لكنها وهي خارج أي سياق لا تقول أي شيء: إنها قليلية (1.3،2.2،3.1).

ونستطيع بالتسمية البسيطة للعلامات اللغوية في استقلال عن وظائفها في القصيدة أن نبرز بنيتها الشكلية، فالتحليل السيميوطيقي يعطينا قيمة العلامات، والتحليل المنطقي يعطينا توزيعها الذي نشير إليه بواسطة الخطوط الأفقية الفاصلة بين الفواعل ومحمولاتها بمعناها البيرسي، أو إذا شئنا بين المركبات الرسمية والمركبات الفعلية. أما الروابط Les copules فسيتم إدماجها

دائمـــاً مع المحمولات، وستوضع تمفصلات Les articulations الجملة بين قوسين:

(1) 2.2/ 3.2، 2.2، 2.2، 2.2، 2.2، 2.2، 2.2

(2) (2.2)، 2.2/ 3.2، 2.2، 3.2، 2.2/ 3.2، 2.2، 3.2

(3) 2.2/ 3.2، 2.2، 2.2، 3.2، (2.2)، 3.2/2.2

(4) (2.2)، 2.2، 3.2، 1.2/ 3.2، 2.2، 3.2، 2.2، 3.2

(5) 2.2، 2.2، 1.2، 2.2، 2.2، 3.2، 1.2

(6) 2.2، 3.2، 2.2، 3.2، 2.2، 3.2/ 3.2، 2.2، 3.2

(7) 2.2، 3.2/ 2.2، 3.2، 2.2/ 2.2، 3.2، 1.2

(8) 2.2، 3.2/ 2.2، 3.2، 2.2، 1.2، 3.2

على أنه ينبغي أن نسجل أن علامات التمفصل Articulation تعتـــبر قرائـــن (2.2). وفـــي الجملتين (2) و(7) لا يوجد داخل القوسـين أي شيء، ذلك أن النص لا يتوفر على علامات الوقف، ولو أنه كان يتوفر على هذه العلامات لوجدنا داخل القوسين فاصلة تكون قرينة.

أمـــا الفواعل في الجمل فهي على التوالي قرينة في الجملة (1) وقرينـــة مرتين في (2)، وقرينة مرتين في (3)، وأيقونة في (4) وأيقونـــة فـــي (6) وقرينة في (7) وأيقونة في (8). ولا يوجد في الـــنص كلــه إلا خمـــس علامـــات أيقونية بسيطة في (4) و(5) (مرتين)، و(7)، و(8).

وسنلاحظ أن كل علامة أيقونية بسيطة تشير إلى وجود بنية عميقة بالمعنى المعروف عند تشومسكي تحت البنية السطحية للجملة، ويمكن لنا إذن أن نقوم بتحليل هذه البنى إلى جمل. وهذا ما سيؤدي بنا في بعض الأحيان إلى تحليل مختلف للموضوعات اللغوية. وهكذا فكلمة "المنفوضة" 'gaulé' في جملة " qui est gaulé"[4] التي سنقوم بتحليلها سوف تكون دائماً بوصفها موضوعاً أيقونية، ولكن كلمة 'Le dernier' في جملة " qui est le dernier" (8) المحللة ستظهر كقرينة (2.289).

وإذا رجعنا إلى البنية الشكلية للنص، فإن الفواصل تتوزع إلى مجموعتين تتطابق كل مجموعة مع واحدة مع الرباعيتين. وتكون في الرباعية الأولى قرائن، وفي الرباعية الثانية أيقونات. أما بالنسبة للمحمولات التي هي مركبات فعلية، فهي في غالبيتها أيقونات، إذا قمنا بتوزيع مواضيعها (أو علامات القسم بدون روابطها بتعبير بيرس)، باستثناء موضوعات المحمول في الجملة (1) التي هي قرينة، وستكون ممثلاتها إذن وعلى التوالي علامات وصفية وعلامات فردية.

إن القرائن ترتكز بالأخص على المؤول الدينامي الذي يمكن أن يستدعي اللغوي ورجل المنطق وعالم الدلالة، وحتى المؤرخ، وعالم السلالة، وعالم الاجتماع. (وقبل أن نواصل كلامنا لا بد من فتح قوسين هنا لكي نقول، بدافع ديداكتيكي أننا تظاهرنا بعدم فهمنا للنص، وبشكل آخر، بعدم لجوئنا إلى المؤول النهائي. وكأمر

طبيعـــي فالقـــراءة هي واحدة، أما المؤولات فهي تسير في نفس الخـــط، حـــتى وإن كان المؤول هذا مرة أو ذاك مرة أخرى يأخذ المقدمـــة). إن المؤول الدينامي هو الذي سيقول لنا ما الذي ينبغي أن نفهمـــه مـــن "سـيد علامـــة الخريف". ففن الشعارات L'art heraldique يخـبر أن سـيد الشعارات Le Blason هو الجزء العلوي للريال l'écu، وهو الفضاء الذي ترسم فوقه الصور، لكن علامة الخريف، كما تطبع الإنسان علامته النجمية signe astral التـــي ترأست ولادته. إنه "الفصل saison العقلي للشاعر، فصله "القـــدري" الذي يجعله يحب الفواكه، ويكره الورود، ويتأسف عن القـــبل التي منح. وكان بإمكان المؤول الدينامي أن يقول أكثر من هـــذا لـــو كانت القصيدة الموضوعة للتحليل تتضمن قرائن أكثر، وهكـــذا يمكـــن أن نسأل عن أولاء الفتيات اللائي تمت تسميتهن قصـــداً فـــي هذا الكاليغرام المذكور؟ ومن تراهم يكونون: براك، ماكس، جاكوب، ودوران، ورايناك، وبيللي، ودالبز، وكريمنيتز؟

وكمـــا قلـــنا فـــإن "المـــتكلم" قريـــنة ولكننا لا نعرف باعتباره موضوعاً مباشراً عن أي قرينة هو. فهو إذن علامة فردية قرينية فدليلية (2.1،2.2،1.3). وسيكون على المؤول النهائي أن يبين لنا مـــا الـــذي يعنيه بالنسبة لـــ"المتكلم" أن يكون خاضعاً لسيد علامة الخـــريف، ولا يكـــون هذا ممكناً إلا في السياق التأويلي لحضـارة معيـــنة ترمز فيها الفصول لمختلف أعمار الحياة، إذ يرمز الربيع ووروده إلى الشباب، والخريف وفواكهه للشيخوخة، وإذن فالشاعر

يمكـــن أن يقول لنا إن "فصله العقلي" هو "خريف أبدي" يتمثل لسيد شـــعاره كرمـــز، لكنه لا يستطيع أن يمنح الشتاء من الحلول محل الخـــريف ولا الموت من الحلول محل الحياة ــ فالموت الذي تغار منه زوجته هو الأيقونة القدرية..

"إن أيادي عاشقات العام الماضي تغطي أرضك"

والشتاء رمز الموت، تعتبر الحمامات المغادرة قرينة له:

"والحمامات تبدأ طيرانها الأخير هذا المساء."

ويـــتعلق الأمـــر هـــنا بالمؤول النهائي في شكله الإبعادي ــ الإســـقاطي، ففـــي شكله الاستقرائي كعادة أدبية خاصة، يمكن أن يجعلـــنا المؤول النهائي نفكر في جيرارد دو نيرفال Gerard de Nerval وفي نشدانه son Desichado:

"أنا المظلم ــ الأرمل ــ الذي لا عزاء له.

نجمتي الوحيدة ماتت ــ وعودي المزخرف

يحمل شمس الكآبة السوداء"

وباختصار فهذه القصيدة المشكلة من علامات عرفية (3.1) لها موضـوعان مباشران (أ) قرينة وهي "أنا" و(ب) أيقونات (علامات الخـــريف التي يخضع لها "أنا")، والمؤول المباشر لا يقول لنا أي شـــيء عـــن هـــذه القرينة وهذه الأيقونات: إنه يقوم بتقديمها، فهو فدليلي إذن، أما المؤول الدينامي فيقول لنا ما تعنيه كلمة "سيد". إنه يمـــنح المعـــنى للعلامـــة فقط، وأما المؤول النهائي بوصفه عادة

habitus متخصصـــة فـــلا يقوم إلا بالتأكيد على التأويل الرمزي المألوف للقصيدة داخل سياق الحضارة الغربية، إنه يمنح دلالة ما إلـــى الأيقونـــات التي يجعلها رموزاً، لكنه لا يقول أي شيء عن القرينة: ونستطيع أن نكتب إذن:

الممثل (3.1)
- الموضـــوع م (أ) (2.2) [المؤول م (2.1، 2.2، 1.3)]
- الموضوع م (ب) (1.2) [المؤول م (1.1، 1.2، 1.3)، المؤول ن (1.1، 3.2، 2.3)].

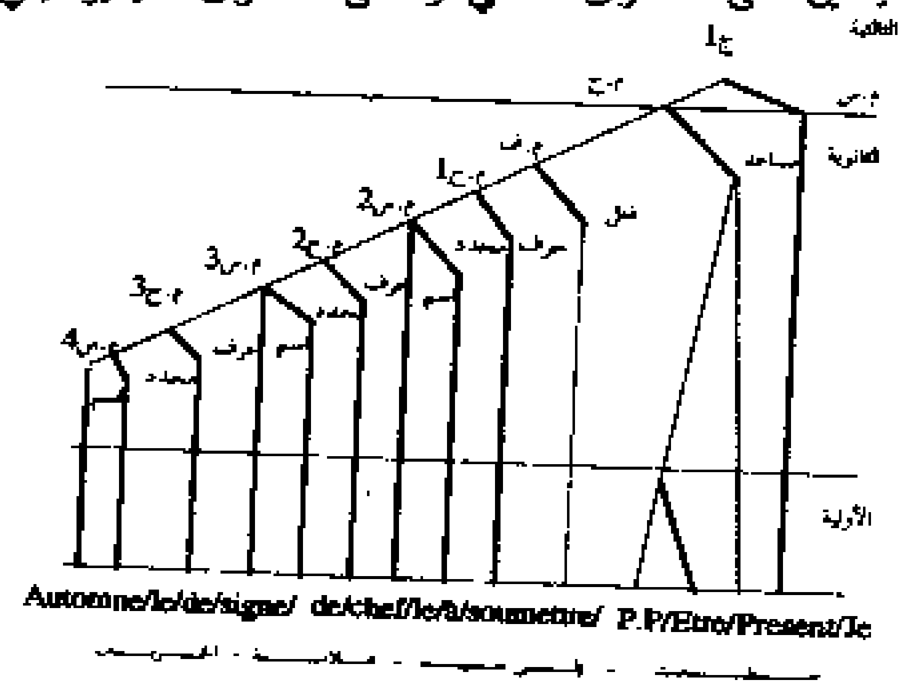
إن القصـــيدة بوصفها موضوعاً ديناميا داخل السياق التاريخي لـــلأدب تمكـــن المـــؤول المباشـــر من إحلال اسم غيوم أبولينير guillaume Apolinaire محل ال "أنا"، أي أن يحل قرينة محل قريـــنة أخرى، وهذه القرينة يعطيها أيضاً المؤول الدينامي الذي ســـيقول لنا إن غيوم أبولينير المولود من أب مجهول يحمل اسم أمه أنجليكا دو كوستروويتسكي Angelica de Kostrowitzky، وأن هاتيـــن الرباعيتين المأخوذتين من قصيدة طويلة نشرت ضمن ديـــوان كحـــولات Alcools الصـــادر سنة 1913 الخ... وحول الموضـــوع نفسه (ب) سيتكلف المؤول النهائي المتخصص بمهمة موضعته ضمن تاريخ الأدب، وسنكتب إذن:

الممثل (1.3)
- الموضوع د (أ) (2.2) [المؤول م د (2.1، 2.2، 2.2)]
- الموضوع د (ب) (1.2) [المؤول د ن (1.1، 3.2، 2.3)]

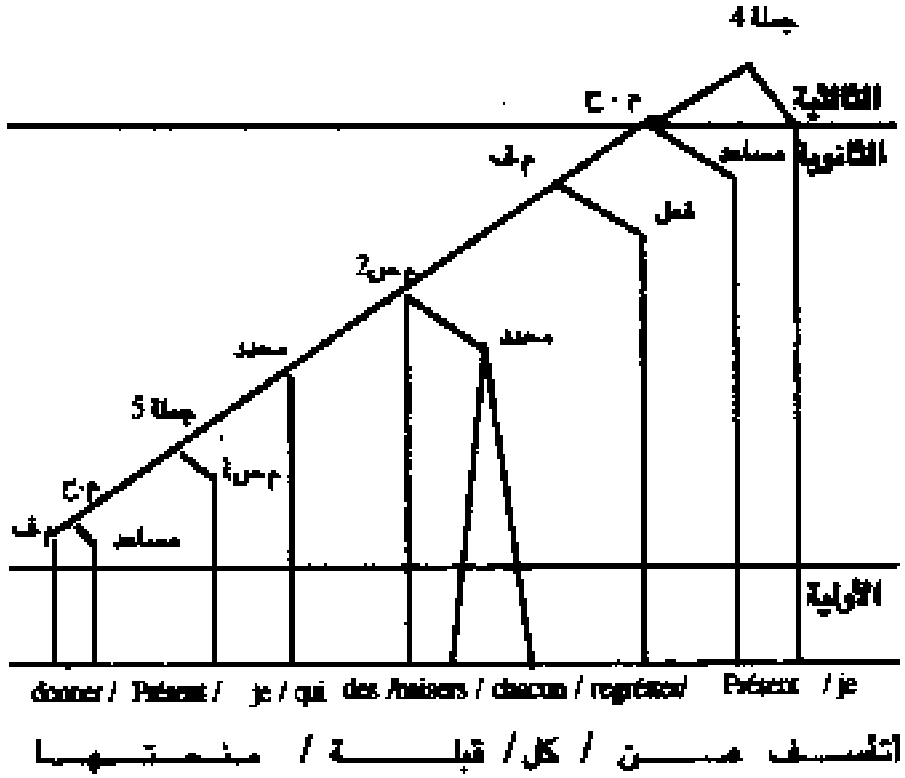
II ـ البعد النظمي والتحليل التركيبي :

ونحن ننتهي من تحليل البعد الدلالي والبعد التداولي في القصيدة يتحتم علينا أن نقوم بوصف القصيدة في بعدها النظمي وذلك باعتبار هذا الأخير موضوعاً، وقد اخترنا تطبيق طريقة وصف شومسكي وتأويل النتائج بمصطلحات سيميوطيقية.

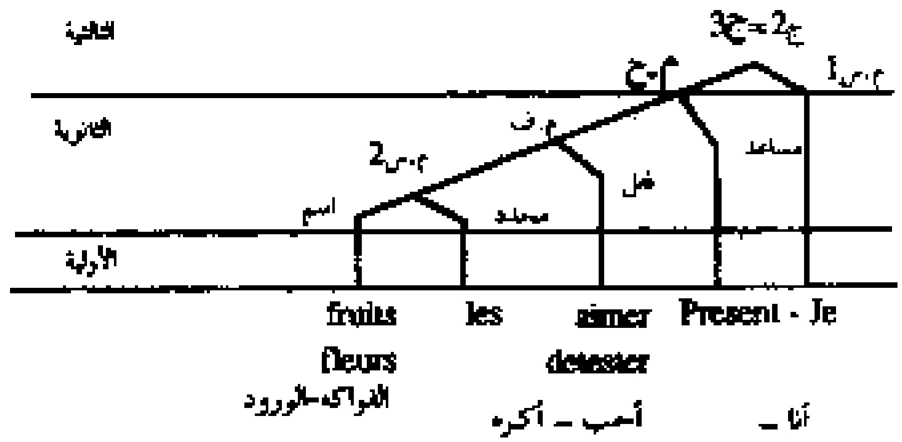
ولم يقم عملنا إلا على الرباعية الأولى من القصيدة، حيث إن عدد جملها الكافية يمكننا من إظهار التكرارات Les récurrences ومن معرفة التماثلات. وفيما يلي التمثيلات Les représentations (أو المؤشرات التركيبية) لهذه الجمل حيث سنلاحظ التشابهات البنائية إن على المستوى الشكلي أو على المستوى السيميوطيقي.



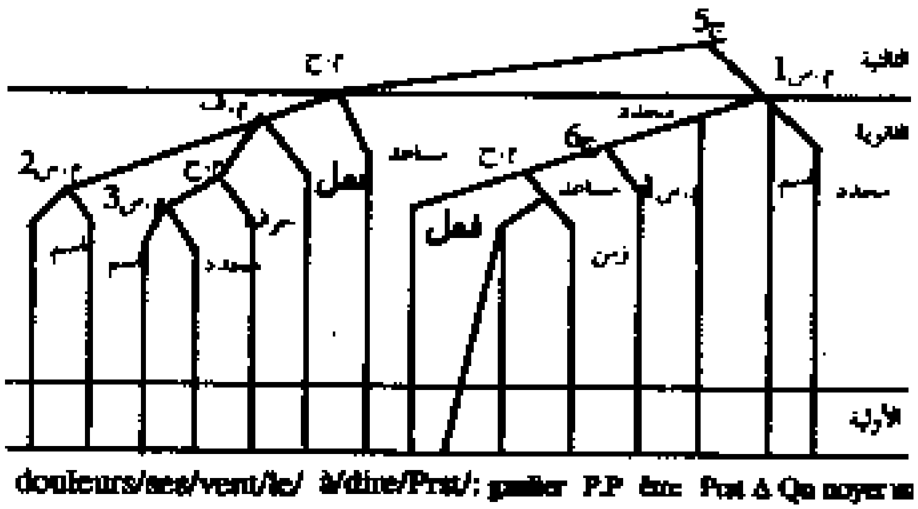
الشكل 16- البيت الشعري الأول(ج1)



الشكل17. البيت الشعري الثاني (ج2 + ج3)



الشكل 18 – البيت الشعري الثالث (ج4+ج5)



هكذا تتحول الحوزة المنفوحة للريح عن آلامها

الشكل 19 – البيت الشعري الرابع (ج6 + ج7)

ملحوظة: تقرأ الأبيات الواردة في الجداول من اليسار إلى اليمين.

إن التحليل التركيبي للجملة الذي لا يشير في أوليته إلا إلى الليكسيمات Lexèmes وإلى المورفيمات morphèmes لا يتيح لنا الوصف الكامل للملفوظات Les énoncés حيث يشمل بعدها النظمي أيضاً الفونيمات phonèmes التي نستخرجها عن طريق القواعد الخاصة بالمكون الفونولوجي لنحو اللغة[4]. إن حل شفرة الملفوظ يجعل القائم بالوصف يميز بين ما هو فونولوجي وما هو تركيبي داخل البعد النظمي للملفوظ المدروس، ولتوضيح ذلك سنحاول حل شفرة البيت الشعري الأول في القصيدة.

إن جملة "خضعت إلى سيد علامة الخريف" تقوم بنقل مجموعة من العلامات اللغوية النظمية، أي: الفونيمات (العلامات الوصفية)،

والمكونـــات Les Formants (مســـتوى الملفوظ)، والمورفيمات (مســـتوى الجملـــة الواقعـــة تحـــت الملفوظ) (العلامات الفردية)، والليكسيمات (العلامات العرفية)..

أ ـ حل الشفرة على المستوى الفونولوجي:

- za syi sumi o sef dy sijna da loton

يـتكون هذا البيت الشعري من 26 علامة وصفية (1.1): 13 مـــن الصـــوامت Consonnes و13 من الصوائت Voyelles. ويمكـــن تفـــريغ الصـــوامت إلـــى 6 صوامت احتكاكية (رخوة) fricatives و3 صـــوامت خيشومية nasals و3 صوامت شديدة occlusives وصـــامت واحـــد مـــائع Liquide، ويمكن تفريغ الصـــوائت إلى 4 صوائت أمامية، و5 صوائت أمامية من الدرجة الثانـــية، و3 صوائت خلفية وصائت واحد خيشومي خلفي، ويمكن لمقايـــيس أخرى نطقية أو سمعية أو توزيعية أن تضاف لكي تكمل هذا الوصف ولكي تقودنا إلى تحليل أسلوبي لهذه الجملة.

ب ـ حل شفرة المكونات:

لا نحـــب هـــنا أن نقـــترح طـــريقة تحليل واحدة وذلك بسبب المشـــاكل التـــي تطرحها ظواهر الخلط l'amalgame والتطابق L'accord والسمات التركيبية ...الخ.

ج ـ حل شفرة الليكسيمات:

يشتمل هذا البيت الشعري على 5 علامات عرفية: أنا، أخضع، سيد، علامة وخريف.

د ـ التحليل التركيبي:

إن هـذا البيـت الشعري يشتمل على 9 مورفيمات (الحاضر، وفعل الكينونة être، واسم المفعول participe passé، والحروف à وle وde وLe)، أي إنـه يشـتمل على 9 علامات فردية، و5 علامـات عرفـية أو ليسكيمات (انظر أعلاه) يمكن معرفة نوعها ووظيفتها من خلال شجرة الشكل11 .

III ـ تحليل: ست أطروحات من أجل تحليل لساني(5)

الأطروحة الأولى:

يمكن للبعد النظمي للعلامات اللسنية أن يتم تأويله بمصطلحات سـيميوطيقية، فـالوحدة اللسنية السيميوطيقية الدنيا على المستوى النظمـي هي الجملة باصطلاح شومسكي، أو هي كل ملفوظ تكون بنيته العميقة هي الجملة.

والوصـف النظمـي الذي تقدمه البنيات في شكل شجرة يبين بوضـوح أن الجملـة واشـتقاقها تنتمي إلى تقابلات ثلاثية دائمة، وبالنتيجة يمكن التكهن بها. فالإحالة ـ مثلاً ـ على رمز صنفي

مـــا (الـــذي هو نفسه تمثيل ميتا ــ لسني لمكون في الجملة أو في البنـية) يشـــير (إلـــى) ويعكـــس أننا نتموضع في ثانوية العلامة التركيبـــية. وبنفس الشكل فإن الإحالة على وظيفة جملية، مركب اسمي أو مركب حملي s.préd، تشير (إلى) وتعكس أننا نتموضع فـــي ثالثية العلامة التركيبية، ويمكن أن نستنتج إذن أن كل علامة فرعية ميتا ــ لغوية تنتمي إلى تقابل ثلاثي محدد وثابت:

ــ **الثالثـــية**: وهـــي مجال الجملة والوظيفة الجملية الضرورية والثابتة:

ج ← م. س + م. حملي

ــ **الـــثانوية**: وهـــي مجال اشتقاق الرموز الصنفية الما قبل ــ نهائية Pré -terminaux في عددها النهائي:

وكأمثلة على ذلك، وبالنسبة للشكل 14:

م. ف ← ف + م. حرفي

م. حرفي ← حرف+م. س

م. س ← التعريف + س+ م حرفي.

س ← س. خاص.

الأولية: وهي مجال التأويل المورفيمي والمعجمي للرموز الما قبل ــ تحويلية Pré -transformationnels:

وكأمثلة على ذلك وبالنسبة للشكل 14:

الزمن ← الحاضر

س. خاص ← سيد، علامة، خريف.

إن ديمومـــة الـــتأويل السيميوطيقي للرموز الميتا ــ لغوية قد قادتـــنا إلى أن نترجم المؤشرات المركبية للأبيات الشعرية الأربعة الســـابقة إلى مؤشر عام يمثل الجملة النواة، وهو مفهوم نحتفظ به لمتطلـــبات هــذا التحليل رغم نقد شومسكي له في مظاهر نظرية التركيب Aspects of the theorie of syntaxe، ص 18.

وإذا نحــن رجعـــنا الآن إلى القالب matrice التأويلي لمفاهيم مارتيني Martinet (ص.51) فإننا سنلاحظ أن أولية نسقه تتشكل مـــن ثـــلاث علامـــات فرعـــية: الفونيمات (العلامات الوصفية) والمورفيمات (العلامات الفردية) والليكسيمات (العلامات العرفية)، بينما لا يتشكل أساس شجرة شومسكي (وهو أولية الجملة) إلا من علامتيـــن فرعيتيـــن همـــا المورفـــيمات (العلامـــات الفـــردية) والليكسيمات (العلامات العرفية).

ويظهـــر إذن ومـــن خـــلال النظرة الأولى أن النسقين معاً لا يخـــتلفان إلا بحضور أو غياب الفونيم من أولية العلامة التركيبية، وفـــي الحقـــيقة، فإن اختلافاً ثانياً سيظهر، ويتعلق بالمورفيم الذي يعزى له معنى مختلف في النظريتين.

ولكـــي نفهم ما يميز جذرياً التحويليين عن البنيويين، ينبغي أن نحتفظ في ذهننا بأن البنية السطحية للجملة بالمعنى الذي يعطيه لها شومســـكي، ليســـت هي الجملة (بالمعنى العام للمصطلح) كما يتم إنـــتاجها، أي ليســـت هـــي الملفوظ، ويفسر هذا الأمر لماذا يغيب المورفـــيم عن أولية الوصف التركيبي ذي النوع الشومسكي، ولا

يظهـــر إلا بعد تطبيق قواعد تحويل للمكون الفونولوجي. فغموض المـــنطق يأتـــي مـــن التمـــيز غير الصحيح بين "البعد النظمي" و"التحلـــيل التركيبي" اللذين نستوعبهما بالتقريب[6]. ونقترح وصفاً للبعد النظمي في البيت الشعري الأول لقصيدة أبولينير وهو مغاير لتحليله التركيبي، ص 91.

الأطروحة الثانية :

إن الطـــريقة الســـيميوطيقية يمكـــن أن تفيدنا في المقارنة بين النظريات النحوية المختلفة من حيث فعاليتها ووضوحها.

والطـــريقة السيميوطيقية يمكن أن تستعمل كوسيلة تقويم القدرة الخاصـــة بمخـــتلف الـــنظريات اللسنية (سواء أكانت متكاملة، أو مخـــتلفة أو حـــتى متناقضـــة)[7]. ويمكـــن أن تفـــيد فـــي ترتيب موضـــوعاتها. وستقتصـــر دراســـتنا علـــى مقارنة بعض طرق اللسانيات البنيوية والنحو التحويلي.

أ ـــ العنصر الأول في المقارنة: المورفيم

إذا قـــررنا أن نســـمي "مورفـــيماً" كـــل ما ليس فونيماً (1.1) أوليكســـيماً (3.1) وذلـــك بالاعتماد على شبكة تأويل المفاهيم عند مارتينـــي، فلن نستطيع فهم أي شيء عن طبيعة "do" الإنجليزية، وهو المثال المعروف (انظر المدخل إلى النحو التوليدي. ن.رووي

،Ruwet,N: introduction a la grammaire générative ص 207) لنتفحص الجمل التالية:

John doesn't like soccer (1)

Does Mary like chocolate? (2)

Tom did do home work (3)

وكما نلاحظ فكلمة "do" ليست مورفيماً خاصاً بالنفي، ولا مورفيماً خاصاً بالاستفهام، و لا مورفيماً خاصاً بالإطباق L'emphase، ذلك أنها تساعد على تشكيل الملفوظات التي تنتمي لهذه الصيغ الثلاث الإثباتية assertives. وثمة حجة أخرى وهي أن كلمة "do" لا تظهر في الملفوظات الاستفهامية أو المنفية أو الإطباقية التي تشتمل على فعل مساعد auxiliaire صيغي (shall, will (can,May,Must أو على واحد من المظهرين اللذين تتوفر عليهما اللغة الإنجليزية (الماضي accompli والاتباعي progressif).

ونتيجة لذلك فإننا نفضل أن نلجأ إلى التعريف الذي يعطيه شومسكي للمورفيم: "المورفيمات هي العناصر المكونة للسلسلات المركبية النهائية التي تُعطى من خلال القواعد المركبية وذلك قبل تطبيق التحويلات" (والتأكيد منا)، وهو تعريف يستبعد كلمة "do" ويضمها مع "المكونات" وهي: "العناصر الدنيا المشكلة للسلسلات التي تمثل الجمل بعد تطبيق التحويلات" (والتأكيد منا) (رووي Ruwet، ص 207). "والكثير من هذه المكونات، وليس كلها،

تطابق المورفيمات . فهي مكونات تترجم إذن في مقاطع إشارات صوتية" (رووي، نفسه).

إن تسمية كلمة "do" مورفيماً هي خلقُ التباس بين موضوعين تركيبيين هما: الملفوظ والجملة، الأول يتعلق بنظرية الإنجاز La performance، والثانية تتعلق بنظرية القدرة La Compétence. فالملفوظ هو المنتوج الملموس في التواصل اللغوي، والجملة تتضمنه وتقبل أية ملاحظة مباشرة. ولا يمكن لأي نظرية من النظريتين أن تحل محل الأخرى، إلا أن الفهم الصحيح لمعطيات القدرة يخضع لمعرفة معطيات الإنجاز، وبدون ذلك سيجد النحوي نفسه أمام استحالة تفسير بعض مظاهر القدرة، كما في حالة كلمة "do" مثلاً.

إن استعمال الطريقة السيميوطيقية يمكن أن يساعد اللغوي على تجنب عقبة التلفيقية، وفي حال المورفيم، نعترف بتفوق التوليديين Les générativistes الذين استطاعوا أن يميزوا بين العناصر الما قبل ــ والمابعد ــ تحويلية، وأن يشحذوا لغة واصفة واضحة وملائمة وعامة في نفس الوقت.

ب ــ العنصر التالي في المقارنة: وصف الملفوظات

إن السيميوطيقي الذي يقوم بتحليل مقاطع ذات طبيعة لغوية يجب أن يدرك بوضوح مراحل الوصف التركيبي، وذلك في إطار التحليل الكلي للبعد النظمي للعلامة المعينة.

وبالتحديد، فلا يظهر لنا مهماً وصفُ كلمات الملفوظ في أوليتها أو في ثانويتها منفصلة عن الدور الذي تلعبه هذه الأخيرة (التي هي رموز صنفية) داخل الجملة، أو، وهو الأسوأ، بدون الإشارة إلى دورها. وبهذا الصدد يمكن أن نصف استبصار شومسكي الذي قاده إلى إدخال مفهوم الهيمنة إلى مؤشراته المركبية أو إلى اشتقاقاته بأنه "استبصار سيميوطيقي"، حيث تهيمن ج (2.3) على م.س (1.3)، ويهيمن المركب الحملي (1.3) على الفعل المساعد Aux (2.2).. الخ، وهو ما يعني أن كل إحالة على علامة فرعية مبنا ـ لغوية في الأولية أو الثانوية أو حتى في علامتين فرعيتين في الثالثية، تحيل بالضرورة على علامات فرعية أكبر وعلى علامة تركيبية دنيا هي الجملة (ج).

وإذا كنا فضلاً عن ذلك، نعتبر أن كل الكلمات تنتمي تركيبياً إلى قسمين اثنين (المورفيم النحوي (2.1) واللليكسيم أو المورفيم المعجمي (3.1))، فإن وصفها السيميوطيقي وبهذه المصطلحات لن يسهل فهم اشتغال الجملة (ج)، وسيكون عاجزاً عن إعطاء تفسير مقنع للخطأ النحوي L'agrammaticalité في الجملة التالية:

my brother killed herself[(8)]* (1)

2.1 1.2 3.1 3.1 2.1

وهي جملة سيكون وصفها السيميوطيقي مطابقاً في جميع النقط للجملة النحوية التالية:

my brother killed himself (2)

21. 1.2 31. 31. 21.

وبنفس الطريقة، فإذا وصفنا جملة في مستوى ثان[9]، فلن يكون بمستطاعنا إثارة أشياء كبيرة حول البنية التركيبية للجملة التالية:

The little girl dropped her doll on the floor (3)

2.3 2.2 22. 2.3 2.2 2.3 2.3 2.1 2.2

وباقتصارنا على هذا المستوى، فلن نقدم أي معلومات حول العلاقات البنائية للمكونات، فسنصمت على المعلومة المتضمنة في اللاصقة –ed [10]، كما أننا لن نقوم بتمييز طبيعة المفاهيم القسمية Catégoriels [11]. ولأجل تجاوز ذلك يجب بالضرورة أن نكمل الوصف التركيبي:

ـ إما بالانطلاق من المستوى السطحي، أي من ممثل الجملة الذي يتألف من مورفيمات نحوية ومعجمية،

ـ أو بالانطلاق من المستوى العميق، أي من مؤول الجملة باعتباره وحدة تركيبية سيميوطيقية.

ولأن الجملة (ج) ← المركب الاسمي (م. س) + المركب الحملي (م.ح) أو 2.3 ← 1.3 1.3

فالثانوية والأولية هما متضمنتان بشكل ضمني، فـ2 متضمنة في 3 و1 في 2 ويمكن أن يعترض علينا بأن استعمال الخط المائل الاتفاقي بعد "The little girl"

The little girl/ dropped her doll on the floor (3)

يكفي للإشارة إلى الوظيفة الخاصة بكل مركب (المركب الاسمي والمركب الحملي)، غير أن هذه التقنية تطرح مشاكل، وبالأخص عندما يظهر فاعل الجملة العميق في الحمل Le prédicat:

It /was a marvelous Sunday morning (4)

ونستنتج من كل هذا أن الوصف التحليلي الخالص للملفوظ لا يثير العلاقات العميقة القائمة فيما بين الموضوعات اللغوية التي يرتكز عليها التواصل.

الأطروحة الثالثة :

إن الطريقة السيميوطيقية تساعدنا في ترتيب مختلف العلامات الفرعية لكل الوحدات الدنيا المكونة لممثل الملفوظ: الفونيم والمكون والليكسيم.

أ ــ الفونيم

1.1 ــ "الأصوات": النفس، الصوت

2.1 ــ تسجيل الصوت (الصدى): توسان مرسمة الطيف le spectographe، الذبذبات المنتشرة في الهواء، التدوين ..

3.1 ــ نسق التقنين.

1.2 ــ التدوين الفونولوجي أو الصوتي، الطيف، الذبذبات.

2.2 ــ الـستحققات الفــردية، الاجتماعــية، الإقليمية، الوطنية، المرضية..

3.2 ــ الــنطق المســتعمل بتبصر. ويمكن للفونيم أن يوصف باعتــباره أولاً وباعتــباره ثانــياً، أمــا ثانويته فمرتبطة بالمؤول الدينامي، فرقم 1 يصف لنا الفونيم الخالص، ورقم 2 يصفه ضمن واقع، و هذا ما يقوم به في2.2 و3.2 على الأقل..

ب ــ المكون:

لا يمكــنه أن يقبل أي تأويل إلا في بعده الدلالي، أي في بعده الأول، فهو بالدرجة الأولى قريني..

ج ــ الليكسيم:

1.3 ــ الكلمة في جميع سياقاتها الممكنة.

2.3 ــ الكلمة في سياق محدد.

3.3 ــ الكلمة المستعملة وفق قواعد وفي سياق محدد.

ولا نتعجــب إذا كنا لا نجد الليكسيم إلا في الثالثية أو في البعد التداولي وذلك بوصفه عمومية.

الأطروحة الرابعة:

يمكــن للطــريقة السميوطيقية أن تساعد في ترتيب الخطابات العلمية حول اللغة.

أ ــ الخطاب حول الفونيم:

1.3ــ الصــــوتيات الوظيفــية أو التوزيعية: وتهتم بالأصوات المنطوقة Les allophones في التوزيع التكميلي: مثال في اللغة الانجليزية[L,L,t,t] أو أيضاً [m,m].

2.3 ــ الصــــوتيات (الوصـــفية): اللهجات الإقليمية، والفردية، والاجتماعية.

3.3 ــ الفونولوجــيا والصـــوتيات العامة. الأولى لأنها تصف وترتـــب الوحدات المعنوية في اللغة الطبيعية، والثانية لأنها تصف وترتب مقاطع كل اللغات.

ب ــ الخطاب حول المكون:

1.3 اللســــانيات التوزيعـــية التي تهتم باللغات الخاصة ويمكن للفونـــيم أن يوصـــف باعتـــباره أولاً وباعتـــباره ثانياً، أما ثانويته فمرتـــبطة بـــالمؤول الدينامي، فرقم 1 يصف لنا الفونيم الخالص، ورقـــم 2 يصفه ضمن واقع، وهذا ما يقوم به في2.2 و3.2 على الأقل..

ب ــ المكون:

لا يمكـــنه أن يقـــبل أي تأويل إلا في بعده الأول، فهو بالدرجة الأولى قريني..

ج ــ الليكسيم:

1.3 ــ الكلمة في جميع سياقاتها الممكنة.

2.3 ــ الكلمة في سياق محدد.

3.3 ــ الكلمة المستعملة وفق قواعد وفي سياق محدد.

ولا نتعجب إذا كنا لا نجد الليكسيم إلا في الثالثة أو في البعد التداولي وذلك بوصفه عمومية.

الأطروحة الرابعة:

يمكن للطريقة السيميوطيقية أن تساعد في ترتيب الخطابات العلمية حول اللغة.

أ ــ الخطاب حول الفونيم:

1.3 ــ الصوتيات الوظيفية أو التوزيعية: وتهتم بالأصوات المنطوقة Les allophones في التوزيع التكميلي: مثال في اللغة الإنجليزية L,L,t,t وأيضاً [m,m].

2.3 ــ الصوتيات (الوظيفية): اللهجات الإقليمية، والفردية، والاجتماعية.

الملاحظة على المظهر الطبيعي للملفوظات مع إقصاء المعنى، ونحيل هنا على أعمال هاريس Harris وهوكيت Hockett بالخصوص.

اللسانيات البنيوية عندما يختزل الوصف فيها إلى مجرد ترتيب للعناصر ولأقسام العناصر ولمقاطع العناصر.

2.3 اللسانيات البنيوية حين تهتم بالمعنى بالقدر الذي تهتم فيه بالشكل، وتضاف إليها اللسانيات الوظيفية.

3.3 المعجمــية La glossématique الدانماركية وذلك حين تطـــرح الوظــيفة الســيميوطيقية بيـــن مقاديـــر التعبير ومقادير المضـمون.

ج ــ الخطاب حول المورفيم:

3.3 ــ الــنحو التوليدي التحويلي عندما يكون التركيب وسيطاً بين المكون الفونولوجي والمكون الدلالي: ويصبح المورفيم مؤولاً للعلاقات بين الدال (الممثل) والمدلول (الموضوع)، أي:

مم ـــــــ مؤ ← مو

د ــ الخطاب حول الليكسيم:

1.3ــ المعاجم ذات اللغة الواحدة.

2.3 ــ المعـــاجم المـــزدوجة اللغـــة، ومؤلفـــات الأســـلوبية والمعجمية.

3.3 ــ مؤلفات البلاغة.

الأطروحة الخامسة:

إن التحلـــيل التركيبـــي ــ السيميوطيقي للبعد النظمي للعلامة اللغوية يوضح الطابع السوسيو ــ لغوي لثانوية القواعد التركيبية. فـــالقواعد الــنحوية التي تشكل ثانوية الجملة هي حاجز واقع بين الإنجـــاز عـــند المـــتكلم (قدرته على صنع الجمل) وبين اختياره للمورفيمات والليكسيمات.

والمشكل المطروح هنا هو مشكل العلاقة بين الوصف التركيبي للجمل المتضمنة في الملفوظات وسيرورة تواصلها، وتشومسكي يرى عبثاً ذلك الافتراض الذي يعتقد أن متكلم لغة ما يتشكل ملفوظه باتباع مراحل المؤشر المركبي أو مراحل الاشتقاق، وباختياره في نهاية المطاف للكلمات المعجمية، وبالتفكير أخيراً في مضمون كلامه، إننا لا نستطيع إلا أن نقبل بهذا، وسنقول إنه من الشروط الأولية للتواصل اللغوي التوفير على هذا "**القصد**" في عقد العلاقة (2.3 ←1.3 1.3) بين موضوعات معروفة لدى المتكلم، وهو قصد يرتكز على مظهر عام ومنسي من مظاهر **الإنجاز** لدى المتكلمين، وهو القدرة على صنع جمل أي جمل منطقية[12]. إن تمظهر هذا القصد يتلو تحديد الصيغة التأكيدية assertive (الإيجاب، النفي[13]، الاستفهام التوكيدي، والاستفهام السالب الخ)، وهي الصيغة التي تعبر عن وجهة نظر المتكلم في علاقته مع جملته، وعن درجة الصحة الممنوحة إياها، وعن درجة نظر المتكلم الخاص منها، وبهذا الشكل فهي تربط بين المظهر اللغوي ومقام التلفظ الذي "يجعل هذا المظهر اللغوي نتاجاً للمقامات التأويلية لعلاقة المتكلم والمستمع" (ج دولودال). إن **توصيل** الرسالة الذي هو عمل تال، يقيم روابط تماثلية ضيقة مع **القدرة**، أي من خلال استعمال اللغة في مقامات محددة، وهذا التوصيل هو مجال العلاقة بين **التشفير** (الذي يقوم به المتكلم). **وحل الشفرة** (الذي يقوم به المستمع). فالتشفير هو

ثالـــث بالضرورة، كما أن النحو الذي يصف إنجاز المتكلم المثالي عـــند شومســكي هو بالنسبة له مؤول. وهذا الإنجاز هو الوسيلة الممكنة التي تتضمن القدرة كما أن حل الشفرة الموجود بالقوة لدى المحاور هو الشرط الضروري في كل تواصل ناجح.

وهكذا سنجد أنفسنا أمام ثلاثيتين تقابليتين متوازيتين:

الأولية	حل الشفرة	الإنجاز
الثانوية	(الموجود بالقوة) التواصل	القدرة
الثالثية	التشفير	النحو

جدول 28 ـــ توصيل الرسالة

الهوامش :

(1) أول تحليل سيميوطيقي بيرسي للنص قامت به إليزابيث والتر Elisabeth Walther ضمن كتاب : / francis Ponge,Kiepenheuer Witsch, cologne,1965.-

(2) القسمان الثاني والثالث كتبتهما جوويل ريطوري Joëlle rethoré

* هي قصيدة أبولينير المشار إليها سابقاً ولم نثبتها هنا لأسباب تقنية. (المترجم).

(3) انظر :

Mohamed Aziza, la calligraphie arabe, Société Tunisienne de Difusion, Tunis, pp.68 et 116

(4) من أجل مناقشة أوسع لأولية التمثيل الفونولوجي لليكسيمات بالمقارنة مع التمثيل الفونولوجي للفونيمات نحيل القارئ على:

Ruwet,N: introduction à la grammaire générative-Plon,1967.p.30

* تمت المحافظة على الجملة كما هي للضرورة. (المترجم).

* تم حذف هذا الشكل لأسباب تقنية.

(5) في موضوع التأويل السيميوطيقي للعلامات والعلامات الفرعية اللغوية نحيل القارئ على المراجع التالية:

Peirce, C.S: collected Papers, 2.287-

Deledalle,G: Pour une analyse s'emiotique, 1974-75,p.24 - (application à Martinet)

Walther,E: Allgemeine Zeichenleher, 1974,pp.99 -100 - (application a Chomsky).

Rethoré, J.: Sémiotique de la syntaxe et de la phonologie,- in Sémiosis 3,pp.5-19,1976 (application' a Chomsky)

(6) يجب التذكير بأن اللغة الإنجليزية لا توجد فيها إلا كلمة للإشارة إلى المفهومين معاً وهي كلمة "تركيبي" "Syntactic"

(7) — إن النقاش الذي سيلي ينبغي أن يُعتبر مجرد توجيه للبحث.

(8) * علامة الخطأ النحوي.

(9) تُعطى القيمة السيميوطيقية لكل رمز صنفي.

(انظر : Peirce, ibid, et Deledalle, ibid)

الصـــفة ADJ: 2.1 — الحـرف Prép والظـرف ADV والروابط Conj واسم العلم: 2.2 الفعل والاسم المشترك 3.2: N.commun .

(10) إن الماضي المبهم "dropped" يعارض الأشكال المظهرية " has dropped" و"is dropping"

(11) أدوات التعريف والتنكير والاسم وهلم جرا.

(12) إن القـــدرة التي تظهر دون شعور لدى المتكلمين تكون ظاهرة منذ السنين الأولى في حياة الطفل.

(13) إن إطلاق صفتي "الإيجاب" أو "النفي" على قول يعني أنه إثباتي.

الخاتمة

ونحـــن ننهـــي تلخيصنا لنظرية وإنجاز العلامة البيرسية، سنعمل على محاولة تبرير ما قمنا به في الوضع الحالي لنظرية العلامات في فرنسا.

والكلام عن خاتمة لا يعني الاعتقاد أننا استنفذنا النظرية البيرسية للعلامـــات، فلـــم نقم إلا باقتراح تنظيم مبني على قراءة لا يمكن أن تكون شاملة[1] بالرغم من أنها أمينة. فنموذجنا هو نموذج كامل بشكل مضـــاعف إذن، مـــن حيث أننا ونحن في استقلال عن النص نطور الـــنموذج باستدعاء تقنيات نمذجة مختلفة عن تلك التي كان يمكن أن يتوفر عليها بيرس[2]، ومن حيث أننا ونحن نهدف إلى الشمول ندمج فـــي النموذج أكبر عدد من أقسام العلامات، وذلك كما يقترح بيرس

فـــي آخـــر حـــياته، وعندما نقل عدد الثلاثيات التقابلية من ثلاث إلى عشر يمكن لتحليل أكثر دقة أن يعدده[3].

وبالنسبة للتطبيقات التي قمنا بها فهي لا تشكل إلا إضاءات لطرق البحـــث، وليســـت عروضاً لنتائج يمكن اعتبارها نهائية. فهدفنا كان ديداكتيكـــياً بالأساس. وهو الأمر الذي جعلنا بدون شك نلح أكثر مما ينبغـــي علـــى الاســـتعمال التصـــنيفي للمنهج على حساب استعماله الاستكشافي.

أضـــف إلـــى ذلـــك أن التصنيف كما نفهمه هو مرحلة ضرورية بالـــرغم من أنه لا يكفي في البحث السيميوطيقي. فنظرية بيرس التي هي نظرية مفتوحة يمكن بالتأكيد لباحثين أكثر كفاءة منا في مجالات مخـــتلفة ـــ حيث طبقناها وفي مجالات أخرى لم نتعرض لها ـــ أن يستخلصـــوا نـــتائج أفضل دون أن يضحوا بأصالة "علمهم" الخاص. وفي ذلك ستجد السيميوطيقيا فائدتها وحدها: فموضوع التحليل أصبح يـــتقدم في وقتنا الراهن أكثر فأكثر على المنهج وأصبح يمنحه النبرة، وهناك عدد كبير من الطرق السيميوطيقية يماثل عدد الموضوعات ـــ العلامـــات: السينما والمسرح والبلاغة والرسم والعمارة والعادات والشـــفرات، والأســـاطير والإيديولوجيات وهلم جرا. ومن الممكن أن يكون الوقت قد حان، وبيرس يعطينا الوسيلة لذلك، لقلب علاقة منهج ـــ موضـــوع، دون أن يـــتأثر الموضـــوع بتبعيته للمنهج. بل وعلى العكـــس مـــن ذلك فإن السيميوطيقا البيرسية ترتكز على الإنتاجات، ولـــيس على التأويلات الخارجة عن هذه الإنتاجات. فكيفما كانت هذه الـــتأويلات سوســـيولوجية أو نفســـية أو تحليلنفسية، أو تاريخية، أو

سياســـية أو فلسفية، فهي بدورها بالنسبة لبيرس إنتاجات قابلة للتحليل ســـيميوطيقياً. أوليـــس المؤول عنصراً مكوناً للعلامة وعلامة في حد ذاته؟

ســـنبرر ما قمنا به بطريقتين: في البداية بملاحظتنا أننا نستعمل باســـتمرار فـــي فرنســـا الـــيوم مفاهـــيم مستعارة من نظرية بيرس للعلامـــات، وثانـــياً بإثبات أن السيميوطيقا البيرسية تستجيب للأسئلة الأساسية التي بدأ يطرحها السيميوطيقيون الفرنسيون بسبب تطبيقاتهم السيميوطيقية.

1 ــ إن المســـتعيرين الأكثر شهرة لمصطلحية بيرس في فرنسا همـــا رولان بـــارط ورمـــان ياكوبسون، الأول من خلال وصفه لـــ "عناصـــر الســـيميولوجيا" عـــام 1964 [4] والثانـــي في نفس الفترة المعاصـــرة مـــن خلال "مقالات اللسانيات العامة" (1963)[5]، ومن خـــلال "بحثـــنا عـــن جوهـــر اللغة" (1966)[6]. أما المفاهيم الأكثر اســـتعمالاً فهـــي مفاهيم الأيقونة، والقرينة والرمز منسوبة لبيرس أو دون نسبتها إليه، على الرغم من أن بارط لاحظ بحق في عناصره أن مصطلح "الأيقونة" هو مصطلح خاص (....) بمعجم بيرس" (ص 104)[7]. فهـــذه المفاهـــيم هي في الغالب العلامات الفرعية البيرسية الوحيدة المستعملة، في حين أن سيميوطيقا بيرس تشمل تسع علامات فرعـــية. واختيارها والحالة هذه يفسر بكون الأيقونة والقرينة والرمز هـــي علامـــات موضـــوع وهي بالتالي علامات تسمية أو علامات مرجع، وأنها العلامات الأولى التي تم اكتشافها منذ أن ميز الرواقيون الأيقونـــة والقرينة (علامة الإنذار) والرمز (علامة التعيين)[8]. وهكذا

فالســيميولوجي يشعر إذن وهو في بلاد المعرفة وهو أكثر راحة من بيرس.

ومــن بين العلامات الفرعية البيرسية الست الأخرى هناك ثلاث علامــات خاصة بالممثل وثلاث علامات خاصة بالمؤول. وإذا كان اســتعمالها قلــيلاً فالأدب السيميولوجي لا يجهل أن العلامة البيرسية هــي الثلاثية بين الممثل والموضوع والمؤول. ونحن نجد عروضنا تفصــيلية، ومناقشات وتطبيقات هامة عند ياكبسون ودريدا وجرنجر وكريستيفا. وجميعهم يركزون من وجهة النظر الشكلية التي سميناها مــع شــارل موريس نظمية، على فكرة أن المؤول هو العلامة التي تحيل ممثلاً على موضوعه الخاص (الموضوع الخاص بالممثل)ءلكنه باعتباره علامة في حد ذاته، فإن المؤول هو ممثل يحيله مؤول آخر على موضوعه، وهكذا دواليك إلى ما لانهاية.

إن الممثل كما يكتب دريدا "لا يشتغل إلا بإشارة مؤول يصير هو بــدوره علامــة و هكــذا إلى ما لا نهاية"(9). ويبدو أن هذا المظهر الثلاثــي للعلامــة قد سحر السيميولوجيين الفرنسيين، غير أننا سنبتر نظــرية بــيرس إذا توقفــنا عند هذا التعريف، ذلك أن السيميوز la sémiose لــيس شــكلياً فقط، فهو يشتغل في وضع تقوم فيه حدود المكانية والزمانية، لنقلْ الحدود السوسيو ــ تاريخية، بتجميد المؤول وإعطائــه مصــطلحاً. وهكــذا يتوقف المؤول عن أن يكون علامة، ويصبح مؤقتاً نهائياً.

وكيفما كان تعريفنا له شكلياً أو تداولياً، فالسيميوز البيرسي يتميز بحركــية علاماتــه الفرعــية. وهــو الأمــر الــذي لم يفهمه دائماً

السيميوطيقيون أنفسهم[10]. فالعلامة الفرعية، كالرمز مثلاً، هي قرينة وأيقونـــة، مثلها مثل المؤول الذي لا يكون بدوره علامة إلا إذا كان ممـــثلاً يحـيله مؤول آخر على موضوعه. "إن اشتغال بيرس، كما يكتـــب ياكوبســـون، بإبـــراز الدور الذي يلعبه بدرجات مختلفة تعدد الوظـــائف، في كل صنف من الأصناف الثلاثة للعلامة، وإن الاهتمام الدقـــيق بـــالأخص الـــذي منحه للمكونات القرينية والأيقونية للرمز اللغويـــة، مرتـــبطان بقوة بأطروحتها حول "أن العلامة ـــ العلامات الأكـــثر كمـــالاً" هـــي تلك التي يندمج فيها الطابع الأيقوني والطابع الرمـــزي "بنســـب متساوية ممكنة"[11]. ويكتب دريدا من جهته: "إن خصوصـــية الممثل هي أن يكون نفسه والآخر، وهي أن ينتج كبنية تحـــيل، وأن يـــتحول عن نفسه. إن خصوصيته ألا يكون خاصاً، أي قريباً بشكل مطلق من نفسه. والحال أن الممثل (بفتح الثاء) هو ممثل دائمـــاً"[12]. وللإشارة فتودوروف قد قبل الآن فكرة كون الرمز حالة خاصة من العلامة[13].

إن السياق الشكلي، التطبيقي أو التداولي هو الذي يمكّن من معرفة العلامات الفردية التي تتشكل من أي علامة معينة. فمن حيث الشكل، وكمـــا يكتـــب بول ريكور، فالسيميولوجي هو "كل ما يتعلق بعلاقات التبعية الداخلية بين العلامات". وفي نوع من السيميولوجيا "فالمظاهر الجوهـــرية تختزل في مظاهر شكلية: فتصبح اللغة وهي تتخلى عن مضامينها الثابتة، مجرد نسق من العلامات تحددها اختلافاتها وحدها، وفـــي نســـق مثل هذا فلا توجد دلالة ـــ إذا كنا نعني بهذا المضمون الخـــاص لفكرة منظور إليها في حد ذاتها ـــ بل توجد قيم، أي توجد

مقادير نسبية، سلبية ومتقابلة[14]. وهذا لا ينطبق على سيميوطيقا بيرس إلا على مستوى بعد الممثل. أما البعدان الآخران في العلامة، بعد الموضوع وبعد المؤول، فيحتملان تبعات مضمون الكلام (الإنجاز) ومضمون قواعد الكلام (التداولية)، كما يقوم بذلك الهرمنوطيقي ريكور ـ ومن الناحية التداولية والإنجازية فداخل سياق القول الخاص تولد الاستعارة الحية، أي انبثاق الدلالة الجديدة التي نستطيع تمييزها دون عناء عن الاستعارة الميتة، أي عن المستنسخ الكلامي المفتقر للمعنى في أغلب الأحيان[15].

2 ـ كان استعمال المصطلحية البيرسية يكفي وحده لتبرير الإشارة إلى استعمال بيرس نفسه لهذه المصطلحية، وذلك وفق مبادئ أخلاقيته المصطلحية. ولكن ربما ينبغي البحث في مكان آخر عن تبرير استنجادنا بالسيميوطيقا البيرسية، وذلك من حيث أنها تقدم حلولاً للأسئلة التي طرحتها السيميولوجيا السوسيرية وستطرحها أيضاً على منظري ومنجزي العلامة.

السيميوطيقا واللسانيات.

إن السؤال الأول المطروح على النقاش هو معرفة ما إذا كانت اللسانيات مبنية على السيميولوجيا أو العكس. وقد تبنى بارط في البداية مع سوسير في أساطير فكرة أن اللسانيات تتفرع عن السيميولوجيا، ثم غيّر رأيه في "عناصر السيميولوجيا" حيث تبنى الموقف المعكوس: فاللسانيات هي نموذج ـ مدخل: نقطة الانطلاق ومنبع ـ لكل سيميولوجيا. وكانت لهذا التغيير في الاتجاه نتائج خطيرة على السيميولوجيا التي حاولت تحليل كل إنتاج سيميولوجي

بمصطلحات لسانية. وهكذا مثلاً يقدم كريستيان ميتز سيميولوجيا السينما[16]. وظاهر مع ذلك أن مفهوم العلامة المحصورة في العلامة اللغوية الذي يمكن في الحد الأقصى أن يوافق سيميولوجيا النص، هو مفهوم غير ملائم أو على الأقل ليس هو الأداة الأكثر نجاعة لوصف نسق علامات غير لغوية كالفيلم أو كأي نسق آخر تبرز فيه الهيمنة الأيقونية.

وسنلاحظ أن سيميولوجيا اللسانيين التي ترى في اللغة مجرد نسق للتواصل من بين أنساق أخرى تخضع اللسانيات لسلطة السيميولوجيا. وصحيح أن تغيير رأي بارط المناصر لسيميولوجيا الدلالة، يجد تفسيره دون أن يجد تبريره بالنسبة لنا، وذلك لأن السيميولوجيا السوسيرية وجدت قبل خمسين سنة كما يقول ذلك لوي ــ جان كالفي Louis-jean calvet "على احتجاب ثابت لأحداث اجتماعية وسياسية، أي لأحداث معنوية لها عمق سوسيولوجي حقيقي"[17]. ولأجل حل هذه الصعوبة لم يكن ضرورياً في هذه الحالة أن تؤسس السيميولوجيا على اللسانيات، بل كان فقط أن نعترف كما فعل ذلك بيرس، بالطابع الاجتماعي للعلامة، وأخذ ذلك بعين الاعتبار في الوصف الذي نقوم به.

السيميوطيقا والدلالة.

قبل أن نتوسع في هذه النقطة ينبغي طرح سؤال يرتبط بها، وإذا لم يحل فالنتيجة أننا سنسيء الظن بالموقف البيرسي. إنه سؤال العلامة والمعنى الذي سبق أن توقفنا عنده. فهل يمكن بناء نظرية للعلامات في استقلال عن معناها أو دلالتها؟ وهل سيؤدي الجواب

بالنفي عن هذا السؤال إلى تبعية العلامة لدلالتها، وتبعية السيميوطيقا للدلالــة؟ إنّ المشــكل لا يطرح بهذا الشكل في الحقيقة. فالسيميوطيقا نسـق مُشَـكّلٌ يبرز قصداً علاقة العلامة بالمعنى، وكما يقول ذلك بـيرس وكمـا يذكرنا دريدا بذلك: "فنحن لا نفكر إلا بالعلامات"[18]. لكــن بــيرس سيضيف في نفس الفقرة أن "الأفكار بدون علامات لا توجـد البـتة" (5.251). وفــي الواقــع فإننا سنخطئ فيما يرفض البنــيويون أخــذه بالاعتبار: دلالة الكلمات في "مظاهرها الجوهرية" لكــي نسـتعمل التعبـير الخاص بريكور، وليس دلالة العلاقات التي يــثابرون على شكلنتها بالفعل. ورغم كونها شكلية فالظاهر فعلاً أن الســيميوطيقا البيرســية تعطــي الحــق لــريكور ضــد جرنجــر، ولسيميولوجيا بارط ضد سيميولوجيا اللسانيين، ذلك أنها ترفض البنية المجــردة. والمهــم بالنسـبة لهــا كما يريد ذلك كالفي هو "الإرسال الحقيقــي المتعلق بسياق وبمرسل في واقع اجتماعي معين وفي زمن خــاص"[19]. وبــالفعل، فنموذج سيميوطيقي كهذا له "المظهر اللا ـ تاريخــي للبنــيوية"[20]، كما أن الصيرورة الثلاثية للسيميوز ليس لها نهايــة، لكــنها أثناء الوضعية المنجزة تبدأ في العمل ويكون لها حد: المؤول النهائي.

السيميوطيقا والمنطق الرياضي.

إن الســيميوطيقا البيرســية، عكس السيميولوجيا السوسيرية كما سبق القول، لا ترتكز لا على علم النفس ولا على السوسيولوجيا بأي نــوع، تجريبــية علــم الــنفس أو دوركايمية السوسيولوجيا. فأساس الســيميوطيقا البيرسية هو أساس منطقي ـ رياضي، كما هو الحال

بالنسبة لسيميوطيقا أ.ج. جريماس. والفرق بينهما أن جريماس يرتكز على المنطق الحملي لأرسطو من أجل أن يبني نظرية ما يسمى بالمربع المنطقي، في حين أن بيرس يبني سيميوطيقاه على منطق العلاقات الذي هو مكتشفه، ومن هنا يبرز منطق العلاقات المبني على البروتوكول الرياضي الثلاثي الذي تنتج عنه المقولات الفانيروسكوبية الثلاث. إن جوليا كريستيفا تقول بصدد البنيات المنطقية الرياضية أشياء لها صلة وثيقة بالموضوع وتنطبق على شكلنة السيميوطيقا: "إن الشكلنة تساهم في إبراز بنية تكون غير ظاهرة" ـ وهو ما يعتبر مفاجئاً في استعمالها التصنيفي ـ و"إن الشكلنة الأخلاقية، وهي تبقى ممارسة سيميوطيقية رمزية، ليست نسقاً مغلقاً، بل هي بالنتيجة نسق مفتوح على كل الممارسات السيميوطيقية"[21]. إن هذا الطابع المفتوح الذي شكّل فيه تعدد الوظائف تعبيراً، هو الذي يجعل النسق البيرسي متفوقاً.

السيميوطيقا والفانيروسكوبية.

رغم أن السيميوطيقا البيرسية ليس لها أي أساس نفسي، فإنها ترتبط بعلم النفس في ظهور المعنى. وإلى هذا تهدف الظاهراتية أو الفانيروسكوبية التي تقوم بتركيب كل ما يظهر وكل ما يسميه بيرس "الفانيرون" في ثلاث أقسام كبرى: الأولية أو الإمكانية، الثانوية أو الواقع المادي، والثالثة أو الفكر الوسيط. "إن الفرق بين ظاهراتية هو سيرل وظاهراتية بيرس، كما يكتب دريدا، هو فرق أساسي، وذلك لأنه يتعلق بمفاهيم العلامة وظهور الحضور، وبعلاقات إعادة التمثيل الاصلي للشيء نفسه (الحقيقة). ويعتبر بيرس في هذه النقطة قريباً

مـــن مخترع كلمة الظاهراتية: لامبير Lambert الذي اقترح بالفعل "أن تخـــتزل نظـــرية الأشـــياء إلـــى نظـــرية للعلامـــات". ووفـــق "فانيروســـكوبية" أو "ظاهراتية" بيرس، فإن الظهور نفسه لا يشير إلى الحضـــور، بـــل هو علامة له... فما يسمى "الشيء نفسه" هو دائماً وقـــبلاً ممـــثل ناتج عن بساطة الوضوح الحدسي"[22]. ولا يمكن أن نصـــف بشـــكل أحسن الطابع غير النفسي لنظرية بيرس ولا أن نبين الطبيعة الفانيروسكوبية الضرورية لكل سيميوطيقا.

السيميوطيقا البيرسية اجتماعية.

لا تتبنـــى الســـيميوطيقا البيرسية على علم النفس أكثر مما تتبنى على السوسيولوجيا، ذلك ما سبق أن قلناه. لكنها اجتماعية بالتعريف، اجتماعـــية لأنها غير نفسية. ولا يمكن أن تكون نفسية لأنها لا تعطي أي اهـــتمام للذات. بالإضافة إلى ذلك فهي تعمل ميتا سيموطيقيا على أن يكـــون فـــي إمكـــان المؤول أن يصبح مكاناً للعلامات، وتعمل ســـيميوطيقيا علـــى أن يكون علامة في حد ذاته (5.310). وكل هذا ينبغـــي أن "يبهج" المحللين النفسيين الذين لا يجدون لدى سوسير وفي تعـــريفه للعلامـــة ذات الوجهيـــن الوسيلة لشرح ووصف، كما يشير كالفـــي، خطاب الشيزوفريني "الذي ينبني أساساً من خلال لعبة حول الـــدال"، باعتباره "كتابة أو إعادة كتابة أو؟ (cryptogrammique d'inscriptions) صوتية". فالدال لا يوجد هنا، كما يضيف كالفي، هذا المجيب للمدلول والوجه الثاني للعلامة الذي لا ينفصل عن الوجه الأول: إنه يوجد باعتباره كذلك، وباعتباره مادة صوتية مرتبطة بحياة لا شـــعورية"[23]. ولكن ينبغي أن نضيف أن الدال باعتباره كذلك لا

يمكـــن أن يبرز إلا حين يقوم المحلل النفسي بإثارة أو إنتاج المؤول الآخـــر الـــذي يحيل الدال، أو لنقل يحيل هذا الممثل، على موضوعه الخاص في السياق النفسي المفكك d'esagrégé (واللاشعوري) الذي هو مكان علامات الشيزوفريني.

السيميوطيقا البيرسية جدلية.

إن الســـبب النهائـــي فـــي كون السيميوطيقا البيرسية ذات طابع اجتماعي هو أنها ليست نظرية ثابتة وجوهرية للعلامة، ولكن نظرية للســـيميوز، أي لصيرورة إنتاج العلامات، ولصيرورة جدلية[24]. ولا ينبغـــي هـــنا أن نلـــوي عنق تفكير جوليا كريستيفا كثيراً، من زاوية الـــنظر هـــذه لكي نصيّرها بيرسية. ومع أننا نعطي معنى آخر لكلمة ســـيميوطيقا المستعملة لدى كريستيفا، ذلك لأننا نحتفظ بهذا المصطلح لنظرية بيرس لتمييزها عن نظرية سوسير، فإن التعريف التي تعطيه كريســـتيفا للســـيميوطيقا هـــو تعريف بيرسي بالقدر الذي يجعل منها "مـــنطقاً جدلـــياً"، وهو "اصطلاح يقوم فيه كما تقول، مكوناه بالتتالي بالتجســـيد لتيولوجـــيا téleologie الجدلـــية المثالية، وللرقابة التي تتعرض لها الذات في المنطق الشكلي"[25].

بالإضـــافة إلى ذلك، فتمييزها بين الفينو ـــ نص ("البنية المدلولة" signifiée) والجيـــنو ـــ نص ("الإنتاج الدال") (26) يؤدي إلى قبول الكثير من الأطروحات البيرسية. فالجينو ـــ نص مثله مثل السيميوز يســـبق ـــ ويتجاوز ـــ بنيات الفينو ـــ نص، أو لنقلْ بنيات ما يظهر من الممثل. فالجينو ـــ نص صيرورة جدلية: "فبتركيزه على وضعية البنـــية، يقـــوم الجينو ـــ نص بعبورها، وبنقلها. وبوضعها في إطار الـــتعددية الدالـــة التـــي هي من وظائف الحضور البنائي. إن وضع

الجينو ــ نص يهدف إذن إلى عبور الوضعية البنائية، أي إلى نقلها ...»[27]. ومثلما يستبعد السيميوز الذات (فالمؤول ليس هو من يؤول) "فالجينو ــ نص لا يعرف الذات". ولكنه "وهو خارج عن الذات، لا يشكل حتى سالبه العدمي، ذلك أنه يشكل آخره الذي يشتغل دونه وفوقه". فالجينو ــ نص [السيميوز] "وهو مكان خارج الذاتي وخارج الزمني (إن الذات والزمان لا يظهران إلا باعتبارهما حوادث لهذا الاشتغال الواسع الذي يعبرهما)، يمكن أن يقدم كجهاز لتاريخ اللغة وللإنجازات الدالة (للعلامات والممارسات السيميوطيقية) التي في إمكانه معرفتها، فإمكانيات كل اللغات الملموسة الموجودة والتي ستوجد (وكل أنساق العلامات هي "معطاة" قبل أن توجد مقنعة أو محجوزة في الفينو ــ نص»[27][28]، حيث يقوم المؤول الدينامي برفع القناع والحجز عنها.

وقد لا يكون هذا التقارب منطقياً، كما لا ينبغي أن نرى في ملاحظتنا مجرد تبرير استدلالي للخدمة التي يمكن أن تقدمها السيميوطيقا البيرسية للسيميولوجيا الفرنسية التي تستعمل معجمها وتقبل بعض أطروحاتها. وإنه لمن المؤسف كما يقول ياكبسون، أن تبقى كتابات بيرس "الباحث أكثر عمقاً في جوهر العلامات"، دون نشر حتى عام 1930، ولو أتيح لكتاباته أن تظهر قبل هذا التاريخ فمن المؤكد أن "يكون لأبحاثه من دون شك تأثير خاص على التطور العالمي للنظرية اللسانية". ولأن علوم اللغة والعلامات هي أبعد من أن تكون قد أنهيت بهذا الشكل أو ذاك، فلا زلنا في حاجة إلى استدعاء بيرس. "وحين سنقرر أن ندرس بدقة أفكار بيرس حول نظرية العلامات، والعلامات اللغوية بالأخص كما يقول ياكبسون،

سـنقف على أهمية المساعدة التي تقدمها للأبحاث حول علاقات اللغة بالأنساق العلامية الأخرى. وحينئذ سنكون قادرين على تمييز الفروق الخاصـة بالعلامـة اللغويـة، وكذلك الخاصة بكل نوع من الزمر العلامية غير اللغوية. ونعتقد أن هذا اليوم قد حان.

الهوامش :

[1] تحيل القارئ على كتابات حول العلامة Ecrits sur le signe لبيرس ــ لوسوي 1978 الذي ترجمناه وعلقنا عليه.

[2] هكــذا نجــد روبير مارتي Robert Marty الذي طبق منهج الرسوم التخطيطــية diagrammes. انظــر مقالــة سيميوزيس Sémiosis (5) المعنون بــ"المقولات والوظائف في السيميوطيقا".

(3) انظر: ت. كاواما T.Kawama:

The semiotic approach to Man -made evironment,
Master Thesis, Musashino University of Arts,Japon,1976

(4) Communications 4, Le seuil

(5) Editions de Minuit.

(6) In Problèmes du langage, gallimard.

(7) يمكن ذكر أعمال أخرى إضافة إلى أعمال بارط وياكبسون منها:

Pierre Guiraud.le langage,- 1973
'La sémiologie, P.U.F,1973'
Jean Martinet;Clefs pour la sémiologie, Seghers,1973
André Helbo; Sémiologie et la représentation, Ed Com- 1975
Patrice Pavis, Problèmes de sémiologie theatrale, les presses de l'iuniversité du Quebec 1976

[8] الأشياء الواضحة بالنسبة للرواقيين لا تحتاج إلىعلامة.

[9] Jacques Derrida, De la Grammatologie, ED. de Minuit 1972,p.72

[10] إن تصــنيف ســوبوك Sebeok الذي استعاده هيلبو Helbo يترك بعض الشكوك قائمة.

[11] Jakobson, Probl'eme du langage, op. cit., p.27.

(12) Derrida, op. cit., p.72

(13) T.Todbrov, Théories du symbole, le seuil, 1977.

(14) Ricoeur, Le conflit des interprétations, Le seuil, 1969, pp. 87 et Nattiez, problèmes et méthods de sémiologie langages,35,Sept, 246 1974,p.9.

(15) Riceur, La Métaphore vive,Le seuil,1975.

(16) Metz,ch, Langage et cinema,1975.

(17) Louis- Jean Calvet, Pour et contre Saussure, payot, 1975, p.84.

(18) Derrida, op; cit;, p.73.

(19) Calvet, op. cit. p. 75

(20) Ibid;p.88.

(21) J.Kristeva, Recherches pour une sémanalyse, seuil 1986.p.206.

(22) Derrida, op.cit.p.101.

(23) Calvet,op.cit,p.101.

(24) انظر دراستنا حول: "Lideologie de la critique leninienne de lempiriocriticisme", Semiosis,14,p.34-47.

(25) J.Kristeva,op; cit.,p.21.

(26) Ibid.,p.280.

(27) Ibid.,p.283.

(28) Ibid ., p. 284

الفهرس